

سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة

ديوان المعولي

للشاعر العلامة

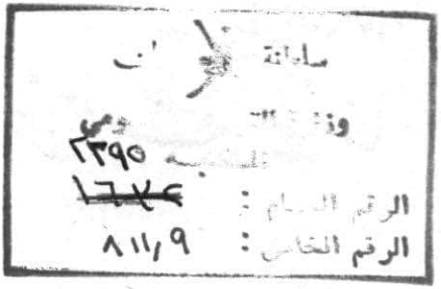
محمد بن عبد الله بن سالم المعولي

تحقيق

الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

بسم الله الرحمن الرحيم



مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

٥ شارع خان جعفر بسيدنا الحسين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة
الشـــاعر .. والديـوان

بقلم الدكتور
محمد عبد المنعم خفاجى

عمان .. هذه الدولة الفتية .. وهذا الشعب العريق .. وهذا التراث العظيم .. صفحة مضيئة فى تاريخ الشعب العربى الكبير ؛ وموطن خالد للغة والأدب والشعر ، وموئل رفيع للدين وعلوم الشريعة ، وثقافات الاسلام .

عمان الدولة ، وعمان الشعب ، وعمان الفكر والثقافة والتراث .. حافلة بكل ذخائر الماضى ، وكنوز الاسلام ، ومجد الشريعة ، وجلال اللغة ، وجمال الأدب والشعر .

وفيها نشأ وعاش أعلام خالدون ، من أعلام الاسلام وأبطاله ورجاله ، ومنها خرج شعراء مبدعون ، شعرا شغلوا الناس والزمان والتاريخ بجلائل إبداعاتهم ، وخوالد إلهاماتهم ، وأوابد أشعارهم .

من عمان خرج الستالى (٥٨٤ – ٦٧٦ هـ) والكيذاوى ، والغشرى ، والمعولى شاعرنا الكبير .. ومئات الشعراء ، الذين خلد شعرهم مفاخر الدولة ، وعظمة الشعب ، وجلال الماضى ، والمجد العريق للأمة العربية التليدة .

ومن حسن الحظ أن تقوم وزارة التراث القومى والثقافة فى عمان بنشر التراث الشعرى لشعراء عمان الخالدين الرواد ، وأن تحرص على نشر دواوينهم ، وطبع آثارهم ، وتحقيق تراثهم ..

وهذا الديوان – ديوان المعولى – واحد من الدواوين الكثيرة التى نشرتها الوزارة ، حرصا منها على إضاءة التاريخ العمانى ، ونشر مآثر السلف ، وإظهار مفاخر الأجداد للأحفاد .

كان المعولى محمد بن عبد الله بن سالم أحد أعلام الشعراء العمانيين الخالدين عاش حياته فى أواخر القرن الحادى عشر وفى القرن الثانى عشر الهجرى ، وخلد فى شعره ومدائحه مجد شعبه ، وعظمة حكامه ، وانتصارات ملوكه وأئمته الخالدين .

وكان المعولى يملك موهبة شعرية قوية ، وملكة لغوية قادرة على التعبير عن عواطفه ومشاعره وكل مايجيش به صدره من انفعالات وتجارب شعرية حافلة .. وقد ألم بتراث العرب الشعرى ، ووعى مختلف الثقافات الإسلامية والعربية ، مما جعل منه شاعرا كبيرا ، يهز الجماهير العربية فى عصره بشعره البليغ ، وقصائده الباهرة ، وغرر مدائحه الحافلة بكل معنى بديع ، وأسلوب جميل ، وفكر رفيع ، ولفظ مونن رصين ، وموسيقى قوية ساحرة .

وماذا تقول فى المعولى ، شاعر عمان الكبير ، وفى شعره الخالد وفى ديوانه المتلألىء المشرق بروائع المعانى ، وعبقرية الحكمة ، وشوارد الخيال ، وأوابد الأوصاف والمدائح والأمثال والنسيب والتواشيح والمدائح النبوية الحافلة ؟ .

بل ماذا تقول فى شاعر كبير ، مثل المعولى ؛ غنت الجماهير شعره ، ومدائحه العالية ، واهتز لعبقريته جماهير شعبه الخالد التليد .

وبعـــد :

فهذا هو الشاعر .

وذلك هو الديوان .

وهذه هى قصائده الساحرة الباهرة .. وماتوفيقى إلا بالله .

د . محمد عبد المنعم خفاجى

شعـــــر الديوان

قافيـــة الهمـــزة

القصيدة الأولى

قال الشاعر سنة خمس وثمانين وألف ، يمدح أبا العرب بن سلطان :

[من بحر الكامل]

بَرقٌ أضا من أيمن الجرْعاء ... غيثاً مُلِثًّا دائمَ الأنواء

وسقى ربوعاً من زَرُود وعالج ... فالرقمتين[1] ، هتون[2] ماء سماء

عهدى بها والشَّمْل مجتمع بها ... من أهلها كالرَّوضة الغنَّاء

أمست خلاءً بعد ساكنها وما ... يحلو لها قلبى من البُرَحاء

جرت عليها الرِّيح أودية البِلَى ... من زعزع أو سجسجٍ ورُخاء[3]

عُوجُوا بربعها لكى ما يشتفى ... بترابها قلبى من الأدواء[4]

لا تعدلونى إن بكيت صبابةً ... برسومها إن كنتمُ سُجرائِى[5]

فعسى البكا يحدى بها ولعلَّما ... يطفى لهيب الشوق من أحشائى

إنى أنا الصَّبُّ المقيَّمُ فى الهوى ... هو فى[6] الحشاشة والبكاء وشفائى

---

(١) الثلاثة أسماء مواضع .

(٢) الهتون : ماء السحاب الهاطل .

(٣) الرخاء بضم الراء : الريح اللينة .

(٤) جمع داء .

(٥) أى : رفقائى وأصدقائى .

(٦) فى الأصل : ونفسى ، ولا معنى له ، وبذلك يكون الشعر مكسورا .

كيف الخلاصُ من الغرام ولم أفق ... بعد النَّوَى من لوعةٍ وبكاء

يا عاذلى دعـــنى ولومى إننى ... فى الحب والبلوى من الأسراء

لو ذقت ما قاسيت من ألم الجوَى ... لعذرتنى وسعيت فى استشفائى

أو خِلْتَ مَن أهوى لهمت ولم تزل ... متحيِّرًا فى شـــدَّةٍ ورخاء

ستّيا لأيام الصبى من حيث لم ... يَنْأَ الحبيبُ مخـــافةَ الرُّقباء

أيام يرفُلُ فى الشباب وعيشنا ... صافٍ من الأكدار والأقذاء

والدهر يرمُقُنا ونحن بلذة ... متنعِّمين بمقـــلة شوشاء[1]

والعيش أغْيَدُ والحبيب مُواصل ... متلذِّذٌ فى بهجةٍ [ورُوَاء][2]

لما نضا ثوب الشَّبيبة والصِّبَى ... صدَّ الحبيبُ ولم يَجُدْ بلقاء

كيف التَّغزُّل والشبيبةُ أدبرت ... وأتى المشيب بترْحَةٍ وعَناء

فاربأْ بعمرك أن يمر ولم تَؤُبْ ... مُسترشدا من ذى الورَى بثَنَاء

وارفض جميع الشُّغْل عنك وجِدَّ فى ... التأْويبِ والإدلاجِ والإسراء

واقطع مهامه كل خرق[3] هَوْجِلٍ[4] ... بشِمِلَّةٍ[5] محبورَةٍ وَجْناء

واقصِدْ أبا العرَب بن سلطان الذى ... عَمَّ الورَى بكرامةٍ وسخاء

---

(١) أى تنظر بمؤخر العين .

(٢) مكان الكلمة مطموس .

(٣) الخرق بكسر الخاء : الصحراء الشاسعة المقفرة .

(٤) أى صلب .

(٥) هى الناقة القوية .

فهو المؤمَّل والمرجَّى فى الجدَى ... لا زال يعلو فى سَنًا وسَناء[1]

أهل السماحةِ والفصاحةِ والنَّدَى ... وأبو السخاء مهجِّن الكُرماء

لينُ الخلائق زاهدٌ متورعٌ ... لكنه كالليث فى الهيجاء

غيث إذا ما الغيثُ ضَنَّ بمائه ... ونواله يزرى على الدأماء[2]

عرف السياسة مُذْ نشا فكأنه ... ورث الذكا عن حكمة الحكماء

فغدا وحيد زمانه متفرِّدا ... بحذاقة العلماء والفصحاء

يا ابن الإمام العدل سلطان العروبةِ ... سيد الأرباب والعُرَباء

إنى رجوتك أن تَسُدَّ خَصاصتى ... والظَّنُّ منِّى لا يخيب رجائى

ومُؤَمِّلٌ أملا بأن أحظَى وإنما ... أمَّلْتُ منك بأن تجيبَ نِدائى

إيَّاكَ أن تدعَ الزَّمانَ يُصِيبُنى ... بَلواهُ بالبأساء والضَّرَّاء

أو أن يُكَدِّرَ ما صَفَا من مَشْرَبى ... بصُرُوفِهِ أو أن يَهُدَّ بِفائى

فادْرَأْ أذاةَ النائباتِ وكُفَّها ... عن أن يَعَضَّ[3] بها على أعضائى

ولْتَسْخُوَنَّ بما مَلَكْتَ فإنه ... فَانٍ ويبْقَى فيكَ حُسنُ ثَنائى

وارحم وَجُدْ حتى يقولَ الناسُ ذا ... أَغْنَى الوَرَى من كثْرَةِ الإعطاء

مَدْحى لكم أرجُو به الحُسنَى غَداً ... أو أن يبَوِّئَنِى بدار بَقاء

خُذها هَدِيًّا لا يَفُوهُ بمثْلِها ... أحدٌ من الفُصَحاء والشُّعَرَاء

---

(١) السنا : الضوء ، السناء : الشرف .

(٢) الدأماء : البحر .

(٣) أى الزمان ، فاعله ضمير مستتر .

نَزَّهْتُها من كل مُلْكٍ فاخِرٍ من حيثُ أنتَ لها من الأكْفاءِ
فاسمَعْ لها عَرَبِيَّةً فكأنَّها من حُسنِها كالغادَةِ الحسناءِ
لا عَيْبَ فى أبياتِها إلا إذا قُرِئَتْ تُسَوِّدُ أَوْجُهَ الأعداءِ

* * *

القصيدة الثانية

وقل أيضاً يمدحه سنة ست وثمانين وألف : [من البسيط]

يا هَلْ شجتْكَ بروقُ الرَّبق[1] حوّاء ممشوقةٌ غادةٌ غرّاء عذراء
وهْنانةٌ[2] بضّةٌ رقراقةٌ فُتُقٌ بهنانةٌ كاعبٌ بلْهاء غيداء
خمصانةٌ[3] وهضيمُ الكشْح[4] راغدةٌ هركولةٌ غضّةٌ قنْواء هيفاء
غريرةٌ طفْلةٌ بيضاء عبْهرةٌ زهْراء عبقرةٌ ظمياء حسْناء
غريرةٌ ناهدٌ حسناء بهْكنةٌ خريدةٌ فارعٌ افّاء درْماء
ممكورةٌ عاجرٌ وركاء رهْرهةٌ مسحورةٌ وحصان الطبع زهراء
موموماةٌ ورشوف برّاقِ مبْسمها معشوقةٌ وأُنوفُ الأنفِ قنْواء
بكرٌ عروبٌ عيوف ما بها قذرٌ ربحلةٌ غضّةٌ قبّاء حوراء
رجراجةٌ ورداحٌ غير حفكلةٍ معلّكٌ فرعُها عذراء بلْهاء
خرعوبةٌ وأناةٌ لا يُدنّسُها لوْمٌ شموعٌ بجمالُ الخلق أدماء
خودٌ رداحٌ هدىٌّ طفلة مَتَذَتْ عقلى فلم يحْلُ لى عيشٌ ولا ماء

---

(١) فى الأصل : بروق ، ولا يستقيم مع المعنى .
(٢) أى ضعيفة المشى .
(٣) أى ضامرة .
(٤) أى ضامرة الخصر .

سكرى نوارٌ عزوفٌ عزَّ مطلبها ... بخيلةٌ باهرٌ جمالها لمساء

بِكْرٌ بكيتٌ على تعريقها سمةٌ ... هى الدَّواء ولكن هجرها داء

لا غرو إن لم يُرلى بعد رؤيتها ... فى القلب صادٌ ولا باء ولا راء

خُوطيَّةُ القدِّ إن سلت غلائلها ... عن جسمها مَلَهَا فى الليل لَأْلاء

معسولةُ الريق مصقولٌ عوارضها ... كأنما ريقها شَهدٌ وصهباء

تميلُ تيهاً كغُصْنٍ ناعم خَضِلٍ ... فتانةُ الطرفِ سكرى اللحظ نجلاء

وشقوتى أن برَت[1] جسمى بجفوتها ... وهجرها ، ما لها فى الدهر إرضاء

ملولةٌ[2] ما لها عهدٌ يدوم لها ... يوماً وليس لها عهدٌ وإيفاء

تكادُ من لينها تجرى إذا قعدت ... كأنما جسمها من لِينهِ الماء

بيضاء ريانةٌ من حسن صورتها ... قد اعترى بعدها قلبى سويداء

تكامل الحسنُ فى أوصافها فزَهَتْ ... كأنها روضةٌ فى الحُسن غنَّاءُ

أضراسُها لؤلؤٌ والدُّرُّ منطقها ... ووجهها قمرٌ والقدُّ سمراءُ

تاهَتْ على التيه من حسن يقيهُ بها ... ما لاق إلا بها مدحٌ وإطراءُ

صدَّت[3] ولى كبدٌ حرَّى تذوب حَوًى

ودمْعَةٌ كرذاذ المُزْن حمـــــراءُ

عَلَّ الهُمامَ أبا الهيجاء يفجدُنى ... إذا اعترانى من الأيام لأواءُ[4]

---

(١) أى أسقمت .

(٢) كثيرة الملال .

(٣) من الصدود وهو الهجر والإعراض .

(٤) اللأواء : الشدة .

أيقنتُ أن ابن سلطانَ الإمام لنا ... بحرٌ طما ولأهل الأرض أنواءُ

يامن إذا ماالتقى الجمعان ليثُ شرًى ... ومن تمثَّلَ للأخلاق ما شاءوا

ومَنْ تهلَّلَ للعافين[1] مفظرُهُ ... ومَنْ نداهُ حيًا والكفُّ دأماءُ[2]

ومَن يجُورُ على الأموال وهْو أخو ... عَدلٍ كأنَّ صميمَ المالِ أعداءُ

ومَن إذا اشتدتِ الآراءُ خُلَّصُها ... رأيٌ له كَشَبا[3] الهنديِّ إمضاءُ

ومَنْ إذا عَصَفَتْ أيدى الزَّمان بنا ... بجوده فله جودٌ وإعطاءُ

ومَنْ إذا اشتدَّتْ الهيجاءُ فى رَهَجٍ ... تجرى به فى بحار الموتِ جرداءُ

موتٌ ترى الموتَ يَغبُو من مخافته ... مَلْكٌ له هِمَّةٌ فى الملكِ قَعساءُ

تَراهُ جَذْلانَ فى الشُّجعان قَسْوَرَةٌ ... ووجْهُهُ فيه لألاءٌ وأضواءُ

يُصَرِّفُ الأمرَ ما شاءتْ إرادته ... ومُقْلَةُ الدَّهر عن حالَيْه عمياءُ

شهمُ الجَنانِ[4] شجاعٌ لا يُؤثِّرُ فى

سيما مُحَيَّاهُ سَرَّاءٌ وضَرَّاءُ

أصلٌ ترعرعَ من جُرْثومةٍ شمختْ ... فخرا على هامةِ الجَوْزاءِ علْياءُ

يا مَنْ غدا كاسمِهِ يُدْعَى فإن له ... بلا امْتِراءٍ جميعَ الخلق أبناءُ

* * *

---

(١) العافى : الفقير .

(٢) الدأماء : البحر .

(٣) شبا السيف : حده ـ الهندى : نوع من أنواع السيوف يصنع فى البحرين ونسب إلى الهند لأنه مطبوع من حديد الهند .

(٤) الجنان بفتح الجيم : القلب .

القصيدة الثالثة

وقال لولده : [من مجزوء بحر الكامل]

أطلِقْ لسانكَ ما تَشَا لا يعترِى قلبى إباءُ
قُلْ ما تقولُ من المَقَا (م) لَةِ لا يُحَرِّكُنى سَفَاءُ
أتقُولُ من شىء تجو (م) زُ وفى الفُؤادِ لكَ الصَّفَاءُ
لو كُنتَ تقطعُ أنمُلى بالعَضْبِ (١) فهْى لكَ الفِداءُ
لا تحسبنِّى ضِنْتُ ذَرْ (م) عاً فافعَلَنَّ كما تَشَاءُ
أتظُنُّ هـــذا الظَّنَّ فِىَّ ونورُ وجهك لى جِلاءُ (٢)
إنِّى ولى قلبٌ إلى لُقياكَ بَرَّحَهُ العَنَاءُ
دَعْنا نُقَضِّى العُمْرَ فى مَنْعٍ ويجمعُنا الرَّخَاءُ
فلِمَ البِعادُ وأنتَ ذُو خيرٍ وما هـــذا الشقاءُ
فالله فيما قد بَقِى مِ العُمْرِ فهْو لنا نَمَاءُ
فالعُمْرُ ظـــلٌّ زائلٌ لا زالَ يطلُبُهُ الفَنَاءُ
وعليكَ يا محبوبُ من أهل الوِداد لكَ السَّنَاءُ (٣)

* * *

(١) العضب : السيف القاطع .
(٢) أى ضياء يجلو الظلام .
(٣) السناء : الشرف والمجد .

القصيدة الرابعة

وقال نصيحة لزراع السكّر : [من بحر الكامل]

أوصيكمُو يا أيها العُقلاءُ بوصيَّة تعنو لها الحُكماءُ

فهى الهُدَى لمن اهتدَى ببيانِها وهِى التى للمُهتدين ضِياءُ

فتدبَّروا آياتِها وتفكَّرُوا فهى الدَّواءُ وللقلوبِ جلاءُ

لا تَرْكَنوا يوماً إلى الزَّرع الذى يُزْرِى بمن وَافاهُ وهْو بَرَاءُ

وهو الذى يَدَعُ الدِّيار بَلاقِعاً[1] والأغنياءُ به همُ الفقراءُ

ذاكَ الذى سمَّاهُ صحبى سُكَّراً وإذا صَفَا عُمِلَتْ به الحَلْوَاءُ

لا تُكْثِرُوا من زرعه وتنكَّبوا عن حرثه يا أيها البُصَرَاءُ[2]

إن كان ذا لابُدَّ منه فاعلموا فى حرثه ما يفعلُ الفُطَنَاءُ[2]

فإذا أتَى الخِصْبُ الكثير تنبَّهوا وتنكَّبوا إن قَلَّت الأنواءُ[3]

لاتزرعوا فى المَحْلِ يوماً سُكَّراً أن لا يَحُلَّ[4] بكم أسًى وشَقاءُ

إن الشَّقاءَ فى الزراعة مطلقاً إن أجْدَبَت أرضٌ وقَلَّ الماءُ

لا آمُرَنَّ به فتًى ذا عُسْرة إلا امرأً معه غِنًى وثَرَاءُ

---

(١) أى خرابا .

(٢) أى العقلاء .

(٣) أى الأمطار .

(٤) أى مخافة أن يحل الخ ، ولا زائدة .

لكن على نَظَرٍ له وبصيرةٍ ... أن لا يُمِلَّ ويفرحُ الخصماءُ

لا غرَّ ذا المالَ الكثير بربحه ... أمسى فقيراً خانَهُ الإثراءُ

ها فانظروا إن كنتم فى مِرْيةٍ[1] ... ما قدَّمَ الآباءُ والأبناءُ

لو فى زراعته نصيبٌ وافرٌ ... ما أطنبت فى ذَمِّهِ الصُّلحاءُ[2]

لو ذَمَّ كل الذَّمِّ فهو محبَّبٌ ... معهم وكان مِدادَهُ الأهواءُ

يعطى فَيُسْلِبُ ما أفادَ كأنه ... ذو العقل يفعلَ ما يَرَى وبشاءُ

إن كنتَ ذا عَقْل فأعرض عنه لا ... تزرعه قطعاً إنه لَعَناء

لو كان حلواً فى المذاق فإنه ... مُرٌّ وما فى شُرْبه استحلاءُ

فكأن صاحبه مُصاحب حَيَّةٍ ... رقطاءَ ، بئست حَيَّةٌ رقطاءُ

لا ينقُصُ المالَ الكثير زراعةٌ ... أترَى بشربٍ ينقُصُ الدَّأماءُ[3]

أمَّا الملوكُ فلا يُعارَضُ رأيُهم ... فلهم به دون الورَى آراءُ

لا تُظْهِرَنَّ خلاف ما عملوا به ... فالرَّأْىُ دعْهم يفعلوا ما شاءوا

فهمُ يرون حقائقاً ما لا نرى ... سَلِّمْ لأمرهم فهم كُبَرَاءُ

إن كنتَ ذا سمعٍ وذا عَقْلٍ وذا ... بَصَرٍ فخذ ما قالت الشُّعَرَاء

فمقالُهم فى كل شىء حِكمةٌ ... ومقالُ غيرهم لَغًى وهَبَـاء

أو كنتَ أحمق لا تميِّزُ فاستمع ... ما قاله فى السُّكَّرِ الجُهَلاءُ

---

(١) المرية : الشك .

(٢) أى الصالحون من الناس .

(٣) الدأماء : البحر .

أمست مساكنهم لغيرهم وفا ... رقهم لذلك أعبدٌ ونساءُ

وتشتتت أموالهم وتحيَّرت ... آراؤهم وتخاذلَ الحكماءُ

وتهوَّروا فى الفقر حتى إنهم ... صاروا ذوى ذُلٍّ وهم كُرماءُ

أضحَوا أقلَّ من القليل وقدْرُهم ... عند البريّة مثله الغَوْغاءُ

إن كنتَ يا هذا تريد كمثلهم ... هذى الخيولُ وهذه البيداءُ

فاركض وجرِّب سبق خيلك إننى ... مُتَرَقِّبٌ ما يصبُغ الحنَّاءُ

والله إن خالفْتَنى ونصيحتى ... فلسوف تجنى ما جَنَى السفهاءُ

ولتَندَمَنَّ ندامةَ ما فوقها ... أو مثلُها الكُسَعِىُّ أو حوَّاءُ

فانظُر ندامةَ هؤلاء بفعلهم ... فإليك فافعل ما ترَى وتشاءُ

وإليك زاهِرَةَ المحاسن إن بَدَتْ ... أزهارُها ما الرَّوضةُ الزَّهراءُ

وإذا بَدَتْ يوماً ونُضَّ ختامُها ... ينضاعُ منها عَنْبَرٌ وشَذاءُ

تتناثَرُ الأزهارُ من حاناتِها ... إن غرَّدَت بقريضها الشُّعراءُ

تُبدى وتقطُرُ لؤلؤًا متناثراً ... رطباً كما تتناثَرُ الأَنْداءُ

نزّهتها عن فعل أهل الكفر والتَّضْليل أن لا يضحكُ السُّفَهاءُ

فإذا استهلت بها كأنك سارحٌ ... فى الشمس تُطغى ضوءَك الأضواءُ

أو أن تكرَّمها وترفَعَ قدْرَها ... نهى الدَّواءُ والمريض شِفاءُ

تَسقيكَ كأس مُدامةٍ من ثَغْرِها ... ما الشَّهْدُ ما السَّلسالُ ما الصهباءُ(١)

---

(١) الصهباء : الخمر .

هى بهجةٌ للناظرين وسَـــلْوَةٌ لِلْهَمِّ وهى الرَّوضـــةُ الغنَّاءُ
وكأنها من حُسنهـــا وجَمالها وكالها حُـــورِيَّةٌ حسناءُ
تُنسيكَ بل تُسليكَ بل تُحييكَ لا أمثالُها ليلَى ولا أسمـــاءُ
خُذها أبوها (مُعْوَلِيٌّ) ناصحٌ ما النُّصح منه شابَه الأقـــذاءُ

* * *

القصيدة الخامسة

نصيحة [من الكامل]

وقال ـ رحمه الله وغفر له ـ لابن خالٍ له يريد أن يتزوج من صحار وهو من مَنْح ، وشاوره بخط ، فكتب له هذه القصيدة أن لايتزوج من بلاد الغُرْبة :

إنِّى لَأَعْـلم لا أزال معلِّما ... ومبصِّرًا ما دمتُ فى الأحيـاء

فأنا النَّصيح فمن يَرُدُّ نصيحتى ... فأعُدُّهُ حقًّا من الجُهـلاء

فأنا الذى عايَشْتُ دهرى لابسًا ... سبعين عامًا فى ذُرَى الحُكماء

من شاء منكم أن يُعمَّرَ سالمًا ... من خُطَّةٍ يُبْلَى بها شنعـاء

فليأتنى فأنا ابن نجدتهـا ولم ... يأنَفْ ويَنْأَ الحقُّ من آرائى

من شَكَّ فى نُصْحى يخالفْ حكمتى ... ونصيحتى فى نِقمةٍ وبـلاء

لا يُبتَغَى التزويج للغُـرَباء ... فى دار غُرْبتهم من البُعَداء

إلا إذا شاءَ انتقـالا دائمًا ... وأصابه شَرٌّ من القُرَباء

وأراد قطع بلاده وعيـاله ... ما عاشَ فى السَّرَّاء والضَّرَّاء

كيف السَّبيل إذا أراد تنقُّلا ... من دار غُرْبته إلى القُرَباء

يُفنى تنقُّلُه دراهم جَمَّـةً ... فانظُر وكن فَهِمًا من البُلَغاء

وإذا خليلَتُه أبَتْ عن رأيِه ... نزلَ الشِّقاقُ وحان كل شقاء

مَن رأى رأيًا واستبدَّ برأيه ... زلّت به قـدماه لِلأَواء

قالَ الإلهُ مقالةً لنبيِّـــــه شاوِرْهمُ فى الأمـــر للإبداء
وهو الذى أعلى الورَى عقلا ولم يأنف وشاورهم بغير مِرَاء
غادرت قلبى والهًا فى حـــيرةٍ ما ذُقْتُ ذلك فى صَبًا وصَبـــاء
وتركْتَنى فى مَهْمَـــهٍ ومجاهلٍ متحـــيِّرًا فى ليـــلةٍ ظلماء
لو أن لى رأيًا ولى بك قُوَّةٌ لَشَفيت صدرى فى بلوغ مُنائى
لـكنَّ لى حِلْمًا يُسَـكِّنُ لوعتى بنصيحةٍ وبحـــكمةٍ وذكاءِ
من لايريدك لاتُرِد تزويجـــه أبداً وإن يك أقرب القُرَباءِ
وإذا أردتَ من النِّساءِ خريدةً فانظر إليها نظـــرة الحُكماءِ
لاتنظرنَّ محـــرَّمًا منهما ولو ظُفراً فلم يصلح مع الفُقَهاءِ
فإذا وجَدْتَ لها بقلبك موضعًا أقدم إلى تزويجهـــــا برجاءِ
واختر لولدك صاح أمًّا حُـرَّةً آباؤها من سادةٍ صُلَحـاءِ
وكذلك الأُمَّاتُ والخالاتُ لا تُسْقِط معارفها مع البُعَـــداءِ
فالعِرْقُ دَسَّاسٌ لقول نبيِّنا لا تغـتَرَّ بالغادةِ الحسناءِ
فلعلَّ تحت الحُسن قُبح طبائع تَسقيك سُمًّا ناقِعًا بالمـاءِ
لم تلق فى دُنياكَ أعظم فَرْحَةً ومسَرَّةً من زوجةٍ حسناءِ
حسناء وجهٍ ثم حُسن شمائل تُصْفيك وُدًّا من سَفًا وسَفاءِ
إيَّك والحسن المفرَّط إنه مَرْعَى العُيون وغاية اللُّأواءِ
واحذر مقابح أوجُه لا تَبْغِها فهى القَذَى للهِمَّةِ الجمَّاءِ
واحذر مقارنة الثقيل فإنه داءُ العقول ومِحْنة العُقلاءِ

إيّاك والحمقى فلا تسلُك لها ... طُرُقاً فمن فى الشرِّ كالحمقاءِ

فالحمق داءٌ لا دواءَ لبُرْئِه ... أبداً ولو دُووِى بكل دواءِ

ومن المحال رضى الجميع فإنه ... داءٌ عُضالٌ صار فى الإعياءِ

إن كنتَ تبغى راحةً وفلاحةً ... فاقنع بواحدةٍ تعِشْ برجاءِ

عِشْ واحدا عزِباً ولا تجمعهما ... إن كنتَ صاحب فطنة وذكاءِ

لا تلبثنْ يوماً بغير حليلة ... إن العُزوبة حِرْفَةُ الغوغاءِ

قالَ النبىُّ فشرُّكم عُزّابكم ... وخياركم من يقتفى آرائى

وعليكمُ قُرْبُ الصِّغار فإنها ... نِعْمَ الضَّجيعُ وراحةُ الحَوْباءِ[1]

هى أطيبُ النِّسوان أفواها بلا ... شكٍّ وأحسنها بغير مِرَاءِ

فافهم فَهِمْتَ مقالتى فأنا الذى ... بالنُّصح يرجو الخير للأبناءِ

فاللهَ أسألُه بأن يُنجيك من ... هذى الشدائد غدْوَتى ومسائى

وعليك من أخويك ألف تحيّة ... ما لاحَ برق فى عُلُوِّ سماءِ

* * *

(١) الحوباء : النفس .

القصيدة السادسة

وقال أيضاً ـ رحمه الله ـ فى التزويج : [من بحر الخفيف]

أيها العاقِلُ الذى شاء تَزْو ... يجاً من الأقْرِباء والبُعَداء
ينبَغِى لا تُبْدِى كلاماً ولا تَعْجَ ... لْ عَلَى خِطبَةٍ من الأولياء
قبلَ أن تنظُرَنّ مَن شئتَ منهُمْ ... ثمَّ أسقِط مَقالَةَ الجُهَلاء
واتّبِع قولَ (مَوْلِىٍّ) فصيحٍ ... ذى وَدادٍ وانبُذْ مَقالَ الهُذاء
قُمْ وبادِر وانظُرْ وسل وتبَصَّرْ ... شخصَ مَن شئتَهُ وراء الخباء
وتجَسَّسْ عن طبْعِها وتحسَّسْ ... وتوَسَّمْ فى اللَّوْنِ والأعضاء
واكتُمِ السِّرَّ عن جميع البَرَايا ... من رجالٍ تلقاهُ أو من نِساء
فيصدُّوكَ عنهُمُ أو يصدُّوا ... قلبَ مَن شئته بغيرِ مِراء
فإذا أعجبَتْكَ حُسناً وطَبْعاً ... وسَرَى حُبُّها إلى الأحشاء
ثم لا تنظُرَنّ منها حَرَاماً ... واتّقِ اللهَ ذا العُلَى والبَقاء
فاتّخِذْ صاحباً محبًّا حبيباً ... يعْـــتَرِى للأُمَّاتِ والآباء
ويكونُ الذى تُدَبِّرُ مقبولاً ... لَدَى الأولياءِ والأكْفاءِ
فإذا القلبُ خِلقَهُ مالَ عنه ... لا تجهَّمْ فالخير عند التَّنائى
وإذا لم يكن ودادٌ ولا بُغضٌ ... فهذا تراهُ بعـــد اللِّقاء
وإذا كنتَ ذا جَمالٍ ومالٍ ... وشبابٍ ونجْدَةٍ وعَـــلاء
وسَخاءٍ وعزَّةٍ ورَخاءٍ ... وثَرَاءٍ فاخطُبْ من الأغنياءِ

لا تُبالى بالمالِ وابذُلْ ولا تبخـــلْ عليهم واختَرْ خِيارَ النساءِ
ذاتَ حُسنٍ وبهجَةٍ وجَمالٍ باهرٍ فى الورَى وذات رُواءِ
ليكونَ الفؤادُ منكَ مُرِيحاً مستَرِيحاً من تَرْحَةٍ وشقاءِ
وتكونَ العيونُ قانعةً من حُسن ليلاهُمُ ومن أسماءِ
وإذا كنتَ يا بُنَىَّ فقيراً غيرَ مُثْرٍ فاخطُبْ من المُظْرَاءِ
وإذا كنتَ ذا مَشيبٍ وفَقْرٍ فعَجُوزاً وَلِّى بغير مِراءِ
وإذا كنتَ ذا مَشيبٍ غنِيًّا فَطَماعِيَّةُ النسا فى الثَّراءِ
لا تتزوَّج قطعاً طليقةَ زوجٍ وهْى فيه شديدةُ البُرَحاءِ
والتى تقبَلُ العطِيَّةَ عَيْبٌ من سوى زوجها بغيرِ إباءِ
والتى ألقت القِناعَ عن الرَّا سِ ولا تلتحف بثوب الحياءِ
والتى فى النهار تأكل أكْلًا دائماً لا تزالُ باستِقْصاءِ
والتى لم تمنع ولم تشكُر اللهَ عَلَى ما حَوَتْ من الآلاءِ
والتى عِنْدها بنونَ صِغارٌ وكبارٌ يأوُونَ وقتَ العَشاءِ
والتى تسكُنُ المقاماتِ فى البَرْ دِ وفى الحرِّ جانب البَيْداءِ
والتى تسكُنُ الخواجير فى الحر ر وآباؤها من الغُرَباءِ
فهُمُ الدهرُ يأكلون عليهـــا عَدِّ عنها لا تغترر بسواءِ
فاحذرنّ التى تفَرِّق لا تدّ خر قطعاً شيئاً من الأشياءِ
كى يقولوا فُلانةٌ ذاتَ جُودٍ والغوَانى يُحِبِّبْنَ قولَ الرِّياءِ
واللواتى يأوين كل بيتٍ كل حينٍ من غير ما استِحياءِ

والتى لا تهمُّها حاجةُ البيت ت وتأوى مفازلَ الغُرَباءِ
وكذاكَ الحمقاءُ لا تقربنْها فترى الاعوجاجَ فى الحمقاءِ
والتى لا تزال فى النَّوْمِ دَأْباً لم تفقْ فى صباحها والمساءِ
واللواتى يقُلْنَ كل صباحٍ هات ما تشتهى بلا إبطاءِ
واحذرنّ العجـــوز لا تقربنها فهى للدَّاءِ دهرها والدَّواءِ
فإذا قلت مَن يُخبِّرُنى عن كل هذا يطولُ فيـــه عَنائى
فأقول اعتمِد وشاورْ وشمِّرْ وتفصَّل تجـــده فى الآماءِ
وهْو لابدَّ أن تُشاور حَبْرًا عالمًا بالأحـــوالِ والآراءِ
ذا اختيارٍ وحكمةٍ واعتبـــارٍ وقيـــاسٍ وفطنةٍ ودَهاءِ
واخفِ سرًّا عن البرية طُرًّا لا تُعالم حيًّا من الأحيـاءِ
فأخاف الأسرار تسرى إلى مَن هو يفشى الأسرار للبُعَداءِ
فيصدُّوكَ غـــيرةً ويصدُّوا عنك مَن تبتغى بغـير امتراءِ
لا تقفْ ساعةً إذا ما اتفقتُم وتزوَّج تسلَمْ من الإلْتـــواءِ
مثل هذا التعجيل فيـه صلاحٌ فاسمعونى لها خير من الإبطاءِ
فعسَى إن أبطأتَ يحدث رأىٌ من جناب القُرْبَى أو الأصدقاءِ
فقُلوب الورَى تُقلِّبُها الآراء حينًا كَرِيشَةٍ فى الفضاءِ
وإذا ما امتلكْتَ عَجِّل بعُرْسٍ خيفةً من مكايد الأعـداءِ
فعسَى تفجح المكايدُ منهُمُ فقصُدَّ القـلوب بالامتراءِ

لا تزوَّجْ قطعاً بغير مَشُوراتٍ من الأقرباء والأصـــدقاءِ
لا ، ولا ترسلَنَّ غـير كريم ذى ودادٍ وحـكمةٍ وصفاءِ
وإذا ما أرسلْتَ مَذْماً غبيًّا صرت عند الأنامِ كالأغبياءِ
وإذا ما ظفِرْتَ بامرأة ذاتِ جَمـــالٍ وسيرةٍ حسناءِ
لا تَزَوَّجْ قطعاً عليها ولا تنظُرْ سواها ياذا التُّقَى والوَفاءِ
لست أنهى كل البرية عن أن يجمعوا ضَرَّتين فى إيواءِ
لا كبعض، لا يستوى عنده الثِّنْتا نِ أقصاه زوجة بالحـــراءِ
وكذا بعضهم إذا جمع الثنتين لا زالَ فى عَمًى وعَمـــاءِ
وكذا بعضهم بغـير عَناء أربعٌ كلهنَّ فى الاستواءِ
لـكن الزوجُ إن تَدَّى تداعت فى شقاقٍ زوجاتُه وشقاءِ
وتعدِّيه أن يُفَضِّلَ بعضاً فى بيتٍ ومأْكلٍ وعَطاءِ
يبتغى العدل منه والعدلُ صعبٌ إنما العـــدل شِيمَةُ الأتقياءِ
وأُوَصِّى الرجالَ باللُّطف واللِّـ ين والجود والنَّدَى للنساءِ
والبشاشات والرِّعاية والإ حسان جدًّا فى شدَّةٍ ورخاءِ
والعَطايا الجِسام من غير مَنٍّ كى تلينَ القـلوبُ بالإعطاءِ
وأُوَصِّى النساء بالسمعِ والطا عة دَأْباً فى غُدْوَةٍ ومساءِ
فتحذَّرْ من كل شىء كريهٍ كى يضرَّ الـكريهُ بالعذراءِ
وإذا ما أردتَ عُرْساً فبادِرْ وتغَسَّل ثم اغتسل بالمـــاءِ
وتأَطَّخ من كل عِطرٍ وطيبٍ وتبخَّرْ بالعـود أو بالـكباءِ

وإذا كان فيك نَشرٌ[١] كريهٌ ... من فَمٍ أو أنفٍ من الأدْوَاءِ

فامضغ الزنجبيلَ من بعد هيلٍ[٢] ... وأخيه قُرُنفُلٍ بالشراءِ

إن هذا إن كنتَ شخصاً غنيًّا ... ليس هذى الأوصافُ للفقراءِ

إن هذى نصيحتى فاسمعنْها ... لا تُقابِلْ أخى بالاستهزاءِ

وإذا لم تأخذ بها وبما قلتُ ... فأنتَ الغَرِيقُ فى الدَّأْماءِ[٣]

فأنا الناصحُ الأمينُ ومَن غَشَّ ... أخاه فعَزِّهِ بالعَفاءِ

ثم صلّى الإلهُ ما هبَّت الرِّ ... يحُ على المصطفى السَّرِىِّ البَرَاءِ

* * *

---

(١) النشر : الرائحة .

(٢) الهيل : الحبهان .

(٣) الدأماء : البحر .

القصيدة السابعة

وقال أيضا فى الذم : [من بحر الكامل]

أنا بحرُ هَجْوٍ إن أردتَ جَفائى ... وبحورُ مدحٍ إن أردتَ إخائى

أمُعيبُ شعرى[1] كُفَّ قولك وارعوى

ألا تُصيبُكَ شِـــــدَّةٌ بقضائى

فحذار ثم حذار ثم حذار من ... ليثِ الشَّرَى ومبدِّدِ الأعداء

يا من يُصدِّعُ صخرةً بزجاجةٍ ... أقصِرْ عدِمتُكَ يا أبا الغَوْغاءِ

أتَعيبُها وهى التى شهدت لها ... فصحاؤنا بل جمـــلة العُلماءِ

لا يَجحَدُ الشمس المنيرة مُبصِرٌ ... إلا صُوَيْحِبُ مُقْلَةٍ عمياءِ

مَن عابَها يهوَى الهجاء لأنه ... قصُرَتْ خلائقه فشاء هجائى

أوَ لم يَرَ المُزْرِى بشعرى أننى ... كاس المنيَّةِ صاحب اللأواءِ

قُولا له قولًا ليَفْتَـــح جَفْنَه ... إنى عظيمُ الشَّانِ فى الشعراءِ

أنا شِبْهُ دهركمُ كأنَّ خلائقى ... طُبِعَتْ من السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ

لو صادَمَتْ صُمَّ الرَّواسى سطوتى ... لَكَبَتْ أعاليها عَلَى الغَبْرَاءِ

* * *

---

(١) يريد أعائب شعرى ، والفعل ثلاثى « عاب » لا رباعى « أعاب » وليس اسم الفاعل منه معيبا بل عائبا .

القصيدة الثامنة

وقال أيضاً ـ رحمه الله ـ في المدح : [من بحر الطويل]

سلامٌ وتسليمٌ بدا وثناءُ ... وإخلاصُ وُدٍّ لم يَشُبْهُ رياءُ

وحُسن ودادٍ مُخلصٍ ومودّةٌ ... ومحضُ تحيّاتٍ به وصَفاءُ

وذِكرُ أيادٍ من عظيم كرامةٍ ... ونُبل هوًى لا يعتريه مَناءُ

ومحضُ مديحٍ ليس يُحصَى عِدادُهُ ... خلاصة وُدٍّ زانَهُ ووفاءُ

إلى ملكٍ لم يَسْلُنِى عنه غيره ... وإن عَمَّنى منه نَدًى وسخاءُ

إلى ملكٍ لم أَنْسَهُ قط ساعةً ... مدَى الدّهرِ حتى لا يكونَ جفاءُ

إلى ملكٍ زانَتْ بطلعة وجهه ... أماكن ما مرّت عليها ذُكاءُ(١)

ومَن مالُه مالى ومالى مالُه ... ومَن مدحه بعد الصلاة دعاءُ

هو الملك القَرْم الجواد بَلَعْربٌ ... له الحمدُ والمدحُ اللُّبابُ جزاءُ

بنفسى كريمٌ حازَ مجداً وسؤدَداً ... وآباؤه أمثالُه كُرَماءُ

فَصيحٌ متى ينطِقْ يجد كل مُفصحٍ ... أخا منطق تعنو له الفُصَحاءُ

بليغٌ متى تبدُو البلاغةُ منه فى ... ندىً المعالى يَخْجَلُ البُلَغاءُ

وعن وصف جَدْواه ومدح خِلاله ... تجىءُ بلاغاتٌ لها الشعراءُ

* * *

(١) ذكاء : الشمس .

القصيدة التاسعة

وقال أيضاً فى الذم : [من بحر الكامل]

دَرْويشُ ياذا الخِلْقَة الشَّوْهاءِ ... سُوءى أبٍ لك يا أبا الغَوْغاء

يا كعبةَ الأنذالِ بل يا أرذلَ ... الأرذالِ بل يا أجهل الجُهلاءِ

يا سيءَ الأخلاقِ بل يا أفسقَ ... الفُسَّاقِ بل يا أجبنَ الجُبناءِ

يا معدنَ الإفسادِ بل يا موردَ ... الأوغادِ بل يا تَوْلَبَ البيداءِ

يا سُلَّم الجهَّالِ بل يا عفوة ... العُذَّالِ بل يا أثقلَ الثُّقلاءِ

يا أقذر الأخلاق خُلُقاً فى الورَى ... يا قُرْحَةً فى القلبِ والأحشاءِ

يا أكذبَ الضُّلَّالِ فى أخبارهم ... وأخسَّ مَن يمشى على الغَبراءِ

ورمَيْت (عبدَ الله نسلَ محمد)[1] ... قاضى الورى بالقَوْلَة الشنعاءِ

حاشا ابنُ محمود الولىُّ المرتضى ... أهلُ الوفاءِ ومَعْدن الآلاءِ

تعساً وقُبحاً يا سُلالة مُشمِلٍ ... وشَرُفْتَ إذ أعملتُ فيك ندائى

ما كان حقّك يستحقُّ هِجائى ... واحرَّتى ضيَّعْتُ فيكَ هِجائى

ومن العجائب أن شخصك ميِّتٌ ... وتُعدُّ فى الدنيا من الأحياءِ

قد ضاقَ وصف الذَّم فيك لأننى ... رائيــكَ لا شيئاً من الأشياءِ

مُزِّقْتَ كلَّ مُمَزَّقٍ دون الورى ... يا ضيفَ وقْت المَحْلِ يوم غَلاءِ

أتعيبُ مَن لم تَسْوَ شِسْعَ نِعاله ... وتَسُبُّهُ يا أخبثَ السُّفهــاءِ

---

(١) يعنى نفسه .

شُلّتْ يداكَ ونضَّ فُوكَ وفرقت ... أيديك يا أخَ مِحْنة وشقاءِ
وأراكَ يا أعمى العُيُون عن الهدى ... مُتحرفاً فى طَخْيَةٍ[1] عمياءِ
وأراكَ عِبْتَ النور فى آفاقنا ... وركضت خيل الجهل فى الظَّلماءِ
لو كان يعلَمُ آدمٌ من صُلبِه ... تأتى لَفَرَّ وحادَ عن حوّاءِ
لو تنصف الغبراءَ منك لَسُخْتَ فى ... قعر القرارِ بصورةٍ شوْهاءِ
خُذْها مُغَلْغَلَةً تلاطمُ مَوجها ... بالذمِّ مثل تلاطُمِ الدَّأماءِ
جاءتك تَسْعَى بالسُّمومِ سريعةً ... فى السَّعْيِ مثل الحَيَّةِ الرَّقشاءِ
تكسوك يوم الحشر ثوب مَذَلَّةٍ ... حتى تجىء بتِكَّةٍ سوداءِ
إن لم تَتُبْ فعليك لَعْنُ إلٰهنا ... أبداً مقيماً يا أبا الفحشاءِ

* * *

(١) الطخية : الظلمة .

قافيـــة البـــاء

القصيدة العاشرة

في بناء حصن : [من بحر الكامل]

يا سائلي عن حِصْن قريتنا ، لِمَ ... البُنيانُ ؟ لا تبعد وأنتَ قريبُ

فهلُمَّ تلقَ عجائباً بشموخه ... فهو العجيبُ ومَن بناهُ نجيبُ

فمحسَّنٌ ومُزَيَّنٌ ومُرَتَّبٌ ... وبناؤه ما مثلُه ترتيبُ

أحْسِن بما هو في القلوب مُحبَّبٌ ... ولكل مَن يرنو إليه حبيبُ

ينسَى الغريبُ عِياله فكأنه ... جَنَّاتُ عدنٍ ما بهنَّ غريبُ

ما أبصَرَتْ عيناىَ أحسنَ منظراً ... منه فما منه الضياءُ يغيبُ

ويَوَدُّ مَن يُؤويه يُسجَن دائمًا ... فيه وليس إلى العِيالِ يؤوبُ

هو رائقُ الآفاقِ تجرى تحته ... الأنهارُ وهو بساكنيه حبيبُ

عالى العِمادِ عُلُوُّه مترتِّبٌ ... وأساسه من جِصِّهم مصبوبُ

أستارُه بسروجهن كأنها ... سينُ ابن مُقْلَةَ في الحصَى مكتوبُ

أو ثغرُ غانيةٍ يروقُ تبسُّمًا ... سمطين فيه اللؤلؤ المثقوبُ

مِن حُسنه الغُرُفاتُ لم يسكن بها ... مِن روح سَجْسَجِه النسيم هبوبُ

مَن قالَ في أوصافه هو قطعةٌ ... من روضة الجنَّات فهو مُصيبُ

وإذا يقولُ رأيتُ حِصنًا مثله ... بُعْمانَ في الترتيب ليس يصيبُ

لا عيبَ فيه تراهُ إلا أنه ... يُنْسِى المحبَّ حبيبه فيطيبُ

* * *

القصيدة الحادية عشرة

تهنئة للإمام سلطان : [من بحر الطويل]

أُهَنِّيك يا ابن الأكرمين الأطايب ... ونجلَ الملوك الشُّمِّ أهلِ الرغايبِ

بعودةِ عيد الفطر لا زالَ عائداً ... عليك بتيسير الغِنَى والمواهبِ

ويُهنَّى جميع الناسِ أنك سالمٌ ... وتَهْنَى بما أُوتيته مِن مناقبِ

ولا زلتَ محروس الجنابِ مُظفراً ... على كل مَن عاداك من كل جانبِ

ولا زالَ يَقْلُوكَ من كل وجهةٍ ... وكل كنودٍ في أَجَلِّ المصايبِ

ولا زالتَ رِدْءاً للمعالى وناصِرًا ... وشَهْداً لمسلوبٍ وسُمًّا لسالبِ

عدوُّك مغمومٌ وشانيكَ هالكٌ ... وضِدُّكَ مخذولٌ بصفقة خائبِ

فإنك سيفٌ يا ابنَ سلطانِ سيفنا ... وجدُّكَ سيفٌ أنت سيف القواضبِ

وعدلُك مشهودٌ وسعدُك طالعٌ ... وبأسُك مذكورٌ على كل غالبِ

وسعيُكَ مشكورٌ وقلبك ثابتٌ ... وكسبُكَ في العَلْياءِ خير المكاسبِ

وبيتك مصمودٌ[1] وجدُّك ساطعٌ ... ونيلُك فيفا كالسَّحاب السواكبِ

أنا اليومَ مفكم في رخاء ونعمةٍ ... وأطيبِ عيشٍ في أَجَلِّ المراتبِ

وأخدُمكم ما دمت حيًّا مُجاهِداً ... بقلبٍ صحيحٍ خالصٍ غير ناكبِ

فعيشوا بخيرٍ في نعيمٍ ولَذَّةٍ ... ومُلْكٍ أثيلٍ ثابتٍ غير عازبِ[2]

وصلّى على خـــير الأنامِ محمدٍ ... إلهُ البرايا ما هَمَى[3] كل كاسبِ

* * *

(١) من صمده : قصده . (٢) عازب : غائب . (٣) همى : هطل .

القصيدة الثانية عشرة

وقال الشاعر أيضا : [من بحر الطويل]

وسلِّم إلى ربِّ العُلا وتوكَّلن عليه وصاحِبْ خيرَ خِلٍّ[1] مُصاحِبِ
ولا تطلبنْ إلا من الله حاجةً ولا شك أن اللهَ معْ كل طالِبِ
ولا تتركنَّ البحث عنه فإنه لكل فتًى يحويه خير المكاسِبِ
وذاكِرْ به مَن كان بالله عارِفًا فذلك للمعروفِ غير مُجانِبِ
وجانِبْ لأهل البَغْيِ والجهل والخنا[2]
وكن طالبًا فى العلم أعلى المراتبِ
وكن صامِتًا فى كل نادٍ ومجلس وكن ناطِقًا بالحق فى كل واجبِ
ولا تُبدِيَنَّ الضحك فى كل لفظةٍ ولكن قليلا فى الأمورِ العَجائبِ
ولا تك مِهذارًا قليل تفكُّرٍ فليس عليك النُّطقُ ضربةُ لازِبِ
ومهما بَدَتْ من صاحِبٍ لك زَلَّةٌ فقابل بصفحٍ منك زلةَ صاحِبِ
ولا تفعلَنْ فِعلاً بغير مَشورةٍ من السيد المولى كريم المناسبِ
ولا تَعصِ فى كل أمرٍ يريدُه فطاعته فَرْضٌ على كل كاسبِ

* * *

---

(١) الخل بكسر الخاء : الصديق .
(٢) الخنا : المنكر والفاحشة .

القصيدة الثالثة عشرة

وقال الشاعر فى المدح : [من مجزوء الكامل]

ورمتـــنى الأيامُ أو ضاقت عَلَىَّ مـــذاهبى
وجفـا الأقاربُ ساحتى وانحـلَّ عقد عصائبى
وإلى الخضمِّ الزاخر الأسـد الهزَبْر الضاربِ
وإلى السحابِ الماطر الغدقِ الهَتُونِ الساكبِ
هو نسلُ سلطانَ الإما مِ اليعـــربىِّ الواهبِ
أعنى أبا العربِ الهما مَ ابنَ الهُمامِ الغالبِ
نَدسٌ له رأىٌ يفلُّ شَبَا الحُسامِ القاضـــبِ
من سادةٍ سادوا الأنا م بمجتـــــدٍ ومناصبِ
فُهُمُ أولو مَنٍّ وإحـ ـسانٍ وعُرفٍ ساكِبِ
وأولو احتسابٍ واكتـ ـسابِ فضائلٍ ومَناقِبِ
وذُعافُ[1] كل مُعانِدٍ ومَعاذُ كل مُصاحِبِ
حامى وُلاةِ أمـــورِنا بعواسلٍ[2] وقواضِبِ[3]
ومُعِـــزُّ كل مناصرٍ ومُذِلُّ كل مُضارِبِ

---

(١) الذعاف : السم الناقع .
(٢) جمع عاسل وهو الرمح .
(٣) جمع قضيب وهو السيف .

فهو الذى أنفى الهمو مَ به ويصلح جانبى
لا زلت يا أهلَ الأفا ضل فى أَجَلٍّ مراتبِ
وعـدوُّك الشانى المعا ندُ فى أجَلِّ مصائبِ
أدعوك دعـوةَ مستجـ ـيرٍ من زمانٍ غائبِ
لا أخشى إن كنت لى من خافضٍ أو ناصبِ
كيف الزمانُ يصيبنى مِن صَرْفِهِ بنوائبِ
ونَدَى يديك مُصاحبى بؤسًا للزمانِ الذاهبِ
فى مِدحتى لكمُ لَمَا أدَّيْتُ حق الواجبِ
من حيث قبل خَصَصْتنى بمـواهبٍ ورغائبِ
وحبَوْتنى بفضـائلٍ فصفتْ لديك مَشاربى
ورَفعتَ منزلتى عَلَى النجمِ الرفيعِ الثاقبِ
حتى تركتَ أولى العـدا وَةِ فى عذابٍ وَاصِبِ(١)
ورجعت عنك مشمِّرًا عن ساق سهمٍ صائبِ
فأصِيخْ لعبدٍ مُخلصٍ لذراك غـير مُجانبِ
حتى يقولوا هكذا فعل الكريم الصاحبِ
يا منجز الوعد الوَرَى من حاضرٍ أو غائبِ
أنتَ الصدوقُ بوَعْدِه لمجانبٍ ومُضـاربِ

---

(١) دائم أو شديد .

من أين يرجع سائل عنكم بحدٍّ خائبِ
وإليك واضحة المعا لِي كالعروسِ الكاعبِ
جاءتْ كمثل الشمـ سِ محدقةً بنورٍ ثاقبِ
جاءَتْ تجرُّ ذُيولها بروافعٍ ونواصبِ
عذراءَ ليس بها أذًى أو مثلبٌ للثالبِ

* * *

القصيدة الرابعة عشرة

وقال ـ رحمه الله ـ فى سوق « منج » وقد أسس السوق عام ١٠٩٦ هـ :

[من بحر الوافر]

أما سُوقاً فلو صورت شخصاً ... لَتِهْتَ على بقاع الأرض طيباً

لأنك صرت من حِصْنٍ وعينٍ ... وحجرتنا وجامِعَنا قريباً

فيالك روضةً تُسْلِي قلوباً

وتكشف عن ذَوِى البَلوى الكُروباً

ويالك من غريبِ المثلِ حُسناً ... وأصبحنا به نَهْوَى الغَريباً

ومَن يرنو[1] إليك بعين فكرٍ ... يُخافُ عليه أن ينسَى الحبيباً

فيا خير البِقاعِ بكل أرضٍ ... حويت المدح مفا والنَّسيباً

يُرَى بك كل تمثالٍ عجيبٍ ... وقبلك لا نرى شيئاً عجيباً

خيالُك فى خواطرنا مقيمٌ ... وإن غِبْنا فإنك لن تغيباً

خلوتَ من العيوبِ وكل سوقٍ ... تَرَى مُلئت جوانبه عُيوبا

لأنك فى عُلُوٍّ وارتفاعٍ ... كأنك طالبُ العليا نصيباً

وأنك لابنِ سلطانِ بن سيف ... أبا العرب الفتَى الملك المهيباً

وأنك موضع الأرزاق طُرًّا ... وفيك الخير مجموعاً رهيباً

وفيك فواكهٌ من كل لونٍ ... من الثمراتِ يُبساً أو رطيباً

---

(١) رنا إلى الشىء : نظر إليه بمؤخر عينه .

وتجرى تحتك الأنهارُ دَأْبًا فمثلك لا نَرى أبداً ضريبا
فمَاهًا لو يعـــودُ لنا شبابٌ لكى نَهْنَا ولم نَخَفِ المشيبا
إذا آواك ذو كِبَرٍ تقوّى كأن به يرى عمراً قشيبا
ومَنْ يكثر مزارَك لن يشيبا وبُعْدُك يجعل الوِلْدَانَ شيبا
ويهواك القريبُ وكل قاصٍ كأن هواك بالأهواء شيبا
مزارُك لا يكدِّره رقيبٌ وكل مُواصِلٍ يخشَى الرقيبا
لقد أُسِّسْتَ فى ألف وستٍّ مع التسعين عِشْ دهراً حصينا
بعصر إمامنا ربِّ المعالى بَلَعْرُبَ نسلِ سلطانَ الحسيبا
إمامَ المسلمين بقيتَ دهراً مدى الأيام لا ذُقْتَ الخطوبا
ولا برحت نجومُك طالعاتٍ ولا هى قارنَتْ أبداً مغيبا
ولا ذاق الزمان لكم فِراقًا وشمس عُلاك لا رأت الغروبا

* * *

القصيدة الخامسة عشرة

وقال أيضا : [من بحر الكامل]

لو كان أبخلَ فى الورى من مادرٍ صارَ الكريمَ الأريحيَّ الواهِبا
أو كان أعيى فى الورى من باقلٍ صارَ الفصيحَ اللَّوْذَعِيَّ الكاتبا
أو كان أجبن فى الوَغَى من أرنبٍ
كان الشجاع السمهريَّ الضاربا
ويلى على لُقياك من شخص فلم أجحد نوالك حاضراً أو غائبا
ويلٌ لمن فارَقْتَه وجفَوْتَه والفوزُ للراحى وصالك راغِبا

* * *

القصيدة السادسة عشرة

وقال أيضا ـ رحمه الله ـ : [من بحر الطويل]

قضى الله فيما بيننا بقـــرابة ... وودٍّ وإشفاقٍ فلا نتنكَّبُ
فلا حَطَّتِ الدنيا بناءً لكم ولا ... فُقِدْتُم وإن طال المدى والتَّجنُّبُ
ولا نقَدَت أفواهُنا ذكركم ولا ... ذكرناكمُ إلا بخير ونُطْنِبُ
وإن بَعُدَت دار وطالت مسافةٌ ... وحالت صحارى دوننا ثم أُسهُبُ
فلا البُعدُ يمحق ودَّنا ووادنا ... قديمٌ ولا قُرْبُ المزار يُقرِّبُ
وربَّ صديق لا يزور من النَّوَى ... وربَّ عـــدوٍّ بالدنا يتقرَّبُ
وكم من محبٍّ ليس يُظهِرُ حبه ... لديك وكم ذى قِلًى[1] يتحبَّبُ[2]
وحاذر القُرْبَى إذا ما جفوتهم ... فأَعْدَى أعاديك الذى هو أقربُ
وإياك أن تدنى جهولاً فإنه ... بفعل الدنايا للبِـــلَى يتسبَّبُ
وقبِّل يد الأقوى ولا تعصينه ... فإنك إن قاوَمْتَه فهو يغلِبُ
وسلِّمْ إليه لا تُخالف مُراده ... فإنك إن خالفْتَ فالضرُّ يجلِبُ
ولا تجفُه[3] مهما بدَت منه زَلَّةٌ ... وكن ذا صَفاء إن تكدَّر مشربُ
فإنك إن جازيته عِشْتَ نادماً ... على فعلك الماضى كأنك مُذنِبُ

---

(١) القلى : الهجر والبعد .
(٢) أى يظهر الحب والود .
(٣) جفاه : أظهر له البغض وتباعد عنه .

وقل قوله إن وافقَ الحق والهدى وإن لم يوافق فالتجنب أصوبُ
وحاذر من الزلات فى النطق غِيبة فإنك مأخوذٌ بما كنت تكسبُ
ولا تك فى إنفاقِ مالك مُسرفاً فإن أخا الإسرافِ بالمال يذهَبُ
ولا تك جَمَّاعاً لمالك خازِناً لغيرك مَنَّاعاً تشحُّ[1] وتسلُبُ
ولا تك مِخْلافاً لوَعْدِك يَجترى عليك سفيه أو إلى الخلف تُنْسَبُ
ولا تعص سلطاناً ولا قاضىَ الورى
ولا وَالِيًا واغضب له حين يغضَبُ
ودَارِهِم[2] لو كان فى القلبِ جَمرةٌ من الغيظ فى وسط الحشا تتلهَّبُ
فإنك إن داريْتَهُم فُزْتَ بالذى أردتَ وإن خالفتهم يتصلَّبُوا
ولا تغشينْ أسرارهم واخْفِ قولهم لئلا يجدُّوا فى قِلاك[3] ويغضبوا
وقس كل قولٍ إن أردت مَقالةً فإنك مسئولٌ وقولك يكتَبُ
وسارع إلى الخير ما عشت جاهِدًا فإنك مجزىٌّ وأنت المهذَّبُ

* * *

---

(١) من الشح وهو البخل والمنع .
(٢) من المداراة ، وهى إظهار الإنسان خلاف ما يبطنه .
(٣) القلى : الهجر والبغض .

القصيدة السابعة عشرة

وقال فى رجل سيء الصحبة : [من بحر السريع]

تُريد أن تشرب من مائنا ... وهو الأُجاجُ المِلحُ لا يُشْرَبُ
هيهات أن تركب مستصعبًا ... فابن اللَّبون الصعب لا يُرْكَبُ
إن كنت ذا عقل وذا فطنةٍ ... أو كنت ممن فى التُّقَى يَرْغَبُ
فاسترزق الرحمن من فضله ... واترك سؤالَ الناس يا مُعْجَبُ
ولا تكن كَلًّا على صاحبٍ ... فالكَلُّ لا يُهْوَى ولا يُصْحَبُ
إن الكريم الحُرَّ من قومنا ... لو مات جَوْعانا فلا يَطْلُبُ
هذا عجيبٌ ما نرى مثله ... وقولتى من ذالكم أعْجَبُ
يا قومنا سامحوا واعذروا ... واعفوا عن الجانى ولا تعتبوا
ولا تقولوا إننى مُعْتَدٍ[1] ... لكن إذا حُورِبتُ لا أرهَبُ

* * *

(١) المعتدى : الظالم أى البادىء بالظلم .

القصيدة الثامنة عشرة

وقال وهو فى المرض : [من بحر الطويل]

أتانى كتابٌ من مُحبٍّ مُصاحبِ صفيٍّ وفيٍّ خير خلٍّ وصاحبِ
كريمٍ ظريفٍ فى القلوب محبَّبٍ شجاعٍ قويٍّ باسلٍ ذى مواهبِ
صديقٍ صدوق ساعدى ومُساعدى
وودِّى ومودودى وخـــــير أقاربى
هو النجلُ من بيتٍ رفيعٍ عمادُه تسلل من أصلٍ كريمٍ المناسبِ
حليفُ الندى أعنى بذاك محمدًا فتى صالح أهل العُلَى والمراتبِ
كتابك وافانى سمعتَ بأننى
وقعتُ من السَّطْحِ الرفيعِ الجوانبِ
تمرَّغت شهرًا فى الفراش مُزمَّلاً بثوب أُصلِّى بالترابِ لجانبى
وبعدُ فمَنَّ اللهُ ربى برحمةٍ عَلَىَّ وعافانى وجَلَّى مصائبى
بريتُ(١) بفضل الله من كل عِلَّةٍ
وعُوفيتُ من كل الأذَى والنوائبِ
فطِبْ يا أخى نفسا فقد صُرِفَ الأذَى
وخذ نصيبًا من الأفراح من كل جانبِ

---

(١) من البرء وهو الشفاء .

وخُصَّ الإمام العدلَ ألف تحيَّة وألفَ سلامٍ مِن وَفيٍّ مُصاحبِ

وبلِّغ سلامى الحارثىَّ وصحبَه سلالةَ مسعودٍ حليف المآدبِ

ومَن شئتَ مِن خلٍّ قريبٍ وصاحبٍ

بعيدٍ ومِن جارٍ لنا وأقاربِ

* * *

القصيدة التاسعة عشرة

وقال أيضا من رسالة لصديق له :

سلامٌ كريح المسك بل هو أطيبُ

وأشهى من الماء الزلازلِ وأعذبُ

وأحْلَى مِن الشهد المشوبِ بِسَلْسَلِ

وأعذب من رِيقِ الحبيبِ وأطيبُ

يفوقُ على نشر الرياحين نفحهُ ويُزْرِى بريحِ العودِ حين يقلَبُ

تُسلى قلوبَ الوالهينَ ملاحَةً ويذهب بالأحزانِ أيَّانَ يعربُ

وإن تُلِيَتْ ألفاظه فى مجالسٍ يصحُّ لها طفلٌ وكهلٌ وأشيبُ

تضمَّن ألفاظَ المعـــانى كأنها

سَموطٌ[1] من الياقوتِ بل هى أعجبُ

وحُسنُ ثناء ماهَمَى[2] المزنُ هاطِلا وحَنَّ إلى وادى العَقيق مُعَذَّبُ

وذكرُ تحيَّاتٍ تُجدِّدُ ما مَضَى من الوُدِّ والإشفاق ما لا يُغَيَّبُ

أخصُّ به الزاكى الكريم محمداً فتًى ماجدٌ ندبٌ شجاعٌ مُجرَّبُ

أخو الفضل والإحسانِ والبِشر والرضى

هو المرتضى فى كل قلبٍ محبَّبُ

---

(١) السموط : العقد .

(٢) همى السحاب : هطل .

وكان حديراً أن نزور دياركم
على الراسِ نَسْعَى لا على الإبل نركَبُ
وتَهْوَى بأن نمشى حُفاةً نزوركم ولكن مَلاَةٌ دون ذاك وسَبْسَبُ
فلا حَطَّتِ الأقدار قدراً لكم ولا ذكرناكم إلا بخير يُهَذَّبُ

* * *

القصيدة العشرون

وقال أيضاً ـ رحمه الله تعالى ـ سلاماً لصديق له : [من بحر الطويل]

ملا تحسبنَّ البُعْدَ يمحو وداد كم ... ولكنَّ هذا الشوق أصبحَ غالبى

ولست بناسٍ من أُناسٍ فضائلا ... وإن كدَّرُوا بالبُعد صَفْوَ مَشاربى

وعهدى قديماً لا يزالُ المدَى وإن ... تَوَالَى علىَّ الهمُّ من كل جانبِ

فألْزَمُ من طوق الحَمامِ مودَّتى ... وأثبتُ رسماً من خطوط الرواجبِ

ولستُ من القومِ الذين إذا نَأَى ... مُصافيهم خانوا بودِّ المصاحبِ

وما أنا ممن إن خليلٌ هَفَا يكن ... له قاعداً يمشى على حَدِّ قاضب (١)

أنا المرء لا جارى يُضامُ ولا أنا ... مُظهرُ عَوْرات المُوالى المُقاربِ

ألا أيها الشيخُ الوَفِىُّ الذى غدا ... لنا خير أصحابٍ لنا وأقاربِ

لقد عُدْتَ يا أهل الرعاية مُرسلا ... عِتاباً لطيفاً مع خليلٍ مُعاتبِ

لإبطائنا ردَّ الجوابِ إليكمُ ... وتقصيرنا قِدْماً لرسم المآدبِ

نعم قد جرى التقصير منا وأنتم ... تُقيلون زلّات (٢) توالت لتائبِ

وما عندنا عُذْرٌ ولكن صفحكم ... ينبِّئنا عن سَدِّ كل المثالبِ

---

(١) القاضب : السيف .

(٢) زلات : جمع زلة وهى الهفوة .

فسالِمْ وسامح واعفُ واصفح وسُدْ وجُدْ
وطُلْ واحتمِلْ واغفِرْ وناصح لآيبِ

عليك سلامى كل حين وساعة متى لاح بَرْقٌ فى خلال السحائبِ
وما حَنَّ مشتاقٌ وما ناحَ طائرٌ
وما سارت العِيس[1] الهِجانُ[2] براكبِ

* * *

(١) العيس : النوق .
(٢) الهجان : النجيبة .

القصيدة الحادية والعشرون

وقال أيضا : [من الوافر]

رحلتُم والمدامعُ فى انسكاب ... وقلبى من هواكم فى اكتئاب

وجسمى من صُدُودكمُ نحيلٌ ... فهلّا من رجـــوع أو إيابِ

فإن كـنتم عزمتم لارتحال ... فقولى عَلّنى أشرحْ لما بى

عساكم ترحمونَ قتيل شوق ... وأعرف عنكمُ ردَّ الجوابِ

إلى كم أرتجى منكم وصالا ... قريبا أم إلى يوم الحسابِ

وأخبركم بأنى مُستهـــــامٌ ... حزينُ القلبِ منكم ياصِحابى

فإن كان اللقاء لنا قريباً ... وإلا قد غنيتُ[1] من العِقابِ

أما تدرون أنّى من هواكم ... أكابِدُ لوعةً وكذاك دابى

فما وقفوا ولا رَقُّوا لصَـــبْر ... ولا رفعوا ولا سمعوا صوابى

وجدُّوا فى المسير وخَلّفونى ... أُقَلِّبُ جبهتى فوق التراب

وأجرى الدمعَ من شوقى إليهم ... كما تجرى السيولُ من السحاب

أبيتُ أُردِّدُ الزفراتِ شوقا ... وقلبى من نواهم[2] فى التهابِ

إليهم منهمُ ولهم عليهـــم ... فما لى من سواهم من طِلابِ[3]

---

(١) غنى بالشىء : اكتفى به ، وغنى بالمكان : أقام فيه ، والغنى : الكفاية .

(٢) النوى : الفراق .

(٣) الطلاب : الغاية والمطلب .

أسائل عنهمُ من كل أرض ... إلى أن غابَ مِن جسمى شبابى

ولمَّا قد رأيتُ الشيبَ وَافَى ... رجعتُ بعزمتى عن ذى الجَنابِ

وقمتُ أريد هجواً كل ساعٍ ... إلى الخيراتِ مِن أهل اللُّبابِ

وأمدحُ فى قريضى كلَّ ساعٍ ... إلى الخيراتِ مِن أهل اللُّبابِ

فمَن طلبَ العطية من بخيل ... كمن طلبَ الشراب من السرابِ[1]

ومَن طلبَ العطية من كريم ... كمن أدْلَى دلاه[2] فى العُبابِ

فلا تسأل بخيـــلا عن عطاء ... وجانِبْهُ وحزَّ عن الخطابِ

سَلِ الكُرَماء لا تسأل شحيحاً ... مفازاتُه بمـــــنزلة السكلاب

عجبتُ لطالبِ البُخلاء[3] نَوَالاً ... أراك طلبتَ ظلًّا من خرابِ

فأىّ شحيح قـــومٍ نالَ عزًّا ... من الأزمانِ إلا فى عذابِ

إذا سُئـــل البخيل يردُّ قولاً ... أتسأل ذاك عن شىء عُجابِ

فلم يزل البخيلُ حزينَ قلبٍ ... على الدنيا إلى يوم الحسابِ

يعـــزُّ إذا يَتِيهُ الصيفُ يوماً ... ويدخل فى الشقا من كل بابِ

وإن لاقاه شخصٌ من أُناسٍ ... توارَى عن لِقاهُ بالحجابِ[4]

---

(١) السراب : السحاب الذى ليس فيه مطر ، ويظن أن به مطرا .

(٢) الدلى بفتح الدال وكسرها : جمع دلو ، وهو مايستقى به . والعباب : الماء الكثير أو البحر أو اللجة .

(٣) أى البخلاء جمع بخيل . والنوال : العطاء .

(٤) اللقا : أى اللقاء ، بحذف الهمزة .

وقال أظنُّ هذا رامَ رِفداً[1] يُغَطِّى وجهه مثل الكَعابِ[2]
لئلّا ينظرون إليه حتّى تولّى عنه فى بعض الشعابِ
فقبّاً للبخيل ومَن رعاه ومَن قد عَزَّ فى طلب الثوابِ

* * *

(١) الرفد : العطاء.

(٢) الكعاب بفتح الكاف : الجارية الشابة بدا ثديها للنهود

القصيدة الثانية والعشرون

وقال أيضا ـ رحمه الله ـ حكمة : [من البسيط]

توسُّدى براثنَ الحيَّاتِ تضطربُ أم افتراشى جَمْراً وهو يلتهبُ

أو أن أُصادقَ أقراناً على غَرَرٍ شُزْراً بأيديهم الخُرصان والقُضُبُ

أو أن ألاقى أسود الغابِ مُقبلةً لها زئيرٌ وفى أحشائها غَضَبُ

أبقى وأيسرُ من حِقْدِ الرجال ومن

عداوَةِ الأهل والجيرانِ إن كَلِبُوا

لابدَّ من حيلةٍ تحتالُ بعدبها والخيل تُدْبِرُ والخُرْصانُ تنقلبُ

والبِيضُ(١) تجبُنُ يوماً وهى قاطعةٌ وينطفى الجمرُ والحيَّاتُ تنسربُ

وهؤلاء فلم تؤمَنْ غوائلهم حتى الممات فلا ينفكُّ يرتقبُ

لا شىء أعظمُ من أحوالنا أبداً من انتظارٍ له الأحشاء تلتهبُ

* * *

(١) البيض : السيوف .

القصيدة الثالثة والعشرون

وقال أيضاً : [من الطويل]

سلامٌ كريحِ المسك بل هو أطيبُ

وأشهى من الماء الزلازلِ وأعذبُ

وأحلَى من الشهد المشوب[1] بسَلْسَلٍ

وأعذب من ريقِ الحبيبِ وأطيبُ

يفوقُ على نشر[2] الرياحين نفحُهُ ويزرى بريحِ العودِ حين يُقَلَّبُ

يُسَلِّى قلوب الوالهين ملاحةً ويذهب بالأحزان أيَّانَ يُعْرِبُ

وإن تُلِيَتْ ألفاظُه فى مجالسٍ يصيحُ لها طفلٌ وكهلٌ وأشيبُ

فطِرسٌ حكَى كفَّ الكليم[3] وكاعِبٌ

يفوقُ ضياء الشمس من قبلِ تَغْرُبُ

تضمَّن ألفاظَ المعانى كأنها

سُموطٌ[4] من الياقوتِ بل هو أعجبُ

وحسن ثناء ما هَمَى[5] المزن هاطلا وحَنَّ إلى وادى العقيق مُعَذَّبُ

---

(١) المشوب : الممزوج والسلسل : الماء للعذب .

(٢) النشر : الرائحة الطيبة .

(٣) الكليم : موسى عليه السلام .

(٤) جمع سمط وهو القلادة .

(٥) همى المطر : هطل .

وذكرى تحيّاتٍ تجدّدُ ما مضى من الودِّ والإشفاقِ ما لا يغيَّبُ
أخصُّ به الزاكى الكريم (محمداً) فتى المجد والنَّدْبُ الشجاع المجرَّبُ
أخو الفضلِ والإحسانِ والبِشر والرضى
هو المرتَضَى فى كل قلبٍ محبَّبُ
وكان جديرًا أن نزور دياركم
على الرأسِ نَسْعَى لا على الإبْل نركبُ
ونَهْوَى بأن نمشى حُفاةً نزوركم ولكنْ مَلاةٌ دون ذاك وسَبْسَبُ[1]

* * *

(١) السبسب : الصحراء الواسعة .

القصيدة الرابعة والعشرون

وقال فى الأدب : [من مجزوء الكامل]

مَن كان عند الله غالبْ ... لا شكَّ بالخير آتٍ وآيبْ

ومَن اتقّاه فاز فَوْ ... زًا لا يخافُ من العواقبْ

مَن لا يفكّرُ فى العواقبْ ... دهرًا يعيشُ بغير صاحبْ

وقلاهُ[1] كل مُساعِدٍ ... وجفاه أولادُ الأقاربْ

وأهانَهُ كل الأنا ... مِ من الأباعِدِ والأقاربْ

فتراه كالغَرَضِ الذى ... يرمونه من كل جانبْ

عما قليلٍ سوفَ ينشبُ ... فى براثنها المخالبْ

لا يستطيعُ لدفعِ ما ... هو فيه من دفعِ المصايبْ

لا عَمَّ ينفعُه ولا ... خالٌ ولا خِلٌّ مُصاحبْ

أُوصيكَ لا تصحبْ فتًى ... ينحو إلى طلب المثالبْ[2]

واختر لنفسك صاحباً ... حُرًّا كريمًا ذا مراتبْ

فطناً لبيباً صادِقًا ... نَدْباً حليماً ذا تجاربْ

---

(١) قلاه : هجره .

(٢) الخل (بكسر الخاء) : الصديق .

(٣) المثالب . العيوب .

أنت المعظَّمُ لم تزلْ تسمو به فرق النواقبْ[1]
لا يستبـــــدُّ برأيهِ أبدًا يُشَاوِرُ فى النوائبْ
فمن استبـــــدَّ برأيه لا زالَ يأتى بالعجائبْ
لا شكَّ ذلك أحمـــقٌ فالبُعدُ منه عليك واجبْ
فالحمـــق داءٌ لا دواءَ له فأَهْمِـــلْهُ وجانبْ
كالبالِ[2] إن رَقَّعْتَهُ من جانبٍ ينحلُّ جانبْ
أتعبتَ نفسك إن تصا حب صاحباً أعمى المذاهبْ
لا زالَ يلـــقى نفسه بين المتالف والمعاطبْ
يُسْدِى ويُلْحِمُ ساكنًا طرق المخاوف والمتاعِبْ
بل كلمـــا نَهْنَهْتَهُ عن حالةٍ أبدى غرائبْ
يُمسى ويُصبح فى المضيـ ـقِ ودمعُهُ فى الخدِّ ساكبْ
لا يَرْعَوِى عن جهله ويقول ما قد خَطَّ صائبْ
وإذا الصبىُّ اعتادَ طبعاً فى الصبيبة فهْوَ راسبْ
ليس المتطبِّـعُ ثابتًا كالطبعِ إن الطبعَ لازبْ
إن لم يُؤَدَّبْ فهْوَ با خِـعُ نفسِه والطبعُ غالبْ
ما ضَرَّهُ لو أنَّهُ من ذنبه أن جاءَ تائبْ

---

(١) الثواقب : النجوم .
(٢) بحذف الياء من (البالى) أى المهلهل .
(٣) باخع أى مهلك . وبخع نفسه : قتلها غما .

فلعــلَّ ربَّ العرش يقـ ـبَلُ توبة العبدِ المواظبْ
فهو الرحيم بخَلْقِه وبخلقِه جَمٌّ المــواهبْ
فارجوه فى العُقْبَى فمن يرجو سواه فهو خائبْ
وعليك بالتقْوَى فتقْوَى الله من خير المكاسبْ
وتعلّم القرآنَ وادرُسْه وأكرِمْه وواظــبْ
فهو الصراطُ المستقيمُ ودرسُه خــير المآدِبْ
والنحوَ لا تُهْمِلْهُ فهو أساسُ كل بيانِ كاتبْ

* * *

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي
المكتبة
الرقم العام : ١٦٢٤
الرقم الخاص : ٨١١/٩

القصيدة الخامسة والعشرون

وقال أيضا فى الحكمة : [من بحر الطويل]

ثلاثٌ فساد الدين عند اتّباعها وليس لها إلا المـــذمَّمُ صاحبا

فطاعةُ إبليسٍ ونفسٍ وزوجةٍ فلا تك ياذا للثلاث مُصاحبا

* * *

القصيدة السادسة والعشرون

وقال أيضاً : [من الطويل]

ثلاثٌ تُغَطِّى العيبَ عمن يحوزُها وتنفى كلامَ الناسِ عنه إذا نبَا
عطاءٌ وحالٌ واسعٌ وسيـــادة ولو لم يَرَوْنَ فيه عقلا ولا لُبّا

* * *

القصيدة السابعة والعشرون

وقال أيضاً : [من الطويل]

ثلاثٌ تقودُ الصعب وهي حميدةٌ ... فلا حيلةٌ لمن بعدها للمطالبِ

ليونةُ طبعٍ بالوثيقة بعده ... كلامٌ لطيفٌ وابتذالُ الرغائبِ

* * *

القصيدة الثامنة والعشرون

وقال أيضا : [من الطويل]

ثلاثٌ بهنَّ المـــرء يزدادُ قوةً
على الباهِ لا تعجَبْ بها يا ابن مُنْجِبَهْ
ضخامةُ جسمٍ والرطوبةُ بعدها وراحَةُ جسمٍ فهى للباهِ مُعْجِبَهْ

* * *

(١) الباه : الجماع .

القصيدة التاسعة والعشرون

وقال يمدح أبا العرب بن سلطان : [من مجزوء بحر الكامل]

يا ابن الإمامِ المرتَضَى نسلَ الكرامِ أبا العربْ
يا ابن الجحاجِحَةِ الأُلَى أنسابُهم أزكَى النسبْ
والناطِقُ المزرى على لُغَةِ الأعاجِمِ والعربْ
والسيدُ الشهمُ الفتَى والمرتقِى أعْلَى الرُّتَبْ
والمُنْجِزُ الوَعْدِ الوفى وأخا المماليك والحسَبْ
قد آنَ ما منَّيْتَنِي[1] وأنا المطيعُ لك المحبْ
إنِّى رجوت بحُسْن ظنِّي أن تجودَ بما أحبْ
مولاىَ يا مولى الوَرَى أنت المُنَى لأُلى الأدبْ
جُدْ لى بنفسى إننى أرجو الغِنَى فى المكتسبْ
وأنا المرجِّى إنّ مَنْ يرجو نوالك لم يخبْ

* * *

(١) مناه الشيء وبالشيء، وعده به ، وجعل تمنيقه له أمنية من أمانيه .

قافيـــة التـــاء

القصيدة الثلاثون

قال يمدح لإمام سلطان بن سيف بن مالك : [من بحر الكامل]

صبٌّ تحـــرّقه أسًى لوعاتُه وجوٍ تؤرّقه هـــوًى روعاتُه

صبٌّ إذا ذكر الحبيب تصعّدَتْ أنفاسُـــه وتردّدت حسراتُه

وتناثرت عبراتُه وتكـرّرت أوقاتُه وتكاثرت زَفَرَاتُه

وتقمّمٌ لعب الغـــرام بقلبه لما استقلت بالحبيب مراتُه

يا سائقَ الأظعانِ[1] مَهْلًا خلفكم

صبٌّ تُقطّعـــه جَوًى حُرُقاته[2]

ومعذّبٌ طالَ الغرام به وقد مضت الدهور وما انقضت حاجاته

وطريحُ وَجْـــدٍ مَلّهُ عُوّاده ومريضُ شوقٍ أمرضته أُساتُه[3]

ومعلّلٌ ذهبت حُشاشة قلبه وتحركت من بُعْدِكم مُهجاته

ما راحة المشتاق بعدكمُ وقد ذهبت مريعاً بعدكم بُرَحاته[4]

---

(١) جمع ظعن وهى الرحل على الجمل. وعادة تكون فيه النساء الراحلات من مكان إلى مكان .

(٢) جمع حرقة وهى لهب حرارة الوجد .

(٣) جمع آس وهو الطبيب المداوى .

(٤) البارحة والبرحة أقرب ليلة مضت ، والمراد ليالى الوصال .

إن رام يكتم سرَّه عن صحبه ... دلَّت على ما كنَّه عَبَراتُه[1]

يا هاجرى أنكرت قتلى بعد ما ... شَهِدَتْ عليه بقتله وجفاتُه

فأنا القتيلُ هَوَى بسيف لحاظه ... وقساوةً مثل الظُّبا[2] لحظاتُه

قالوا كبدر التِّمِّ غُرَّةُ وجهه ... كذبوا ، فأين صفاؤه وصفاتُه

هذا له قَدٌّ رشيق مُذْهَبٌ ... قد أذهبت عقل الورى حركاتُه

هذا له طرفٌ غضيضٌ أَحْوَرٌ ... يَفْرِى النُّهَى مبهورةً شفراتُه

نشوانُ لا يصحو بخمر رُضابه[3] ... تَذْفيه تيهاً فى الصِّبا نَشَواتُه

لو لم تكن صهباء ريقة ثغره ... ما أنكرت عقلَ الورى خطراتُه

فى خَدِّه تَسْعَى عقارب صُدْغِه ... تحمى بها عن ثغره رشَفاتُه

مرموقةٌ لفتاته معشوقة ... حركاتُه محبوبةٌ نظراتُه

وبنفسىَ الظبيُ الأغَنُّ إذا بدا ... من خدِّه وتفاوَحَتْ نفحاتُه

يا أيها الربْعُ الذى قد أوحشت ... من بعد رحلة أهله عرَصاتُه[4]

وتنكَّرت من بعده آياتُه ... وتكدَّرت من فقدهم ساحاتُه

أمسى فلا سُكَّانُه سكَانُه ... كلا ولا غاداته غاداتُه

وغدا ولا فتيانُه فتيانُه ... كلا ولا ظبياتُه ظبياتُه

---

(١) كنه : أخفاه ـ عبراته : دموعه .

(٢) الظبا بضم ففتح : السيوف .

(٣) الرضاب : الريق .

(٤) جمع عرصة بوزن فتحة ؛ وهى كل بقعة واسعة بين الدور ليس فيها بناء .

هل أنت فى الأحزان مثل مقيَّم دهمته بعد فراقهم غمراتُه[1]
لما تولّى مسرعاً عصر الصِّبا وتبسَّمتْ عن ثغره ليلاتُه
وأخو المشيبِ وإن تلطَّفَ فى الهوَى

عند الحِسانِ مثالبٌ حسناتُه
وأخو الشباب وإن تزايد جفوةً عند الحِسانِ حميدةٌ جَفَواتُه
وأخو المشيبِ وإن صَفَتْ أحواله عند الحِسانِ ذميمةٌ حالاتُه
وأخو الكهولة لا يقالُ[2] إذا هَفَا وأخو الصِّبا مقبولةٌ هفواتُه
وأخو الصِّبا مغفورةٌ ذَلّاتُه وأخو المشيبِ عظيمةٌ ذَلّاتُه
سَقياً لأيام الشبيبة والصِّبا إذ مَفْرِقى مسودَّةٌ شعراتُه
أيامَ عود اللهو غضٌّ ناضرٌ والحبُّ يانعةُ الجنا ثمراتُه
والعيشُ أغيدُ والزمانُ مساعِدٌ والدهر زاهرةٌ لها زهراتُه
كنتُ الحبيب إلى الحسان فمذ نَضَا[3]

ثوبَ الشبابِ تباعدت ظبياتُه
أمسيتُ كالملقَى الطريح موسداً صفر البنان شديدةٌ لوعاتُه
لا ذَنْبَ لى إلا المشيبُ وهكذا كل الأنام إذا انتهت غاياتُه
وكذا الزمان مُفَرِّقٌ ومؤلِّفٌ هذا الزمانُ وهذه عاداتُه

---

(١) الغمرة : الشدة .
(٢) أقلته من ذنبه : غفرته له .
(٣) نضا الثوب : خلعه .

لولا ابن سيفِ اليعربيُّ لما غدا شملُ الهدى مجموعةً أشتاتُه
فيه تبسَّمَ كل دهرٍ عابسٍ وبه انجلت عن ديننا ظُلُماتُه
وبه تبدَّد شملُ أرباب الهوى بعد التِئام وانقضى ميقاتُه
ذاك الإمامُ العادلُ الشهمُ الذى دون الورى مشهورةٌ كرَّاتُه
وكذا ابنه الزاكى أبو العرب الفتى ربُّ النَّدَى مرهوبةٌ سطواتُه
يا آل يعربَ أنقِمو غيثُ الورى بكم استطابَ بدهرنا ساعاتُه
أضحى الزمان بعدلكم ونوالكم وبعطفكم محمودةً أوقاتُه
بكم استقام الملكُ واعتدلَ القضا وغدت بكم منشورةً راياتُه
بكم استنارَ الدينُ بعد طُموسه لولاكمُ ما أُوضحت آياتُه
وبكم أُقيم العدلُ وانتشر الهدى لولاكمُ ما أَوْرَقَتْ شجراتُه
ياسادةَ الأملاكِ[1] طرًّا فى الورى طوبَى لدهرٍ أنتمُ ساداتُه
لا غروَ إن دان الزمانُ وأنتمُ أبطالُه وليوثُه وحُماتُه
فَلْيَهْنَ دهرٌ أنتمُ أقيالُه ومُلوكه وولاتُه وقُضاتُه
مدحى لكم أبداً لأكبتَ حاسداً ذهبتْ بفطنة قلبِه سكراتُه
وأذيبَ قلبَ الحاسدين بمدحكم وأُذِلَّ مَن لعبت به شبهاتُه
إن لم تُغِثكُم راحتى بمهنَّدٍ فبمقْوَلِى تُردى العِدَى كلماتُه[2]
خذها عروساً تُزْدَهِى قسماتها كالبدر زانَتْ نورَه هالاتُه

* * *

(١) الأملاك : الملوك .
(٢) المهند : السيف . المقول : اللسان . تردى : تهلك .

القصيدة الحادية والثلاثون

وللشاعر أيضا : [من بحر الخفيف]

مَن لصَبٍّ تصاعدت حسراتُه ... ومُحبٍّ تساقطت عَبَراتُه[1]

مَن له إن رماه بالهجر والـ ... ـبين[2] حبيبٌ معشوقةٌ لمحاتُه

وبنفسى الظبيُ الأغَنُّ إذا ما ... قامَ يمشى تهزُّنى خطراتُه

وإذا حرّكَ الشفاهَ بلفظٍ ... منه أضنت جسومَنا حركاتُه

أنا منه قتيلُ شوقٍ ووَجْدٍ ... وأخو الشوق ليس تُرْجَى حياتُه

عجباً منه كيف ينكِرُ قتلى ... وشُهودِى عليه لى وَجَناتُه

أنا سكرانُ منه فى الهوَى لكـ ... ـنّه لا تضرُّه سكراتُه

أنا نشوانُ منه لكنه زا ... نَتْ بعِطْفَيْه فى الصبا نشواتُه

يقتلُ العاشقين إن سلّ سيفاً ... مِن جفونٍ حياتهم لحظاتُه

وحبيبٍ يزيدُنى إن جفانى ... بعدَ قُرْبٍ مودةً جفواتُه

فمنَاى هجرانُه ونَوَاهُ[3] ... وحياتى بعدَ النَّوَى خلواتُه

ما أحْلَى لقاءَه بعد بَيْنٍ ... منه لولا حُسَّادُه ووشاتُه

أنا مُضْنَى الفؤاد لولا هواه ... ما سقتنى كاسَ الغرامِ سقاتُه

---

(١) العبرات : الدموع .

(٢) البين : الفراق .

(٣) النوى : الفراق ، وكذلك البين .

فلعلى أفوزُ يوما بلقيا ... هُ وتُحيي حَشاشتى نغماتُه

وبخيلٍ بالوصل أرسلتُ دمعى ... نحو مَغْناه فارتوت عرصاتُه

فكأن الإمامَ سلطانَ أعدا ... هُ سخاءً فإنما الجودُ ذاتُه

والنَّدَى والإنعامُ والفضلُ والإ ... حسانُ والمجدُ والعُلا عاداتُه

راحةُ القلبِ عنده إن خَلَتْ من ... ماله أو لُجَيْنِه[1] واحاتُه

هو ربُّ الندى وربُّ الأيادى ... الغُرِّ مرهوبةُ الظُّبا[2] غاراتُه

وإمامٌ عدل يجورُ على الأموا ... لِ جُودًا كأنهن عُصاتُه[3]

ووليٌّ يولى جميلا ويسخو ... طاعةُ الله فى الورى طاعاتُه

ورضيٌّ رضا الإله رضاه ... وتقيٌّ أعمالُه مرضاتُه

ومليكٌ له الملوكُ عبيدٌ ... وسخيٌّ كل البرايا عُفاتُه[4]

وشجاعٌ يخوضُ بحر المنايا ... لم تَهِلْهُ من الردى غمراتُه

وقويٌّ يجشِّمُ النفس بأسًا ... فى وَطيسٍ مسودةٍ غاراتُه

باسِلُ القلبِ ما له من نظير ... فى سَطاه[5] مشهورةٌ كرَّاتُه

يعربىّ الأعراب يستعبدُ الأحـ ... ـرار تُرْجَى أفضالُه وصِلاتُه

هَمُّه تدبيرُ الممالك فى المُلـ ... ـك اجتهاداً وصومُه وصلاتُه

---

(١) اللجين : الذهب .

(٢) الظبا بضم ففتح : السيوف .

(٣) العصاة جمع عاص وهو المخالف ضد المطيع .

(٤) العفاة جمع عاف وهو السائل، يقال : عفاه واعتفاه أيضا إذا أتاه يطلب معروفه.

(٥) جمع سطوة وهى الكرة على الأعداء .

حالُه فى السراء حالٌ وفى الضرّا ... ءِ سيانِ فيهمـــا حالاتُه

فهْو للمجد غايةٌ والمعـــالى ... فى الـــبرايا لا تنتهى غاياتُه

وله الـكِبْرياء والملكُ والحمدُ ... عـــلاه مشهورةٌ رايـاتُه

يعجزُ الواصفونَ أن يصفوه ... بصفاتٍ تجـــلُّ عنهم صفاتُه

فبه زانَ دهرَنا وتجـــلّتْ ... بسناه عن دينِنا كلـــماتُه

واستقامَ الزمانُ بعدَ اعوجاجٍ ... وأنارت بعدله ليـــلاتُه

وبه انهدَّ ركْنُ أهل المخازى ... فتـــداعَى وأقفرت ساحاتُه

وغدا العدلُ فى النواحى عميمًا ... بقضاياه واستقـــامت ولاتُه

واضمحلَّ الهوى وأهلوه أهـ ... ـلُ الجورِ والجهل وانقضَى ميقاتُه

إن مَن والاه على كل حالٍ ... ثقلت فى مَعاده[1] حسناتُه

إن مَن عَصَى الأئمة فى الدي ... ـن الحنيفىِّ عظيمةٌ زلّاتُه

ومَن انسلَّ عنهمُ فهـــو مَغْبو ... نٌ سواءً حيـــاتُه وحماتُه

قرّبتْنى زُلْفَى إليه فأمسيتُ ... غنيًّا بجـــوده قرباتُه

وانجلت شبهةُ الفؤاد ولولا ... عدلُه الحقُّ ما انجلت شبهاتُه

إن قلبى لا يشتهى غير مدحيه ... وإنّى ومدحَـــه شهواتُه

يا إمامَ الأنامِ سلطانَ سيفٍ ... بِكَ زانت زمانَنـــا أوقاتُه

أنتَ نِعْمَ الإمامُ فينـــا لأن ... الدهرَ عنّا مأسورةٌ آماتُه

فاقضِ فى الدهر ما تشاء فإنّ ... الدهرَ عبدٌ مقهورةٌ خطواتُه

يافتَى الأكرمين طُوبَى لدهرٍ ... أنتمُ اليومَ فى الورى ساداتُه

---

(١) المعاد : الحياة الآخرة .

ولأنتم أئمـةُ العدلِ فى الدين وأنتم ليوثُه وحمـــاتُه
ولأنتم قصاتُه وولاتُه ولأنـــتم شجعانُه وكُماتُه(١)
يا سراةَ الأنامِ عـزَّ زمانٌ قد أقمتم به وأنـتم سَراتُه(٢)
يا شمـوسَ الزمانِ لولاكُمُ الدهرُ تعرّى وأظلمت بهجاتُه
ولما كان دينُنـا مستقيماً ولما أينعت لنا ثمـراتُه
خلّدَ الله ملـكـكم وارتضاكُم فى زمانٍ زانت بكم جُمْعَاتُه
هابكم دهرنا فلو أنـكم تَنْهَوْ نَه لم نَجُرْ بنا ساعـاتُه
كيف يعصيكم الزمانُ وأنتم حِزْبه بل لُيـوثه وكُماتُه
نُمِرُوه فهْوَ المطيعُ لـكم فيـ ـما أمـرتم وليس تُعْصَى سُعاتُه(٣)
أأذمُّ الزمانَ والعـدلُ فيه قائمٌ بيننا وأنـتم ثِقـاتُه(٤)
وبأيديكم الزمانُ وأهـلوهُ ومنكم حيـاتُه ومماتُه
وارفقوا سالمين فى دَرَجِ العَليا فإن العُـلَى لـكم درجاتُه
زانت الأرض والزمانُ بكم والـ ـعِلْمُ صارت مجموعـةً أشتاتُه
هاكَ مدحاً يا ابن الكرام كأن المسك منه تضوّعَت نفحـاتُه
بقَوَافٍ كأنها اللؤلؤ المكنون نظماً قد زينته مَهـاتُه(٥)

---

(١) الكماة : جمع كمى وهو الفارس الشجاع .
(٢) السراة : بفتح السين جمع سرى وهو السيد الشريف .
(٣) جمع ساع ، وهو من يسعى لخير الناس .
(٤) جمع ثقة ، وهو الرجل الموثوق به .
(٥) المهاة : الشمس .

وثغايا تحكى ثغايا حبيبٍ[١] بل حكته من ثغره رشفاته

فهو أحلى من المُنَى للموالى والمعادى تكفيكمُ حُرقاته

فاقَ كل القريض فاشتغل النا سُ بتفسيره وتاهت رُواته

إنما صاغَهُ[٢] القريض قليلٌ وكثيرٌ رُواته وشُداته

* * *

(١) الحبيب المحبوب .

(٢) الصاغة : جمع صائغ وهو ناظم الشعر .

القصيدة الثانية والثلاثون

وقال أيضاً : [من بحر الكامل]

ثنتـــانِ لا تنساهما واذكرهما ذكرُ الإلٰه وهازمُ اللذاتِ
واثنان لا تذكرهما واعرفهما سوء المسيء وفَعْلَةُ الحسفاتِ

* * *

القصيدة الثالثة والثلاثون

وقال أيضا : [من بحر الطويل]

أجمعُ أموالا وأشقَى بجمعها وأنسج آمالا بطـول حياتى
وأمسكها حيًّا وأعـلم أنهما سيأكلها عفواً حليلٌ(١) بَغاتى

* * *

(١) أى زوج .

القصيدة الرابعة والثلاثون

وقال فى الحكمة اللقمانية :

ثلاث خصال يفسدُ المُلْكُ عقدها ولا يستقيمُ الأمرُ إن هى حلَّتِ
فظلم الورى والبغىُ والجور ثالثٌ ويصلح مُلكُ الملك إن هى وَلَّتِ

معنى آخر :

مضَى عمرى فى حرث دنيا دنيَّةٍ ولم أرَ فيها من دوامٍ لحارثِ
وأشقى بجمع المالِ من كل وجهةٍ وأبخلُ عن نفسى لِأُسعِدَ وارثِى

* * *

القصيدة الخامسة والثلاثون

وقال فى الحكمة اللقمانية أيضا :

ثلاثٌ هلاك المرء فيهما تخلّها ... وعاصِ الهوى يا أيُّها المرابِثُ
هى الغضبُ المذمومُ والعجلة التى ... تذمُّ مع الأخيارِ والفحشُ ثالثُ

معنى آخر :

ثلاثٌ بهنّ المرء يصلحُ دينَه ... ويحمدُ بالخيراتِ عند البريةِ
خلاصُ الفتَى من كل حقٍّ لربِّه ... وصدقٌ يواخيه وإخلاصُ نيَّةِ

معنى آخر :

ثلاثٌ سقامُ الجسمِ والقلبِ عندها ... وصاحبها فى الشرِّ طولَ حياتِه
فكثرةُ وطْء للغوانى وتخمة ... وكثرةُ نومِ المرء فى غُدواتِه

* * *

قافيـــة الثـــاء

القصيدة السادسة والثلاثون

وقال الشاعر: [من بحر الطويل]

ثلاثٌ بهاءَ الوجهِ تذهب سرعةً فعوذوا بربٍّ من عوائق حادِثَهْ
طعامٌ ردىء والوقاحةُ بعده وكثرةُ ضحكٍ نهْيَ فى العَدِّ ثالثهْ

* * *

قافيـــة الجـــيم

القصيدة السابعة والثلاثون

قال الشاعر : [من بحر الطويل]

ثلاثٌ[1] حِلًى للرجالِ فهاكِها

تلوح بسطر الطِّرْس كالبدر فى الدُّجَى

مكارمُ أخلاقٍ وبِشْرٌ يزينُهُ مع الناس محمودٌ ، وتُلْها الحجى[2]

* * *

(١) حلية السيف ما يحلى به وجمعها حلى بوزن (رضا) .

(٢) الحجى : العقل .

قافيـــــة الحـــــاء

القصيدة الثامنة والثلاثون

وقال الشاعر : [من بحر الطويل]

ثلاثٌ تزيدُ الوجهَ نوراً ونضرةً[1]

فواحدةٌ تكفى الفتى وهى فالحهْ

طعامٌ زكىٌّ مع صلاة تطوُّعٍ وحُسْنُ حَياء فهى للوجه صالحهْ

* * *

(١) نضر وجهه ينضر (بضم الضاد) نضرة (بوزن بهجة) أى حسن ، ونضر الله وجهه أيضا .

القصيدة التاسعة والثلاثون

وقال الشاعر : [من بحر الطويل]

أبيتُ ولى قلبٌ قريحٌ من البُكا وعينٌ من الأشواقِ بالدمع تَسْفَحُ

وشوقٌ وبَلْبالٌ وفِكْرٌ ولوعةٌ ونارٌ من الهجران فى القلبِ تقدح

يزيدُ اشتياقى تارةً بعدَ تارةٍ إذا ما بدا برقٌ سرى باتَ يَلْمَحُ

وإن عَرَّضَت بالعارضيَّةِ[1] مُزْنَةٌ يكادُ لها قلبى من الشوق يطفَحُ

تذكَّرْتُ عهداً للحبيبِ وموضعاً به الندُّ والريحانُ والمسكُ يفَحُ

وأيامَ عُودُ اللهو غَضٌّ وإذ أنا صغيرٌ بميدانِ الشبيبة أمرَح

وأيام ذات الحِجْل[2] تُصْفِى لنا الهوى

ونمنحُها وَصْلاً وداداً وتمنَحُ

نقاةٌ تهادَى فى التَّثَنِّى كأنها

قضيبٌ[3] على حِقْفةٍ[4] الفتا يترنحُ

لها مبسمٌ عذبٌ وثغرٌ مُفَلَّجٌ[5]

وفرعٌ دجوجىٌّ[6] وخَصْرٌ مُوَشَّحُ

---

(١) اسم مكان .

(٢) الحجل بفتح الحاء وكسرها : الخلخال .

(٣) القضيب : الغصن .

(٤) الحقف (بكسر فسكون) الرمل المعوج .

(٥) الفلج فى الأسنان (بفتحتين) تباعد ما بين الثنايا والرباعيات .

(٦) أى شديد السواد .

وصدرٌ منيرٌ زَيَّنَ الحِلَى ضوؤه

ووجهٌ مضيءٌ من سَنا البدرِ أوضَحُ

وريقتها من ماء يبرينَ طعمُها

مَشوب بِصرف الراحِ إن هى تصبحُ

ولم أنسَ أيامَ العقـــاب وإذ أنا

أُكَتِّمُ سِرِّى فى الهوى وهْى تُوَضِّحُ

نبثُّ عقـــاباً بيننا وكأننى أُلَوِّحُ فى ودِّى لها وتصرِّحُ

ونخفى الهوى خوف الوشاةِ وإنما مدامِعُنا بالوجْدِ والشوق توضحُ

ولما رأتْ رأسى تلوَّنَ أعرضَتْ لأن الغوانى عن أخى الشيب تجنَحُ

تولَّتْ ولى قلبٌ يذوبُ مرارةً وعينٌ بسيلان المدامع تنضَحُ

فقلتُ لها خافى من الله ربَّنا فقالت لأن الشيب كالفقر أقبَحُ

ذهبتُ وما أدرى إلى أىِّ مسلَكٍ فها أنا فى بحر من التِّيهِ أسبَحُ

فبُدِّلْتُ بالنعماء بُؤسَى[1] وإننى رأيتُ المُنَى مما أُقاسيه أرْوَحُ

ولما رأيتُ الدهر ألقَى صُرُوفَهُ رجعتُ إلى الأمر الذى هو أصلَحُ

ويمَّمتُ عِيسى[2] قاصداً نحو سيد ولم تَثْنِنِي عنه فلاةٌ وصحصحُ

هو الماجد المعطِى الكريم بامعرب سلالة سلطان بن سيف الممدّحُ

مدحتك يا شمس الزمان وبدره بمدح صُراح لست غيرك أمدحُ

---

(١) البؤس والبؤسى : الفقر والشدة والضنك .

(٢) العيس : الإبل البيض يخالط بياضها شىء من الشقرة .

وهبتَ بلا منٍّ جزيلا من اللُّها[1]
فجارزْت حتى خِلت أنك تمـــزحُ
لقد قيدتْنى نعمـة حاتميةٌ[2] فلا تحسبنِّي عن حِوارك أجنحُ
ولا زلت فى نعماكَ أرفلُ شاكرا
ولم لايؤدِّى الشكرَ من هو يربحُ
ومَدحى لكم طول الزمان تجارتى
فها كمو ربحى ولا زلتُ أربحُ
لأنك بحرُ الجودِ والمجـــدِ والندَى
ولا زلتَ طـــولَ الدهر تُبْدِى وتفرحُ
فلا حاجةٌ إلا إليك مردُّها ولا أمر نَبْغى منك إلا وينجحُ
ولا معتفٍ[3] إلا ويرجعُ شاكراً
ولا سائلٌ يعروكَ[4] إلا ويفلحُ
ولا مُعْدَمٌ إلا وأصلحتَ شأنَه ولا بائس يأتيك إلا ويصلح
محيّاكَ[5] كالأقمارِ بَل هو أوضحُ
وحلمُكَ كالأجْبال بَل هو أرجحُ
وهاكَ عروساً تُجْتلَى بِنْتُ ساعةٍ ولم يَثنِها عنكَ البعـــاد المطوِّحُ

---

(١) اللها (بضم اللام) جمع لهوة (بضم اللام أيضا) وهى العطية .
(٢) نسبة إلى حاتم الطائى .
(٣) المعتفى والعافي : السائل الفقير .
(٤) عراه : قصده (٥) المحيا : الوجه .

تُفاخِرُ أشعارُ الأوائلِ فيكمُ مدَى الدهرِ لا زالتْ تسيرُ وتمرحُ
إذا وزنت بالشعر معنى ودقةً يخفُّ لها كل القَريضِ وترجحُ
وتزدادُ تجـديداً على الدهر كلَّما يمرُّ على الدنيـا مساءٌ ومُصبَحُ[1]
وإن قُرِئت يعفو لها كل مسمـع وخفٌّ لشاديها خفافٌ وترجحُ

* * *

(١) أى صباح .

القصيدة الأربعون

وقال أيضاً : [من الكامل]

لا بد من بعد النوى من زورةٍ تُسْلِي القلوبَ وتجلبُ الأفراحا
وتزيلُ عن أحشائنا وَصَبَ القَذَى وتُشَرِّدُ الأحـــزان والأتراحا[1]
وتبثُّ ما يعرَى القلوبَ من الأذَى وتبـــوحُ بالسرِّ الذى هو باحا
إن الحبيبَ إذا خـــلا بحبيبِه لا بدَّ أن يتداوَلُوا الأقـــداحا
هذا يعلُّ[2] وذاكَ ينهلُ تارةً لايسأمون عشيةً وصبـــــاحا
فإذاعةُ الأسرار عندى راحة للقلب ، كن للقائنـــا مرتاحا
إنى لأبغضُ مَن يسلِّم أمره لعدوِّه ويعيبُـــه إن باحا

* * *

(١) جمع ترح (بوزن فرح) وهو الحزن والغم .

(٢) العل الشرب الثانى ، والعلل أيضا مثله ، يقال : عال بعد نهل (بفتـــح اللام والهاء) ، عله أى سقاه السقية الثانية ، والنهل (بفتـح الهـاء) الشرب الأول ووزنه مثل طرب .

قافيـــة الخـــاء

القصيدة الحادية والأربعون

وقال الشاعر : [من بحر الطويل]

وذو الحلم لا تقـــــذى الأراجيف[1] قلبه
صَمُـــــودٌ لو انهدَّت عليه الرواسخُ
ولا تَطَّبِيه دعوة من مُخاتِل[2] ولا ناسخ القول الذى قال ناسخُ

* * *

(١) أى الأكاذيب .

(٢) المخاتل : المخادع . تطبيه : تنطلى عليه .

قافيـــــة الدال

القصيدة الثانية والأربعون

وقال الشاعر : [من مجزوء الكامل]

يا نفسُ أنتِ محـادِدَهْ بطبـائعٍ مقضادِدَهْ
وعدلْتِ عن قولِ النصيحِ وما اتَّبَعْتِ مقاصِدَهْ
فاستقبِلى لا تُدْبِرِى عنِّى فأنتِ مُباعِدَهْ
لا بدَّ يوماً أنتِ فيـ ـه إلى المقابر قاصدَهْ
يا نفسُ توبى وارجعى لا تُدْبِرِى مُتباعِدَهْ
لا تعزُبى كُونى معى فى الحالتين مُساعِدَهْ
كونى معى فى كل ما يُرضى الإلهَ مُجاهِدَهْ
واستأنسى ثم اصبرى فالصبر فيه فائِدَهْ
خافى العقابَ وحاذرى إبليسنا ومكايِدَهْ
ودعى الرذائل واتّقى ربًّا وكونى ساجِدَهْ
وتنبَّهى وتيقّنى لو مِتُّ أنك عائِدَهْ
لا تسلكى طرقَ المها وى والمساعى الفاسِدَهْ
فتجارةُ الإفسادِ فى سوق المكارِمِ كاسِدَهْ
ومتى فتًى نالَ المعا لى لا تكونى حاسِدَهْ
فإذا أطعتِ أقمتِ فى جنّاتِ عدنٍ خالِدَهْ
تجنين من ثمراتها من يانع أو جامِدَهْ

فيها نعـــيمٌ دائمٌ تحت الظـلالِ البارِدَهْ
مع حُورِ عِـينٍ خُرَّدٍ بيضِ حسانٍ ناهِـدَهْ
كاللؤلؤ المكنـونِ فى سُرُرٍ تُرَى مُتساندَهْ
فكُلى هنيئـاً واشربى من أنهرٍ مُتطـارِدَهْ
والطلـحُ والرُّمَّانُ فى أغصانهـا مُتغاضِدَهْ
فالوصف يقصُرُ عن صفا تِ نعيمهم والمـائِدَهْ
وإذا عَصيتِ هَويتِ فى قعر الجحـيمِ الواقِدَهْ
ماذا يقـولُ الواصفو نَ لهـا وما هى بائِدَهْ ؟
لو أطنبوا فى وَصْفِها دهـراً فكانت زايِدَهْ
يا نفسُ هٰذى غفـلةٌ عنها وإنك وافِـدَهْ
مالى أردِّد عيبَهـم مع خالدٍ أو خـالِدَهْ
أفما ترين عيوبَ نفسِـ ـك كالجبال الراكِـدَهْ
وأراكِ تنقـابين كـ ـلَّ أخى صفاء عامِدَهْ
أفتجحد الفعـلَ الذى تأتى وأنتِ الشاهِـدَهْ
قالت لسانك موضـع الغيباتِ وهْـو القاعِدَهْ
قال اللسانُ : محـرِّكى قلبٌ تبعتُ مقـاصِدَهْ
والقلب قال فلستُ أعلـ ـم جمعَ شمـلِ الشارِدَهْ
العينُ ثم العـين تبًّا للمـوارد واردَهْ
قال : العيـونُ محرِّكى أذنٌ وإنِّى راقِدَهْ

والأذن قالت : مُرْسِلى قلبٌ فصِرْتُ القائِدَهْ
قد صار كلٌّ يدّعى دعوَى وليست فائِدَهْ
قالوا تعالوا نحتكمْ فالجسمُ قاضى القاصِدَهْ
فرضوا جميعاً بالقضا والنارُ مأوَى الجاحِدَهْ
فقضَى بأن القلب سلـ طانٌ عليهم قاعِدَهْ
فالقلبُ سلطانُ الجوا رح كلِّها يا حامِدَهْ
فمتى بدا منه فسا دٌ فالرعايا فاسِدَهْ
ومتَى بدا منه صلا حٌ فالرعايا راشِدَهْ
فالحمدُ لله الذى فتح العيون الراقِدَهْ

* * *

القصيدة الثالثة والأربعون

وقال عام ١١٠٤ هـ : [من بحر الطويل]

بنيفا وشيـــدنا بنـــاءً معمَّـــــداً
ذُرَى غُرَفٍ شِيدَتْ على رغم حُسَّد
مضت مائة والألف مع أربـــع وأكرِم طويلا بالحساب المقيَّـــد
بدولة سيف اليعـــربيّ إمامنا سلالة سلطان بن سيف المؤيَّد

* * *

القصيدة الرابعة والأربعون

وقال يرثى السلطان الإمام سلطان بن سيف بن مالك :

[من بحر الخفيف]

هجرتْ بعدك العيـــونُ الرقادا ... وتملّت جفـــونُهنّ السهادا

نبأٌ كادت الكواكب تنهـ ... ـدّ له والرُّبَى تصير وهادا

وتكاد الأرضون تزحف والأ ... فلاكُ تنشقُّ خيفةً وانقادا

وتكاد الأرواح من لوعة الفقـ ... ـدان حُزناً تفارق الأجسادا

وتكاد القواضبُ[1] البُتْر من فقـ ... ـدٍ عليه تحاربُ الأغمادا

وقلوبُ الورى تطيرُ بلا عقـــلٍ وكانت مثل الرواسى شدادَا

ودَّ كلٌّ يفديك بالمال والأو ... لاد طُرًّا لو أن شخصاً يُفَادَا

ليلة الأربعاء كنْتِ إذْ غا ... دَرتِ فى بلقعِ اليفاعِ جـــوادَا

لوفاة الإمام ذى العدل سلط ... ان بن سيف تُحرِّكُ الآبادَا

كان للدين كعبةً ولذى الفضـ ... ـل مَـــلاذاً وللضعيفِ سِنـــادَا

ولأهل التُّقى مآلا وذِى الفا ... قةِ مالًا وللأنام عِمـــادا

ثم أضحى فى قعرِ لحدٍ وحيداً ... بعد عِـــزٍّ يُقلقلُ الأوتادا[2]

---

(١) القواضب : السيوف . وبتر بوزن رمح جمع باتر وهو السيف القاطع . والأغماد جمع غمد ، وغمد السيف : جرابه .

(٢) الأوتاد : الجبال ، جمع وتد ، وفى القرآن الكريم : « والجبال أوتاداً » .

لهفَ نفسى عليه من سيّدٍ لا ... زلتُ من سيْبِ كفه مُستفادا

سوفَ أبكى عليه ما دمتُ حيًّا ... بدموع تحكى الحيا[1] والعِهادا

ولو انى أبكى مَدَى الدهر ما أذْ ... رَيتُ[2] معشار ما بنَى لى وشادا

لستُ أُحْصى له فضائلَ تترَى ... جُمْـلةً كلما سألتُ أفادَا

يا لَهُ من إمام حق وصـدقٍ ... همُّه فى ذاتِ الإله اجتهـادَا

باسطِ العـدل باذلِ المال ملْكٍ ... يعربىٍّ أورَى الأنام زِنادَا

حيث ساسَ الورَى بعدلٍ وفضلٍ ... سادَ بالعدل من تولى وسادَا

قد حباهُ الإله مجـداً وعزًّا ... وسخـاءً وطارفًا وتِلادَا

شغلتْه العُلَى وكسبُ المعالى ... فنفَى عنه زَيْنَباً وسعـادَا

ليلَه ساهراً يُناجِى ويرجو ... الله يدعوهُ للأنام السدادَا

ملأَ الخافقين نَيلا[3] وجوداً ... والنواحى هـداية ورشادَا

ساسَ أهـلَ الآفاق بالرأ ... ى واللطفِ فصارُوا لربهم زُهَّادَا

رضىَ الله عنه حيًّا ومَيْتاً ... وحَباهُ الرضوان والإسعـادَا

بوّأ الله روحه فى نعيمٍ ... خالداً لا يخافُ فيه نَكادَا

كان بالأربعاء من شهر ذى القعـدة موتُ الإمام أعنى الجوادا

ومضى الألف بعد تسعين عاماً ... فى حسابِ التاريخ يُتْلَى عِدادا

---

(١) الحيا : المطر — العهاد : السحاب .

(٢) أدرى الدمع : سفحه .

(٣) النيل : البذل والعطاء .

بى من الحُزن والكآبةِ من فقدانـــه ما يقطّعُ الأكبـــادا

قد لَعمرى لولا أبو العرب السا مِى لصرنا بعد الإمام رمادَا

وابتُلِى النـاسُ بالبلاء عظيماً بيِّناً والصـلاحُ صارَ فسادا

واطْلخمَّ الأمرُ الشديدُ وأضحى الخلقُ بالويلِ والثبورِ تنادَى

لـكنِ اللهُ مَنَّ فضـلا علينـا بجـــوادٍ لا يخلِفُ الميعادَا

ولَعَمْرِى لو صوَّر الملكُ شخصاً كان رأساً وقلبَه والفـؤادَا

ما لقينا له عدوًّا من النـا س جميعاً ، أمثلُ هذا يُعَادَى ؟

قبلتِه القـــلوبُ فاتفق النا سُ عليه محبـــةً ووداداً

وكذاك العبادُ لو لم يخافوا ربَّهم أصبحـوا له عُبَّادا

جمـعَ اللهُ فى خلائقه الغُرِّ طباعاً تُنْسِى الأبَ الأولادَا

لا يبالِى بمـالِه لو سألنـا هُ جميعاً أعْطَى وثنّى وزادَا

روحَه إن تسألهُ يعطِكَها لـكن خَفِ اللهَ واعفُ واخشَ المعادَا

هَـكذا كان جدهُ وأبوهُ والفتَى الحرُّ يشبِه الأجدادَا

وكريماً يهجِّنُ الـكرمَ الفذّ نداه ويفضحُ الأجـوادَا

ومليكاً أحيَى لنا كلَّ فضلٍ وأمات الأضغـانَ والأحقـادَا

سيداً جَمَّعَ الأنامَ على حبٍّ له لا ترى له أضْـدادا

فهْو قد صار للإمامةِ أهلاً وهو كفءٌ لها أنتهُ تَهادى[1]

---

(١) أى تتهادى وتتمايل — بحذف إحدى التاءين .

يا سليلَ الإمام سلطانَ لا زِلْتَ إماماً ولا برحتَ تُنادَى
قد أتتْك الجموعُ خاضعة طو عاً وقد سلّمتْ إليك القيادا
وحـــرامٌ على النفوس التى تَرْ قَى العُلا أن تعطى سِواك المقادا
أنت نِعم الإمام بالفضل والإحـسـان والعُرف قد غمرْتَ البلادا
أنت يا ذا النوال كاسمكِ حقًّا وأنا قد بلغتُ المُـــرادا
أنت عيدٌ لنا وأيامنا صارتْ برؤياك كُلُّها أعيـــادَا
نشـكرُ اللهَ حين صرت إماماً للبرايا وقد ملـكتَ العبـادَا
طِبْ ونَمْ خالياً من الهمِّ والأ أشغال لا تخشَ فرقةً وبعادَا
زادكَ اللهُ منه فضلًا وإحسا نًا وإن كنتَ لا تروم ازديادَا
وأعزَّ الدينَ والحمى بك طرًّا وأذلَّ الأعـداءَ والحُسّادَا
عِشْ ودُم يا خليفةَ الله فى الأ رض ولا تخشَ روعةً وعنادا
وتملَ الأيامَ والدهرَ والد نيا جميعاً والعصرَ والآبادَا
يا بنى يعربَ بن زهران أنتم سادةٌ للورى وصِرْتم عِمـادا
بورِكَتْ من عصابةٍ قد بنى اللـــهُ لها فى العلياء بيتاً مُشادَا
وحَباها دون الأنام بمُلْك وكفاها الأضدادَ والأندادَا
خلّدَ الله مُلكَكمُ واصْطفاكم واجْتباكمْ إذْ صِرتمُ أمجادَا
دمّر الله باغِضيكمْ كما دمّـــرَ مِنْ قبلهم ثمـوداً وعادَا

* * *

القصيدة الخامسة والأربعون

وقال فى صباه : [من الكامل]

القلبُ طِرسِى[1] والدموعُ مدادِى والخط حشوى والدواه فؤادِى
والشوقُ خِدْنى والبكاء أليفِى من بَعْدِ بُعْدِكمُ حرمتُ رُقادِى
يا ساكِنى (منجِ) فؤادى عندكم طولَ الليالى دائمٌ بسهادِى
جسمى معى والروحُ فى (منجِ) ولى
قلبٌ يعــذَّب فى غرام بلادِى
لا زلتُ موجوعَ الحشا بفراقِكم يا ساكنى (منجِ) وأهل ودادى
ودعتكم قلبى وروحى والحشا والعقلَ ثم حُشاشةَ الأكباد
ما كان يوما بُعْدُنا بمُرادِكم كلا ولا يا سادتى بمُرادِى
فعليكمُ منِّى ســـــلامٌ دائمٌ باقٍ إلى يوم اللقا ومعادِى

* * *

---

(١) الطرس : الصحيفة التى يكتب فيها .

القصيدة السادسة والأربعون

وقال فى الغزل : [من بحر الطويل]

غزالٌ غزا قلبى بخيلِ صُدودِه ... وخدَّد أحشائى بوردِ خدودِه

وقدٌّ قُوَى صدرِى بقامةِ قدِّه ... وأردفَ أكبادى برمح نُهودِه

يماطلنى إنْ رُمت إنجازَ وعده ... بنفسى غزالٌ لا بقى بوعوده

ويُخْلِفنى لما طلبتُ وِصالَه ... ويعجزُ لى من وَعده بوعيده

أغارُ عليه من لِحَاظى فكيف لا ... أغارُ عليه من قلائد جيده

رعى اللهُ يوم البين جادَ بنظرةٍ ... على رَغم واشيه ورغم حسوده

تَجلّى نخلت الشمسَ تحتَ سمائه ... وولّى نخلتُ البدرَ تحتَ برود

ولا تنس إن جئتَ (الغوير) و(لعلعاً) ... فعرّج بوادى المُنْحَنَى و (زَرُودِه)

هنالك لى وُدٌّ قديمٌ وطالما ... شفيت جَوَى قلبى بِلَثْم صعيده

وحىَّ رُبَى نجد و (رَملة عالجٍ) ... ومرَّ (بنعمانٍ) وطُفْ بنجودِه

وسلّم على رَبْع لسلمى وزينبٍ ... به فتسكتْ آرامُه بأسودِه

وحدثْ عن الحىِّ الحُلُول بـ(ضارج) ... وأخبرْه عن بالِى[1] الهوَى وجديده

وشِمْ بارقاً (بالرقمتين) و (حاجرٍ) ... ولا تَسْلُ عنه إنْ وَفَى بعهودِه

وعرِّج على (وادى الغضا) وظلاله ... وخذْ خبرا عنه وعن روعة بيده[2]

* * *

(١) بالى : أى قديم .

(٢) البيد جمع بيداء وهى الصحراء الواسعة .

القصيدة السابعة والأربعون

وقال فى الغزل أيضا : [من بحر الكامل]

جارَ الحبيب على الكئيب ببُعده ... فغَدا حليفَ صبابةٍ من بَعْده

وغـــدا يعذِّبُ قلبه وفؤادُه ... بغرامهِ وبهجره وبصـــدِّه

فالجسم منه فى تهامةَ نازلٌ ... والقلبُ منه غائبٌ فى نجده

نُورٌ إذا رأتِ الغزالةِ وجهه ... ترتدُّ منه مثلَ فاحِم جَعْده[1]

ظبْيٌ مراعيه الحشا عجباً له ... ردَّ الشموس بفوره وبِسَعده

هذا الذى يَسْبِي العقولَ بلفظه ... وبلحظهِ وبدرِّه وبوَرْده

وبخَصْره وبنحرِه وبثغـــرِه ... وبهجرِه وببُعدِه وبقـــدِه

وبدلِّه ودلاله وجمـــــاله ... ومَلالِه وكماله وبِنَهـــــدِه

وبِنُبله وبمَطْـــله[2] وبعَدله ... وبجوره[3] وبفور جَوهر عِقْده

وبجيـــــدِه وبحُسْنه وبطرْفه ... وبخاله[4] وبفَوْدِه[5] وبجُعْـده

عجباً لطرفٍ يَكْلِمُ[6] الأحشاء ... والأكبادَ وهْو مزمَّلٌ فى غِمْده

---

(١) الجعد : الشعر المتجعد .

(٢) المطل : التسويف فى الوفاء بالوعد .

(٣) الجور الظلم ، جعل الهجر منه ظلما .

(٤) الخال علامة حسن وجمال فى الخد .

(٥) فود الرأس جانباه ، ويطلق الفود على الشعر مجازا .

(٦) يكلم (مثل ينصر) : أى يجرح .

يُصْمِى قلوب العاشقين إذا بدا ... أو إن تثنّى فى غلائل بُرْدِه
حازَ المحاسنَ كلَّها فى وصفِه ... وأنا أهيمُ بحبِّه وبوجدِه
لا زالَ يمنحنى البعادَ ولم يَجُدْ ... للصبِّ من هزلِ الكلام وجدِّه
ما ذا يضيرُ حبيبنا وخليلَنا ... لو كان يا ذَا صادقا فى وَعْده
كم عاذلٍ قد لامنى فى حُبِّه ... وأتى إلىّ بنُصْحه وبرُشْدِه
وأنا أقولُ فما أميلُ عن الهوَى ... مثلَ السخىِّ فلم يَمِلْ عن رِفْدِه(١)
لا تعذلنّ فتى أذابَ فــؤاده ... حبٌّ عظيم وهْو باذِلُ جَهدِه
أتلومُنى وأنا حلفت أليّةَ(٢) ... فوربه لا أنثنى عن وُدّه
وأحب طلعته وحسنَ طباعه ... أحببتُه يا صاحبى فى مَهْدِه
كيف الخلاصُ ولبُّ عقلى عنده ... لا زلت طولَ زمانه فى رفــده
أخذ الفؤادَ ســوادُه وبياضُه ... ما ضَرَّه لو أن يجـود بردِّه
إن كان هذا قاتلى ومُعذِّبى ... فأنا الذى راضٍ عليه بقصدِه
فليقض يا ذا ما تشاء مِن القضا ... فاللهُ يفعلُ ما يشاء بعبده
لا خير فى حرٍّ يدوم على الخنا ... لو كان يملك ذا الزمان بجُنده
إذْ صار عن نهج الهدى متكبراً ... لا خير فى هذا ولا فى مجدِه
خيرُ الرياسة من أطاعَ إلٰهه ... وغدَا له متوضِعاً فى زُهده
إن الذى قد صدَّ عن نهج الهدى ... يجفــوه فى دنياهُ أو فى لَحْده
وسألت ربى أنْ يمن بفضــله ... للمؤمنين القــائمين بحمــده

* * *

(١) السخى : الكريم . الرفد : العطاء .
(٢) الألية (بتشديد الياء) : اليمين .

القصيدة الثامنة والأربعون

وقال أيضاً : [من بحر الكامل]

قد كان قلبى قبله متحيراً ... فى أمره لما أتانى فاهْتَدَى
قبّلْته ولثَمْتُه وضممتُـــــه ... ونشرتُه وقرأْتُه لما بدَا
وطويْتــه ونشرتُه وضممتُه ... فرحاً به فأزالَ عن قلبى الصدَى
مِن سالم بن محمدٍ أهل التقَى ... والفضل والجود المؤثّلِ والندَى
وابن الذين جدودُهمُ مشهورةٌ ... بفضائلٍ ووسائلٍ فى المفتقَدَى
لا تحسبنَّ البعد يُفْسد ودَّنا ... أو قول حاسدنا وإن طالَ المدَى
واسلمْ سلمتَ سلامةً محروسةً ... فى حصن بهلا فى النعيم مُخلَّدَا
ثم الصلاةُ على الشفيعِ المرتضَى ... أهل الرضى أعنِى النبىَّ محمدا

* * *

القصيدة التاسعة والأربعون

وقال فى مدح الإمام سلطان بن سيف بن مالك : [من الخفيف]

مُنِعْتُ مُقلتى لذيذَ الرقادِ ... فاستبدَّتْ من بَعْدِكم بالسُّهادِ
وكذا الجسمُ لا يقر على فرْ ... شٍ كأنَّ الفِرَاش شوك قَتادِ
قد أطلتمْ بعادَنا بَعْد قرب ... ما علمتم عذابنا فى البِعادِ
طالَ ما قد سعدت دهـــــراً
بلقياكمْ ولكن ما دامَ لى إسعادِى
إنَّ صبْرِى من بَعْدِكم فى انتقاصِ ... قدْر شوقى إليكم فى ازديادِ
وحنينى عليكمُ وأنيـــــنى ... كيفَ أخفى هوايَ والحالُ بادِى
وعجيبٌ أهْوَى لقاكم وأنتم ... ساكِنُو مُقْلَتى مَحلَّ السوادِ
يا أهَيْلَ (الغُوَيْرِ) لا غرو إن أصبحتُ
مِن بَعْدِكم كَئيبَ الفـــــؤادِ
قد لَعمرى حُلتم عن الوعد والعهـــد وما حُلْتُ قط عن مِيعادى
آهِ وَاسَعدنا إذا ساعد الدهـــرُ بلقيا (بثينةِ) وسعـــــادِ
لم يزلْ قدُّها يقـــــدُّ قلبى ... وكذا خدُّها يخـــدُّ فؤادِى
إن حَرَّ الأكبادِ والقلب والأ ... حشاء من جَمْر خَدِّها الوقَّادِ
ومَرَامى أن لا يفارقنى السقمُ ... لكيما تكونَ من عوَّادِى
إن دائى هِجرانُها بعد مَطْلِ ... والتجنِّى والبعدُ بعدَ التمادِى

ودوائى من السقامِ ارتشافُ الريق مع ضمٍّ غُصنها الميّادِ(١)
واعتلاقُ(٢) الخدودِ شمًّا وضمًّا واعتناقُ الأجيادِ بالأجيادِ
والتفافُ القدين عركاً وتقبيلاً وضمُّ الأكبادِ بالأكبادِ
فتنة للأنامِ لولا هَـــواها ما غدا فى الهوى صلاحُ فسادِ
قد كَوَتْ مهجتى بجمرةِ خديها وأضنتْ جسمى بسُقمٍ حِداد
فاحتويتُ الغرامَ دونَ البرايا واستبدَّتْ بالحسنِ دون الخرادِ(٣)
تتهادَى تيهاً وتمشى رُويدًا وتثنّى(٤) بالحُلَى والأبرادِ
أرَجُ المسكِ والرياحينِ طبعاً والشذَى فى ارتدائها والجسادِ(٥)
غضةٌ بضّةٌ مَيُودٌ رَدَاحٌ طَفْلَةُ الجسمِ قلبُها كالجمادِ
واستمرتْ على الجفاء وإنّى لم أحُلْ عن مودتى ووِدادِى
أخلفتْ ودّها طِوالَ الليالى فمحاهُ الزمانُ محوَ المِدادِ
محوَ بأس الإمام ذى العدل سلطان
بن سيف شحرور كيْدِ الأعادِى
هو بحرُ السخاء والجودِ والإحســـان والفضلِ والهدى والرشادِ

---

(١) الميّاد : المتمايل مع الريح .
(٢) علق الرجل بحبيبته من علاقة الحب ،واعتلقها :أحبها . والعلق أيضا : الهوى وقد علقها أى هويها . والاعتلاق أيضا : التناول والالتزام .
(٣) جمع خريدة ، وهى المرأة الحسناء .
(٤) أى تتمايل بحذف إحدى التاءين .
(٥) الجساد : القميص الذى على الجسد .

يعربيٌّ مهذبٌ ماجدٌ معطٍ سَرِيٌّ كهفُ الهدى خيرُ هادِي
أسدٌ فارسٌ جميلٌ جـــوادٌ سامك البيت طاهرُ الأجدادِ
أَوْذَعِيٌّ سَمَيْذَعٌ أَرْيَحِيٌّ هو بحر للجودِ خيرُ جـوادِ
جعل اللهُ ملـكه خالداً فينا على رغم جمـــــلةِ الحسّادِ
عِشْ وجُدْ واسْمُ واستفِد وتفردْ وابقَ فى الملكِ يا كريمَ الأيادِى
واحمِ واغزُ العِدى وغمَّ الأعادِى
وارعَ واجلُ القذى وحقِّقْ مرادِى
أنتَ عشْ وانتعشْ وزدْ واحم واحمد
واسلُ واسترْ أيا طويلَ النجـــادِ
أنتَ وابناك أهلُ فضلٍ وعدل واعتزاز وعـــــزةٍ وسدادِ
ثبتَ اللهُ ملـكـكم وارتضاكم واصطفاكم على جميعِ العبادِ
وغدا مدحُـكم يكررُ فى كل النوا حِى بمصر والشام أو بغدادِ
وسكنتُم (نَزْوَى) وجندُكمُ فى الردع والحرب فى أقاصى البلادِ
وغدَا فى الصَّغَار والهون والذ ل أسيراً لم يُفْدِه اليومَ فادِى
سكنَ الوعْرَ بعد ما قر عينا فتراهُ يهيمُ فى كلِّ وادِى
دمَّر اللهُ ملـكَه أينَ ما كان يُنادَى عليه فى كلِّ نادِى
قد طلعتم عليهم طلعةً تعرف بالبيض واللدان[1] الصِّعـادِ
بمساعيرَ فى الجـلادِ خفاف مَعْ حُلوم[2] تميلُ بالأطْوادِ

---

(١) جمع لدن وهو الرمح . (٢) الحلوم : العقول .

وقسىٍ[1] صُفْر بأيدى شيوخٍ ليس تُخطِى مَتينة الأعـوادِ
وشباب أشدُّ بطشاً من الأُسْـد شـداد تخالهم فى الجلادِ
لايقرون جنبَهم فى الحشايا يقطعُون الزمانَ بالاجتهادِ
فى جموشٍ تموجُ كالبحر طوفا ناً وترمى الأمواجَ كالأوتادِ
بخيولٍ شوازبٍ[2] ضُمرٍ قبٍّ كرامٍ مطهماتٍ جيادِ
فكأنَّ الجيوشَ من ريح عادٍ وكان الأعداء سِرْبُ الجرادِ
فرقَ اللهُ شملَهم ورماهم دهرُهم بالعمَى وطولِ النكادِ
أحرقتْهم حرارة الحقد فى الصدْ رِ فصاروا بحقدهم كالرماد
وعذاراهم عَدت بعد لُبس الخز تختالُ فى الثيابِ الحدادِ
يا فتَى سيفنا ويا ملجأَ الأَ خلاقِ بل يا مهجن الآسادِ
إنَّ مَدْحى لكم به أرتجى الفو زَ غداً والنجاةَ يومَ المعادِ
وسُروراً لها وحزنَ الأعادِى هذه نيتى وهذا اعتقـادِى
واعتمادِى أن لا أخصَّ سِواكم بامتداحِى لأن هذا اعتمادِى
واعتيادِى مدحى لكم وثنـائِى
لستُ أهوى فى الطبْعِ غيرَ اعتيادِى
هاكَ يا ابنَ العُـلى عروساً تهادَى فى ثيابِ الأمجادِ والإيجادِ
حاكَها ماهرٌ حليفُ القوافى حَزنُها الصعبُ عنده كالوهادِ

---

(١) جمع قوس . (٢) شوازب : طوال .

هى كالدرِّ والجُمانِ نقـــــاء بنت فكرٍ كريمةِ الميـــلادِ
ذاتُ حسن لها على الشعر فضل مثل فضل الآباء والأجـــداد
زَانَها مدحكم وجودة ألفا ظِ دِقاقٍ مع المعانى البوادى

* * *

القصيدة الخمسون

وقال يمدحه أيضاً : [من بحر الطويل]

بعادُك يا عذبَ الثنايا ولا الصدُّ وصدُّك يا حلوَ السجايا ولا البعدُ
بَعدْتُمْ فزادَ القلبُ شوقاً وحسرةً قربْتم فزادَ الهمُّ والحزنُ والوجدُ
إذا لم يكن من ذَيْنِ بُدٌّ فليس لى عزاء ولا لى من لقائكمُ بدُّ
وإنى لفى همٍّ وفكرٍ وحيرةٍ إذا دَامَ لى هذا الجفاء وذَا الصَّدُّ
إلامَ النوى والبعدُ والهجرُ والقلى
وإعراضُكم والنأىُ والدخلُ والحقدُ
فلاغروَ إنْ أجريتُ من بعد نَأْيِكُمْ دُموعًا على خَدٍّى يضيقُ بها الخد
وإنى لا أنفكُّ من غُلّةِ الصدى إذا لم تَجُدْ بالوصل لى والهوى وعدُ
فتاةٌ كأن الشمس فوق جبينها تلألُؤ إشراقا وقد حلَّها سعدُ
أغصنٌ نقا ذيَّاك أم خُوطُ بانةٍ تميلُ به الأردافُ أم ذلك القدُّ
وتحت لثامِ الثغرِ دُرٌّ ولؤلؤٌ وحبُّ جُمانٍ أم ثناياك أم عِقْدُ
ووجهك أم بدرٌ وشمسٌ مغيرةٌ وخدُّك أم ماء النضارِ أم الوردُ
وفى صدرك المصقولِ رمحٌ محدَّدٌ يمائلُه حُقٌّ مِن العاجِ أم نَهْدُ
يكادُ يقدُّ[1] القلبَ من قبلِ بَرْدِه
وينقدُّ فيه ليس يمنعُه جِلْدُ

---

(١) قد الشيء : شقه وقطعه .

وزَندُكِ هذا أم نُضارٌ[١] وفضةٌ
وريقُك أم صرفُ المدامة[٢] أم شَهْدُ
ومن أعجبِ الأشياء ريقُك فى فمى زلالٌ برودٌ وهْو فى كبدى وقْدُ[٣]
يُهَيِّجُ نارَ الشوق والوجد والأسى فأعجب به من مُسعرٍ جمرُهُ بردُ
شفاء وداء للقلوب لأنه
تذوبُ له الأحشاء والقلبُ والكبدُ
شفاء إذا ما القربُ جادَ بلثمةٍ وداء لنا إن سخا إمَّا تضمَّنهُ بُعدُ
وأعجبُ مِن ذا أن جسمك ليِّنٌ
وقلبَك يا عذبَ اللَّمى[٤] حجرٌ صلدُ
أنُصفِى الهوى يا قلبُ من لا يودُّنى
فما يستحقُّ الودَّ من لا له ودُّ
فلستَ بقلبى إن وددتَ سِوى
الذى له الشكرُ والعلياء والكرم المدُّ
ومَنْ كفُّه بحرٌ ومَنْ نَيلُه حَيًا ومَنْ خوفهُ فى قلب أعدائِه يَغْدُو
ومَنْ يفضح الشجعان بأساً وشدةً
ومَنْ ماله فى الجودِ يقسمه الوفدُ

---

(١) النضار : الذهب .
(٢) المدامة والمدام : الخمر .
(٣) الوقد : الحرارة .
(٤) اللمى : سمرة فى الشفة تستحسن ، ويطلق مجازا على الشفة السمراء نفسها .

ومن يحقرُ الدنيا جزاءَ لمادحٍ ومَنْ كلُّ عينٍ ترتضيه إذا يبدُو

ومَنْ بيديه الأمرُ والنهْيُ فى الورَى

ومَنْ فى ذُرَا العليا له الشكرُ والحمدُ

ومَنْ بيديه الملكُ والعدلُ والهدَى وتدبير أمرِ الخلقِ والحلُّ والعقدُ

ومن هو فى الدين الحنيفى قيِّمٌ ومَنْ هو فى تدبيره مَلِكٌ فردُ

هو العدلُ « سلطانُ بن سيف بن مالك »

إمامُ الورى الزاكى الفتى الملك الجعدُ

يجلُّ عن التمثيلِ بالبحرِ راحةً[1] ولكنَّ من جدوى يديه له مدُّ

ولا الأُسْدُ فى البأساء لكن تعلمت

فأضحى له التشريفُ من بأسِه الأسدُ

فما[2] عاملٌ إلا وأنت سِنانه ولا راحةٌ إلا وأنت لها زندُ[3]

ولا حازمٌ إلا وأنتَ جناحُه ولا صارمٌ إلا وأنت له حدُّ

مُرِ الدهرَ يفعلْ ما تريدُ فإنه مطيعٌ لأمر السيّد المرتضى العبدُ

غمامٌ نداه يخجلُ الغيثَ هامياً سخاءً ولا برق لديه ولا رعْدُ

عفاتُك للطاغين بيضٌ[4] صوارمٌ ومعلمة صُفْرٌ ومقربةٌ جُـــرْدُ

---

(١) الراحة : الكف .

(٢) عامل الرمح : ما يلى السنان ، وهو دون الثعلب .

(٣) الزند : موصل طرف الذراع فى الكف .

(٤) البيض : السيوف . الصوارم : جمع صارم ، وهو السيف القاطع .

وسُمرٌ لدانٌ ذابلٌ[١] وعواسلٌ وشيبٌ وشبانٌ جهابذةٌ مُرْدُ

تُحامِي عن الدنيا كأنك والدٌ شفيقٌ على كل الورى وهُمُ وُلْدُ

لأنّك سيفٌ يابنَ سيفِ مالك وولدك سيفٌ والزمانُ لكم غمدُ[٢]

وأنّك فى عـــــزٍّ أنيلٍ ورفعةٍ

مليكٌ تساوَى عندك النحسُ والسعدُ

ولولاكَ صار الدهرُ للناسِ عبرةً ولا ظهرَ التقوى ولا عُرفَ الرشدُ

ولا ظهر الدينُ الحنيفى ولا الهدى

ولا اشتهرَ الجدوى ولا ذكرَ الرّفدُ

ولا التذّ أهلُ الدهرِ يومًا برقدةٍ

ولا سُلّ سيفُ الحق وانقشرَ العهدُ

ولا ثبتتْ للدينِ سورٌ وكعبةٌ

ولا شرُفتْ (نَزْوى)[٣] ولا بُنِيَ المجدُ

فجدْ بالذى يفنى ولو كثرَ العدى أجُدْ بالذى يبقى كما بقى الخلدُ

ومن أينَ ذا يفنى وإن ثوابَه لباقٍ بقاء الدهر ما بَعْدَه بُعدُ

إذا شئت جدواه فحُلّ برحله وسلم ولم ينطق سؤالٌ ولا وعدُ

فطوبى لكم يا آل يعربَ إنكم رقيتم رقيًّا فى العُلى ماله حدّ

---

(١) الذابل: الرمح. والعاسل من عسل الرمح إذا اهتز واضطرب فهو عاسل وعسال.

(٢) الغمد : جراب السيف .

(٣) نزوى ، المدينة العلمية والدينية فى عمان .

ودُونكم غراءُ[1] زُفَّتْ إليكم تفاوَحَ منها المسكُ والعنبرُ الوردُ
عروساً فى بُرُودِ حليـــلةٍ مفوقةٍ ماضمَّ أمثالَها بُرْدُ
أبوها (جميـلٌ) و (للـبرَّدُ) عمُّهـا
و (قيسٌ) لها خالٌ و (أوسٌ) لها جَدُّ
فأجـــزلْ لها مهراً جزيلاً فمـا لها
سوى قصدِكم والعزُّ من سُؤلِها قصدُ
تسيرُ مسيرَ الشمس شرقا ومغربا وتظهرُ جدواكم ولو كَرِهَ الضدُّ
قوافٍ إذا أُنشدْنَ يوماً بمجلسٍ تفاوَحَ منها العطرُ والنشرُ والنَّدُّ
تبث ثناء ليس يحجبُ سيْرَها إذا غامرتْ فى السيرِ غورٌ ولا نجدُ

* * *

(١) قصيدة غراء : أى بليغة جميلة تجتلى لجمالها وحسنها .

القصيدة الواحدة والخمسون

وقال يمدح أبا العرب بن سلطان [من بحر الخفيف]

إن يومَ الفراق كان شديدا فانقصاً من ملامتى أو فزيدَا
لست أصغى إلى مقالِ عـذولٍ لاتطيـلا الملامَ والتفنيـدَا
خلّيانى وحالتى قد كفانى ما أُقاسِي ولستُ أبغى مزيدَا
ليسَ لى فى الغرامِ رأىٌ ولولا الحبُّ لم تقنص الظباء الأسودَا
واتركانى أبكى وأندبُ أطلا لًا بحزوى وعالجٍ وَزَرُودَا[1]
فلعلِّى أشفى الغليلَ من الشوق بلثمى أثافيًا[2] وصعيـدَا
لامنى العاذلونَ جهلًا فقد ضلوا بتفنيدهم ضلالاً بعيدَا
مذ تولّى الفريق فارقتُ صبرى وألِفْتُ الغـرامَ والتسهيدَا
أيها المعرضونَ أعرضتمو عنى فأصبحتُ هائمًا معمـودَا
ومن العجيبِ لا أريدُ سواكم وتصدُّون عن لقائى صـدودَا
قد نأيتمْ عنى وقد كانَ عيشى قبل هـذا البعـادِ عيشًا رغيداً
فوصلتُ السهادَ ليلا طويلا وهجرتُ الرقادَ هجراً مديدَا
قد بعدتمْ عنى فعذبتمُو قلبى بهجرانكم عـذابا شديداً
أتمنّى بأن تعـودَ ليالِينا وظنّى بأنها لن تعـودَا
وعسى الدهرُ أن يجودَ بلقياكم وظنّى بأنه لَنْ يجـودا

---

(١) أسماء مواضع : زرود ممنوع من الصرف وجر بالفتحة .
(٢) الأثافى : الحجارة يوضع عليها القدر .

يَحْسَب العاشقون من شـــدةِ التعذيبِ لايبعثونَ خلقًا جديدا

قلْ لأهلِ الغرامِ والحب والهجران

كونوا حجارةً أو حـــديدَا

ما لهمْ طولَ دهرِهم لا يفيقونَ ويُبْدُون للورَى تجليـــدَا

وتُقِرُّ الدموعُ منهم بما يخفون فى الحبِّ إن أرادُوا جحودَا

كلما أخلقَ الهوى جَدَّدُوه بمُنَى أحدثُوا لها تجديدَا

مثلُ هذا العذاب إن أخلقُوا جلداً من النار أحدثوا هم جلودَا

ما دواء العشاقِ من ألم الشو قِ سوى أن تلقى الخدودُ خدودَا

من لقلبٍ معذب صار فى قيدٍ وأضحى من الغـــرام عميدَا

ليس إلا بلعربًا من ملاذٍ إنه كان فعلُه محمـــــودَا

السرىَّ القرمَ الجوادَ الموالى الحكيمَ السهلَ الحليم الرشيدَا

المجيرَ الجانى إذا جاءَ عذْرا والسخىَّ المعظَّم المصمـــودَا

ذَا العطايا الغرِّ السنىَّ المحامِى والمصافى العذبَ الحسامَ الحميدَا

يا فتَى المرتضَى الإمام الذى صا رَ شقىُّ الورَى به مسعودَا

يا فتى أكرم الأنام غدا الجود بجـدْوَى يديكمُ موجـودَا

يا سليلَ الـكرامِ صارتْ لك الأ عـداء بالجودِ والسخاء شهودا

وتخرُّ الملوكُ صاغرةً طوعًا وكَرهًا إلى ذُراك سُجـودَا

فتَمَلَّ العليـــاء وابلُ الليالى وأذلَّ الغاوى وأغنِ الوفودا

واسترق الأحرارَ بالجـودِ والجدوى

وأجـــزلْ لهم يكونوا عبيدَا

أنت يا ابن الكرام أكبرهم مجداً وأنداهم ندًا ووجودا
وأعزُّ الورى وأرفعهم عيصاً[1] وأزكاهُمُ حمًى وجدودَا
وأجلُّ للملوك قدرًا وأوفاهم عُهودًا ورتبةً ووعودَا
أنتَ أعلاهُم وأعظمهم حالا وعدًا وعدة وجنودا
أردُ الجودَ من حياضِكم لا زا ل بالجود حوضُكم مورودَا
لم يزل ملكُكم قويًّا وجَدْوَا كمْ عزيزًا وبابُكم مقصودَا
وحماكم مجلَّلاً وندا كُم مستفيضاً وضدُّكم مطرودَا
ويداكُم مبسوطةً وعداكم في سموم وجاهكم ممْدُودَا
وسرايا كم كراماً ومثواكم رفيعًا وضدكُم مَفقودَا
هاكَ يا ابن الإمام مدحاً كأنّ النشرَ منه يحكي مَلَابا وعودَا
مستنيرًا كأنه الشمس لألاءً وكالزُّبرقان[2] لاقى سعودَا
وقوافٍ لو أبصرتها الغوانى نظمتْها قلائدًا وعقودَا
بمعانٍ أرقُّ من جَسد الما ء لكن تُفتِّتُ الجلمودَا
فهى تسْلِي القلوبَ من كل بَلْبـ ـالٍ[3] ولكنْ تضنى اللئيمَ الحسودَا
ليس كل القريض شعرًا ولا كلُّ رضاب يُعَدُّ شهدًا بَرُودَا

* * *

(١) العيص : الأصل .
(٢) الزبرقان : القمر .
(٣) البلبال : الهم والحزن .

القصيدة الثانية والخمسون

وقال الشاعر : [من مجزوء الكامل]

إمَّا فَرَرْتَ من العِدَى أين الفرارُ من الردَى ؟
وإذا سلمتَ اليوم منه يأتى القضاء به غدَا
فإذا أتَى ماذا تقو لُ إذا دَعاك إلى الندَا
الرأىُ منِّى إنْ أتى قُلْ مرحبًا بك إن بدَا
لو تُفْتَدى منه بملء الأرض لم يُقبلْ فِدَا
لو كنتَ فى ظلماتِ بحرٍ زاخرٍ لك لاهتدَى
أو كنتَ فوقَ الراسيا تِ الشامخاتِ لأنجدَا
فتأهَّبنَّ ولا تكن فى غَفْلةٍ متردِّدَا
فلعلَّه يأتى مفا جأةً فكن متزوِّدَا
لا تلقَه برذائلٍ مقلوثًا متعمِّدَا
إن كنتَ تبغى الفوزَ فى روضِ الجنانِ مخلَّدَا
فاغسلْ يديك من الزما نِ وأهلِه متفرِّدَا
واعبدْ إلهَك بكرةً وعشيةً طولَ المدَى
وانفعْ بما تُؤْتَى ولا تُطْلِق لسانَك للجدَى
لكن إذا أُعْطِيتَ شيئًا لا تَرُدَّ المُسْعِدَا

* * *

القصيدة الثالثة والخمسون

وقال الشاعر [من بحر الطويل]

أبَى الله أن يعطى الفتى ما يودُّه ... وإن شاءَ أمراً بامرىء من يردُّه؟

وما المرء إلا صورةٌ وبهيمةٌ ... يزيفُه حسنُ الطباعِ ورشدُه

فهذا محالٌ ما لَه قطُّ غايةٌ ... انشرح شَيئاً لَيْس يُبلغ حدُّه

إذا ما رضيتمْ بالقضاء استرحتم ... وما ضرَّكُم سوء القضاء وجَهدُهُ

* * *

القصيدة الرابعة والخمسون

وقال الشاعر وقد بنى مسجداً من ماله عام ١١١٣ هـ فى مفتح :

[من بحر الطويل]

بنينا بأرضِ الله لِلّه مَسجدا ... به نرتجى الغفرانَ والفوزَ فى غدِ

بنيناه برًّا لا رياءً وسمعةً ... لوجه إلهِ بالعُلى متفردِ

عسَى اللهُ يجزينا به خيرَ منزلٍ ... وخيرَ محلٍّ فى النعيمِ مخلدِ

أيا مسجدًا فى بقعةٍ علويةٍ ... لقد فقت ترتيبا على كل مسجدِ

فلا زِلْت معمورًا ولا زِلت عامرًا ... تبارَك مأوَى كل هادٍ ومهتدِى

قد اختارَك الرحمن فضلاً ببقعةٍ ... مباركة قدست عن كلِّ مُلحدِ

فبالحق لو أعطيت حقكَ كاملاً ... تشابُ بمسكٍ لا تشابُ بِقَرْمَدِ (١)

وبسط الثرَى باللؤلؤِ الرطبِ نَسْجُها

وجُدْرُك تُبْنَى من لُجَينٍ وعَسْجَدِ (٢)

ويُتْلَى كتابُ الله فيك تبرعاً ... وتذكرُ بالخيراتِ فى كلِّ مَشهدِ

عَلَى من يصلى فيك ألفُ تحية ... وألفُ سلام بالسكينةِ يَرْتدى

---

(١) القرمد : الحجارة ، تشاب بالبناء للمجهول : تخلط وتمزج .

(٢) اللجين : الفضة . العسجد : الذهب .

وبيض كأمثالِ الشموس لوامعاً ملابسُها من سُنْدُسٍ وزبرجدِ
وغيدٍ كأمثال الجواهرِ خرَّد نواعم أبدانٍ عفائفَ نُهَّدِ
قلائدُ فى أعناقِها ونحورِها مفصلةٌ من لؤلؤ وزبرْجَدِ
لها أوجه مثل البدورِ كواملا تَلألأ فى جُنْحٍ من الليلِ أسودِ
كَوَاعِبُ خيراتٍ حسانٍ عرائسٌ أُعِدّتْ جزاءً للمطيعِ المُوحِّدِ
خذُوا حظَّكم منها وصلُّوا صَلَاتكم
وأدُّوا زكاةَ اللهِ طاعةَ سيِّدِى
أيا عصبةً قاموا بمسجدِ ربِّهم فإن شاءَ يؤتيهم نصيبَيْنِ فى غدِ
ليعلمَ قوماً بعدنا أن ماله
من النخلِ والأشجارِ والأرض فاهتدِى
ويا سامعًا قولى سَلِ اللهَ رحمةً ومغفرةً أدعوك إن كنت مُسْعِدِى
وتاريخُه يومًا جعلناهُ مسجدا بشهرِ ربيعٍ فى الحسابِ المعدَّدِ
وألفٌ مضَى من بعدها مائة خلتْ ثلاثةَ عشرٍ فى حسابٍ مقيَّدِ
بدولةِ سيفٍ ذى المعالى إمامِنا سلالةِ سلطانِ بن سيف المؤيدِ
وعاملُه العدلُ الولىُّ حبيبُنا به عامرٌ أعنى سليلَ محمدِ
وصلِّ إلهى كلَّما لاحَ بارقٌ على المُصطفَى هادِى البريةِ أحمدِ

* * *

القصيدة الخامسة والخمسون

وقال الشاعر [من بحر الطويل]

أتانى كتابٌ من سليلِ محمدٍ ... حليفِ الوداد العذْبِ أهل التودد

فتى ذُوندىّ نسلُ الكريمِ بلعربِ ... سلالةُ عبدِ الله أهل التهجُّدِ

أتانى كتابٌ منك يا ابنَ محمدٍ ... فكانَ لقلبى كالزُّلالِ المبرَّدِ

ولما أتانى غدوةً وقرأتُه ... سلا القلب عن ذكرى طلولٍ ومعهدِ

وعن جيرةٍ بالمنحنى وملاعبٍ ... بحُزْوَى وعن زيدٍ وعمرو ومَزْيَدِ

ولم أنسَ أياماً لفا وليالياً ... حساناً نقضّيها على رَغم حُسَّدِ

صفاعة فكر كالجواهرِ رُصِّعَتْ ... تماثيله من لُؤلُؤٍ وزَبَرْجَدِ

أتى صادرًا نظمًا ونثرًا سطورُهُ ... ضمينة طِرسٍ كالجمانِ المنضَّدِ

ترَى فيه أبكارَ المعانى كأنّها ... قلائدُ عقيانٍ(١) بأجيادِ خُرَّدِ

تفاوحَ ريحُ المسكِ من نشرِ طيبهِ ... تَفاوُحَ ماء الوردِ فى خد أغيدِ

وحسنُ ثناء مع سلامٍ منمَّقٍ ... أتَى واردًا من سيِّدٍ لِمسوَّدِ

ولما قرأتُ النظمَ جاشَتْ قريحتى ... كآذىٍّ(٢) بحرٍ بالفصاحةِ مُزْبِدِ

فلا تحسبنَّ البعدَ يُسلى أخا الهوى ... كريمًا وإن كانوا بأبعد مَقْعَدِ

ولا تحسبَنَّ المُعْوَلىَّ محمدا ... يُضَعْضِعُهُ زلزالُ واش وحُسَّدِ

وعِشْ فى سرور وابقَ فى نِعَمٍ ودُمْ ... بخير وفى نُعْمَى وَعزٍّ مُخَلَّدِ

* * *

(١) العقيان: الذهب الخالص. أجياد جمع جيد. الخرد: النساء الجميلات جمع خريدة.
(٢) الآذى : اللج .

القصيدة السادسة والخمسون

وقال الشاعر: [من بحر الطويل]

إنّ الذى نهواهُ منك لحاضرٌ ... فى فيضِ كفّك والزمانُ مُساعِدُ

واشْدُد يديك بنا فإنّك جارُنا ... لا تيأسنّ فإن حظّكَ صاعدُ[1]

سَمْعًا وطوْعًا للحبيبِ ومرْحبًا ... بجواره فالقربُ منه مساعد

لا زِلْت مسرورًا بنا ولِقائِنا ... ولنا دواما من لديك فوائِدُ

* * *

(١) صاعد : فى ارتفاع دائم .

القصيدة السادسة والخمسون

وقال الشاعر فى مدح النبى محمد ﷺ : [من بحر الطويل]

ألَا إننى فى نعمـــةٍ ومسَرةٍ وصحةِ أعضاء بذكرِ محمـــدِ
بَدَا لى من الأشواقِ ما لا أطيقهُ لرؤيةِ قبرِ الهاشمىِّ محمـــدِ
تبدَّى لنا نورٌ بيثربَ حيثُما وَصَلنا إلى رَبْعِ النبىِّ محمـــدِ
ثَنائى وتَذْكارى وَوُدِّى وطاعتى ومدحى لخيرِ العالمينَ محمـــدِ
دنَا فتـــدَلى لا دنو مسافةٍ ولكنَّ إكراماً لقَدْرِ محمـــدِ
ذَرِ العـــذْلَ عنى يا عذولُ فإننى مقيمٌ عَلَى مَدْحى وَوُدِّ محمدِ
رِضَا اللهِ حَقٌّ فى اتباع رسوله وطاعتهُ يا صاح دينُ محمـــدِ
جَلَا كل همٍّ عن فؤادى مديحهُ ولا مدح يضجو مثل مَدحِ محمـــدِ
حَلا مدحُه فى كلِّ قلبٍ كما حلا بأسماء أهل الأرض إسمُ محمـــدِ
خزائنهُ مملوءةٌ كرَماً فمن يَرَى فى كراماتِ الرضا كمحمدِ
زمانى تولّى وانقَضى فى بطالةٍ لأنى بهِ لم أحْىِ مَدْحَ محمدِ
شَهِدتُ بأنّ اللهَ فضّـــله علَى جميع البرايا مَن كمِثل محمدِ
صفـائِعُه مشكورةٌ وفعالُه مؤثرةٌ فارغبْ لدينِ محمدِ
ضياءُ ذكاء من سنا نورِ وجهه فما فى الورى وجهٌ كوجْهِ محمـــدِ
طَمَى بحر شوقى فى زيارة قـــبره فهلْ فى الورَى قبرٌ كقبرِ محمدِ
ظِلالُ جنان الخُلدِ والفـــوز فى غدٍ لمن يبتغى دينَ النبىِّ محمـــدِ

عيونٌ به قرّتْ ودامَ سُرُورُها ... لِمَا نظرت من حُسْن وَجه محمدِ

غرامى إليه دائمٌ ليس ينقضى ... كما ليسَ يفنى ذكرُ مدح محمدِ

فتعساً لقومٍ كذّبوا بمحمدٍ ... وطُوبَى لقومٍ آمنوا بمحمدِ

قلائدُ شعرى زينتْ بمديحه ... وهل فى قريض زانَ كاسم محمدِ

كفاهُ إلهُ الخلق كلَّ مخاتلٍ ... ودمر أهلَ الشركِ سيفُ محمدِ

لحا الله من قد صَدَّ عَنْ دين أحمدٍ ... وشُلّتْ يدَا مَنْ عاب دين محمدِ

مَديحى له دَيْنٌ، وَدِينى مَديحه ... فَا خَاب مَن يتلو مديح محمدِ

نَمَا بدنى لما شُغلتُ بذكره ... فيا ربّ وَفِّقنى لِرُؤيا محمدِ

هو المورِدُ العذبُ الذى طاب وِرده ... فيارب أوردنى حِياض محمدِ

لَأُمَّتِهِ فى دينها خير أُمَّة ... وهم خيرُ ساداتِ الورى بمحمدِ

يسيرٌ على من يسّر اللهُ ربها ... زيارةَ قبرٍ للشفيع محمدِ

عليهِ صلاةُ اللهِ ما هبَّت الصَّبَا ... وما فاهَ مخلوقٌ بذكرِ محمدِ

أقول لنفسى قد رأيتُ خيالَه ... ألا قَدِّمى خيراً لِأُخْراكِ تُرْشَدِ

فَهذِى هى البُشرى تفوزُ بها غداً ... برُؤيا نبىٍّ ماحمدِ الله تُحْمَدِ

وفتحٌ مبينٌ لا يكدرهُ قذًى ... ونصر عزيزٌ بالسرور مُؤَيَّدِ

وعنوانُ خيراتٍ ومحوُ جرائمٍ ... وفكُّ أسيرٍ بالذنوب مُقيَّدِ

وفضلٌ وإنذارٌ لمن كان غافلا ... وبُشْرَى وتَذْكارٌ لِمَنْ هو يهتدِى

فطوبى لعبدٍ وحّد الله مُخلِصًا ... ولم يُؤْذِ مخلوقاً وبُعْدًا لمُعْتَدِى

* * *

القصيدة السابعة والخمسون

وقال الشاعر : [من مجزوء الكامل]

وَرَد الكتابُ فسرَّنى ... بورودِه لما ورد
فكأنما عُنوانُه ... دُرٌّ تَلألأَ أو بَرَدْ
وكأنما أسطارُه[1] ... سِمْط اللآلى أم زَرَد
لما أتانى سرَّنى ... وأزال عن قلبى الكَمَدْ
أهداهُ سيدُنا الولىُّ ... المرتضى أهلُ الرشدْ
رعياً له مِن سيِّدٍ ... لو كنتُ أعطَى ما أَوَدّْ
لوددت أن يبقَى بَقاَ ... ءَ الدهر أو طولَ الأَمَدْ
يا سالمَ بن محمدٍ ... خُذْ ما ترى مِمن تَوَدّْ
واسترْ عُيوبَ قَريض مَن ... وَالاكَ فى هَزْلٍ وَجَدّْ
فهُو الوفىُّ بعهدِه ... فاقبل فهٰذا ما اجْتهدْ
وانعمْ بعشٍ ناعمٍ ... فى مَعْقل عالى العَمَدْ
واسْلَمْ سَلِمْت مبرَّأً ... مِن كل لُؤْمٍ أو فَنَدْ
بَلِّغْ سلامى كلَّ مَنْ ... تلقَى وأهلَكَ والولدْ
مِنى التحيةَ والسلا ... مُ عليك طولَ الأَبَدْ
ثم الصلاةُ على النبىّ ... محمد خَيرِ العَدَدْ

* * *

(١) جمع سطر ، ويجمع أيضا على سطور .

القصيدة الثامنة والخمسون

وقال فى رثاء الشيخ على بن مسعود المحمودى عام ١١١٤ هـ :

[من بحر الطويل]

تُوُفّىَ ركنُ الدين والعلم والهدَى عليُّ بن مسعود سليلُ محمـــدِ
سليلُ عليٍّ نسلُ مسعود الفتَى سَليل على نسلُ محمود الندَى
سَليلُ المحامِدِ الذين عهدتهُم تَوَالَوْا جميعاً سيـــداً بعد سيِّدِ
تولّى كريماً فى ربيع وفاتُه وغادَر فينا كلَّ شَمِلٍ مُبدَّدِ
مضتْ مائةٌ والألفُ مِن قبل أربعٍ
وعَشرٌ توافَتْ فى حساب مُقيَّـــدِ
بعصرِ ابن سلطان بن سيف بن مالكٍ
إمام الهدى سيف الكريم المؤيَّدِ
وصلَّ إلهَ العرش ما ذرَّ شارقٌ على المصطفى الهادى النبىِّ محمدِ
سَقَى اللهُ قبراً حلَّ فيه حبيبُنَا وعلَّ ثراه دائماً كلُّ مُرْعِدِ

* * *

القصيدة التاسعة والخمسون

وقال أيضا لصديق له : [من الوافر]

أسالمُ يا ابن مَوْدُودِى فإنِّى رأيتُ بوارقاً فيها رَوَاعِدْ
وإنْ حالَ البِعادُ وطالَ هجرٌ فإنى لستُ عنكم بالمُباعِدْ
ولا تَعْرض عن اخِلّ المصافِى وإنى فى اقترابٍ لا تباعُـــدْ
ألم تَرَ أننى فى كلِّ أمرٍ ونائبةٍ لكم كفٌّ مساعِدْ
وَلستُ أشكُّ أنك ذُو وِداد وأنك صادِق وافى المواعِدْ
فهذا والسلام عليك منّى مدَى المَلَوَيْن ما حنّتْ رَوَاعِدْ
وصلّى ربُّنا ما لاحَ بَرْقٌ عَلَى خَير الورَى مُرْسى القواعِدْ
وإنى لستُ أَخْلُفكم بوَعْدٍ وإنّك ذُو وفاء بالمواعِـــدْ

* * *

القصيدة الستون

وقال أيضاً : [من الطويل]

أتانى كتابٌ من شقيقى ووَالِدِى ... فصارَ أُحَيْلى من طَرِيفى وَتالِدِى
ولما أتانى صارَ للهمِّ كاشِفاً ... كوَصْلِ حبيب من حبيب مُباعِدِ
أُقلِّبُهُ طَوراً وأطْويه تارةً ... وأنشره أُخْرى بتلك المَشاهِدِ
فأصبحتُ ذَا شَوْقٍ شديد كأننى ... أخو وَلَهٍ أشجاهُ ذكرُ المعاهِدِ
أيَا واحداً فى هَجْرِه وجَفائِه ... أنا واجد فى الشوق رفقا بواجد
وَعِندى مِن الشوقِ المبرِّح ما نفَى ... رُقَاد جُفونى عن لذيذ المراقد
ولو أَلفُ خطٍّ ما تسلَّت قلوبنا ... بها ليس تُسْلِينا سُطورُ الكواغد
ولو أنَّ دونَ الوَصْلِ قطع فَدَافِدٍ ... قطعناهَ بقدآب شِدَاد الفَدَافِدِ

* * *

القصيدة الواحدة والستون

وقال الشاعر : [من مجزوء الكامل]

اليـومَ قد جاوزْتُ مِن سبعين عاماً فى العَـدَدْ
والمـرْء مهما جاوز السنّ الكثيرَ فقدْ فقَدْ
لا تَعْجَبَا مِن عادَةِ الدنيا إذا طال الأمَدْ
هُنِّيتُما بالعيـد لا زالَتْ عـوائِدُه تَرِدْ
لابدّ لى من زَوْرةٍ يُطْفا بها جمرُ الكَمدْ
وعلى الشيوخ سَلامُنا يَغْشاهُمُ طـولَ الأبَدْ
ثم الصلاة على النبىّ الأَزْيَحىّ المُعْتَمَـدْ

* * *

القصيدة الثانية والستون

وقال : [من بحر الطويل]

وما لى تمنٍّ غيرُ لقياكَ ساعةً ... بعيش لنا فى ذَا الزمان رَغيدِ

لعل نجوم البُعْد يُمْسِين أُفَّلا ... ونجمُ التَّدانى طالعٌ بسعودِ

وَعَلَّ سحابَ البين يقشعُ بعد ما ... تَدَاعَى بها مِن بارقٍ وَرُعُودِ

وعلَّ مصابيحَ اللقاء توقدتْ ... ونار القِفَالى آذنتْ بخُمُودِ

عَسَى وعَسى حقًّا من الله واجبا ... هو الرَّازق الوهابُ خيرُ وَدُودِ

وإذْ نحن فى السبعين عاماً تتابعتْ ... ونطمعُ أيضاً بعدها بمزيدِ

شديدٌ علينا هَجركمْ وبِعادكُمْ ... وَتزْعم هذا البعدَ غيرُ شديدِ

بعادُك أضْغانا وهجرُك ساءنا ... وذا الصبر فى هذين غيرُ مُفيدِ

ومرّتْ بِنا بضعٌ وسبعون حِجةً ... وما أنجزت أيامنا بوُعـــودِ

فالله ربّى فى بقيةِ عُمـــرنا ... فلم يبقَ مِنه صاح غيرُ زَهيـــدِ

فإنك من ماء خُلِقت وطينـــةٍ ... مهين فلا من صخرة وحديدِ

هلمَّ نُقَضِّى العمر فى الدين خالصاً ... ونخلعُ ذِكرى « عالجٍ وَزَرودِ »

فإن كنتَ ذَا فهمٍ وعقل وفطنةٍ ... فخذْ قولَ محمودِ المقالِ مجيـــدِ

فإنى أنا الخلُّ الوفىُّ فلا تجدْ ... سِواى محبًّا دائماً بِعهُودِى

فهذا الذى عندى وخذْ بنصيحتى ... وهذا وِدَادِى خالصاً لوَدِيدِ

علىَّ بأنْ أبدى الجواهر مِن فَمى ... وأجلو معانيها بيوت قَصيدى

نصحتُ وأدَّيتُ النصيحةَ جاهداً ... إلى أهلها والسامعونَ شهُودِى

* * *

القصيدة الثالثة والستون

وقال فى تاريخ وفاة صديق له عام ١١١٤ هـ : [من الطويل]

تُوفّىَ محمـــودُ الفِضـال وليْتَنَا

هو النَدبُ عبدُ الله نسلُ الفتى حمـــدْ

سليلُ ابن درع ذُو تُقى وفضـــائل

وأهلُ الهدَى والجودِ والرشدِ والزهدْ

فتًى همُّه التَّقْوى وطاعةُ خالقٍ وذِكْرُ إلٰهٍ قادر واحدٍ صمدْ

لَألفٌ مضَى من بعدها مائة خلَتْ وأربعةُ الأعوام والعشرُ فى العددْ

بعصرِ ابن سلطانِ بن سيفِ بن مالكٍ

إمام الهدَى سيف أخى العـــدّ والعددْ

* * *

القصيدة الرابعة والستون

وقال تهنئة بالعيد : [من الطويل] :

نُهَنِّى بك الأعيادَ إنك عِيدها ... ومُبْدِىء أبكار العُلا ومُعِيدُها

وإنك بحرٌ للعفاةِ ومورِدٌ ... نميرٌ ولكن للبغاةِ وعيدُها

وذِى أمَّةٍ مرحومةٍ بك أصلحتْ ... نقائمها فى نعمةٍ وقصيدُها

وما صَدَّ عن مرآك إلا شقيُّها ... وما حلَّ فى علياكَ إلا سَعيدُها

ولو لم تكنْ أنتَ المعظَّم مالكاً ... لما خضعتْ شُمُّ الملوكِ وَصِيدُها

وقد آنستْ منكَ الرعيةُ رأفةٍ ... لأنك بالبِشرِ الجميل تصيدُها

وقمتَ بدين اللهِ حتى تأنقت ... بِعَدْلك آرامُ[1] الفلا وأُسودُها

أَلَا قُلْ لمن يبغى المعالى مُبَادِراً ... فهذى العُلا تبغى حكيما يسُودُها

فإنك مِن جُرثومةٍ يَعْربيةٍ ... يمانيةٍ لا شكَّ أنتَ عَميدُها

على أنَّ هذى أمةٌ خيرُ أمةٍ ... وإنك يا ابن السابقين حَميدُها

لَئِنْ جَحْدَ الحسادُ بعضَ مَقالتى ... فتشهدُ لى بيض الليالِى وسودُها

فيامَنْ له الأملاكُ طُرًّا تواضعتْ ... ودَانتْ له أحرارُها وعبيدُها

ومن نصَرَ الدين القويمَ بسيفِه ... وزانَتْ به الدنيا وأورق عودُها

ومن لم تَزَلْ أمواله بسخائِه ... كأعدائِه بالمرهَفات يُبِيدُها

---

(١) جمع رئم : وهى الظبى الخالص البياض .

فيا نسلَ سلطـان بن سيفِ بن مالك

فأنتَ أخُو علياء عالٍ صعـــودُها

أتاكَ بأبـكارِ المعانى منصحٌ يفوقُ على نَظْم اللآلى قصيدُها

ودُونَـكَها من مُعْولِيٍّ قَوافياً حصاناً يروقُ السامعين نشيدُها

فـكم لك عِندى من جواهرَ جمةٍ أؤلّفها نظماً وأنتَ مُجيدُها

ولِى فيك أنصارٌ عريضٌ طويلُها بعيدٌ كآمالى بسيطٌ مديدُها

إذا شئتُ مدحاً فيك جاشَتْ قريحةٌ

كآذىٍّ بحرٍ ليس يُحْصَى عديدُها

* * *

قافيـــة الذال

القصيدة الخامسة والستون

وقال الشاعر : [من الطويل]

أعوذ بك اللهم من فقر ساعة كما بك من سوء الأذى نتعوّذُ

أرى كل شر كان فى الفقر وحده وذو الفقر لا يدرى إلى أين ينفذ

* * *

قافيـــة الـــرَاء

القصيدة السادسة والستون

وقال الشاعر يمدح الإمام أبا العرب بن سلطان سنة ١٠٩٣ هـ :

[من بحر الخفيف]

رحمَ اللهُ مَنْ نأى ورمانِي بصدودٍ منه وشَطَّتْ دِيارُهْ
وبنفس الذى استقرَّ بقلبى وفؤادى لا يستقرُّ قرارُهْ
كلَّما قُلت قد تبرّد قلبى نظرةٌ منه زاد قلبى استعارُهْ
وحَبيبٍ إذا أردت اقترابًا منه كَيما أفوزَ زادَ فرارُهْ
بأبى مَنْ أضْنَى فؤادِى وجسمى ودهانِى إعراضُه ونفارُه
ومن العجبِ منه قال تسلّى كيفَ أسلو والوجدُ تَسْعُرُ نارُه
ضاقَتِ الأرضُ بى غراما كما ضَاقَ بُرْدٌ فيه ثوبه وإزارُه
إن دائى وعلّتى ودوائى وسَقامِى مما حَواه خمارُهْ
يا لَوردٍ فى خدِّه كلما رمتُ جناهُ ويا للحظٌ زادَ احرارُه
وقضيبٍ[1] عليه من نظرةَ الحسن ابتهاجٌ أضنى فؤادى انتظارُه
إنّ دائى قَوَامُه والمحيَّا ولَماهُ وخدُّه وعِذَارُه
قد حَكَوْا مُهْجتى بحمرةِ خديه فأصمَى قلبى وعزَّ اصطبارُه
لستُ أدرى بأنْ يكون رضاهُ فى هلاكى وأن هذا اختيارُه

---

(١) القضيب : الغصن ، ويريد به قوامه .

كلما زادَ جفـــوةً زدتُ حبًّا هـكذا فعل من يعـــزُّ اقتدارُه
لم أَزَلْ فى هواهُ طولَ زمانى وهو فى ذلتى يزيدُ انتصـــارُه
كلما أرانى أهـــيمُ اشتياقاً فى الهوى زادَ[1] تِيهُه وافتخارُه
ضِقْتُ ذرعاً من حبِّه مثل ما ضـــاقَ اتساعًا بساعديه سِوَارُه
لم أُطِلْ فى شرحِ الغرامِ فخـــيرُ الوَصْفِ فى علّة الغرامِ اختصارُه
إنّ خيرَ الأوصافِ فى مدح خ
ير الخلقِ طُرًّا كفَاكَ عنى اختيارُه
ذَاكَ ابنُ الإمام ذِى العدل سلطا ن بن سيف مشهورةٌ أخبـــارُه
ذاكَ الـكاملُ الجـــوادُ الهمامُ العادلُ العاملُ العزيزُ جوارُه
الهِزَبْرُ[2] القَرم القوامُ القوىّ البأسِ عالى العلى وفىٌّ ذِمَارُه
الولىّ الوالى الزكىّ المحامِى القائلُ الفاعلُ المكرّم جارُه
الشجاعُ الذمر الجوادُ المفدَّى العالم العاملُ الكريمُ تجارُه
قد عَـــلا الناسَ رتبةً وفخاراً واقتداراً طالَ البرايا افتخارُه
يا كريماً أليفُه العُرْف والمعروفُ والجودُ والفـــدى[3] شعاره
هو غيثٌ وليس يُحصى قطارُهُ بل خِضَمٌّ[4] لاينتهى مِقدارُه

---

(١) التيه : الدلال والخيلاء .
(٢) الهزبر : الأسد القوى .
(٣) الندى : الكرم .
(٤) الخضم : البحر المترع بالماء .

هَاكِها[1] من أخى صفاء وودٍّ لم يخالِف إعلانَه إسرارُه
من محبٍّ لا يَزْدهى بمقالٍ ليس تُهْدَى لغيركم أشعارُه
بقوافٍ كأنها اللؤلؤُ المنظومُ نظماً تلألأتْ أنوارُه
أو كحزنٍ قد باكرته سوارى[2] المزن جوداً فأشرقَتْ أزْهارُه

* * *

(١) هاكها : أى خذها .
(٢) جمع سارية وهى السحابة الممطرة الذاهبة فى الأفق ـ والحزن الأرض الصلبة .

القصيدة السابعة والستون

قال يعتذر وقد عابته على بيع نصابه [من بحر الكامل المجزوء]

يا ذَا النوال الغادِر وابنَ الإمام الطاهرِ
وأخَا المعالِي والعلا والناصر بن الناصرِ
والواهبِ المزرِى على الغيثِ المُلثِّ الماطرِ
ومعزّ أهل الدين بالدين الحنيفىّ الطاهرِ
ومذلّ أهل الجوْرِ با لذربِ السنانِ القاطِرِ
والطاهرِ ابن الطاهر ابن الطاهر ابن الطاهرِ
يا من له رأى يَفُلُّ شَبا الحسام البَاترِ
أنت المجيرُ المستجيرُ مِن الزمان الجابرِ
ما البيعُ منّي حيلةٌ لطلابِ وفرٍ وافرِ
أتظنُّ أنى قد أتيتُك باحتيالِ نادرِ
كنْ عاذلاً فالبرء مِن الورَى كالعاثرِ
ليسَ الكفُور بنعمةٍ من ربه كالشاكرِ
لا ، والمصدقُ مؤمناً بإلهه كالكافرِ
لا والذى ينسَى الهوَى مثلُ المحبِّ الذاكرِ
لا والذى عشق الكرَى مثل الكئيبِ الساهرِ
يا شاعرَ العلياء كنْ ذَا عطفةٍ للشاعرِ

يُنبيكَ ظاهرُ حالتى عما تُكِنُّ ضمائرِى
وكذاكَ سائر خاطرِى يُنبِيكَ عنها ظاهِرى
فاقبل معاذيراً أتتْ مِنى وكنْ لى عاذرِى

* * *

القصيدة الثامنة والستون

وقال فى صباه نحو سنة سبعين وألف للهجرة ، فى الزهد: [من بحر الوافر]

أرَى الدنيا وزخرفَها غروراً ... وكم أرَى للورى فيها سروراً
وأىُّ فتًى يدومُ له سرورٌ ... إذا كان البقاء بها قصيرَا
فأينَ الأولونَ مِن السبرايَا ... ومَنْ ملك الخورْنَق والسديرَا(١)
وشدَّادُ بن عادٍ والجلَنْدَى ... وفرعونُ الذى يدعُو ثُبورَا
وعمرٌو وامرؤ القيسِ بن حجرٍ ... وداودُ الذى حازَ الزَّبُورَا
ومَنْ أعلاهُمُ مجداً وعيصاً ... وأخرُهمْ وأكثرهم نفيرَا
وأنداهُم يدًا وأشدُّ بطشاً ... مَضَوا لم يلبثُوا إلا يسيرَا
ولو ملك الفتَى مالا عظيما ... وشيَّدَ فى ذُرى الدنيا قُصورَا
فما يغنيه عن شىءٍ عظيمٍ ... من الدنيا إذا سكَن القُبورَا
فيا وَيلَ العصاةِ مِن المعاصى ... غدا يصْليهمُ ربِّى سعيرَا
لهم فيها شرابٌ من حَميمٍ ... وصَيِّر يومهم يوماً عسيرَا
لهم فيها شهيقٌ واضطرابٌ ... وتسمعُ فى البُكا لهمُ زفيرَا
أينفعُهم خليلٌ ذاتَ يوم ... يكون الشرُّ فيه مستطيرَا
ويغشاهم عذابٌ من حميم ... يُصَبُّ عليهمُ صبًّا كبيرَا

---

(١) قصران فى ضواحى الحيرة كانا للملك النعمان بن المنذر .

إذا فيها استغاثُوا لم يغاثوا ... ولم يجدُوا هناكَ لهم مجيرَا

لهم فيها صريخٌ لم يغاثُوا ... وهم قد خلِّدوا فيها دُهُورَا

أعدَّ اللهُ للعاصى جَحيما ... له صارتْ أماكنُها مصيرَا

فحيث أتَى بقول غير صدقٍ ... وجاء يقوله ظلماً وزورَا

ألم يقلُ النبىُّ عليك قولا ... من القرآن ذكرًا يا كَفُورَا

غفلتَ وما غفلتَ عن المعاصى ... لك النيران قد جُعلتْ حصيرَا

وما مِن غافلٍ فى الأرض إلا ... وربُّ العرش كان به بصيرَا

ألا لا تَغْفَلَنَّ عن المنايَا ... وأحْسِن واعبدِ الربَّ القديرَا

وكنْ فى اللهِ مجتهدًا مطيعاً ... له فيما يشاء ومُستجيرَا

فمن يطع الإلٰه تقًى وعلماً ... يُجرْهُ وليس يحشرُه حقيرَا

ويدخلْه الجنانَ بلا ارتدادٍ ... ويلبسُ وجهه ضوءًا ونورَا

فإنّ المؤمنينَ لهم نعيمٌ ... سقاهُمْ ربهم ماءً طَهورَا

أعدّ اللهُ للرهبانِ خيرًا ... وولداناً وجناتٍ وحُورَا

وربّ عَقيلةٍ فيهنّ بكرٌ ... فَمَا تلْقَى لها أبداً نظيرَا

إذا سفَرَتْ وبدرُ الليل سارٍ ... لأطْفأَ ضوؤها القمرَ المنيرَا

وإنْ سَدَلتْ ذَوائبَها[1] نهارَا ... لخلفاه ظلاماً لنْ يُنيرَا

وَيُزْرِى بالشموسِ إذا تبدَّتْ ... وبالأقمارِ إن كَشفتْ سُتورَا

---

(١) الذوائب : الشعر المتجمع فوق رأس المرأة .

فيا طُوبى لهم فازُوا بخيرٍ وقد صارَ الرحيق[1] لهم نميرا
وهُم يتلذّذون بكلّ طيبٍ وأبدانٍ لهم كُسيَتْ حريرا
فلا يلقَوْنَ فى الجنّاتِ شمساً ولا يَلْقَوْنَ فيها زَمْهريرا
لقدْ قالَ المهيمنُ إنّ هذا لمن قد كان فى الدنيا شَكُورا
طَهوراً عابداً ثقةً كريماً سليمَ القلب مُتّقِياً صَبُورا
تقيًّا مُسلماً سَلْماً سليما رضيًّا عالماً عَلماً خَبيرا

* * *

(١) أى الخمر .

القصيدة التاسعة والستون

[من الكامل]

وقال الشاعر قصيدة إنْ عكستها كانت ذمًّا وإن أقمتها كانت مدحاً :

سيرٌ لهم طابتْ فما خبثتْ ... رَبِحَتْ لهم سلعٌ وما خَسِروا

نصروا فما خذلتْ لهم دولٌ ... عملوا وما علموا وما نفروا

عصرٌ بهم جادتْ وما لؤمتْ ... كرمت لهم شيمٌ وما نكروا

قدروا فما ذمّتْ لهم خلق ... شرفتْ لهم حَسَبٌ فما غدروا

عمروا فما خربتْ لهم طرقٌ ... كبُرَتْ لهم هِمَمٌ وما صَغُروا

أرزٌ[1] بهم شُدَّت وما حلت ... رفعتْ لهم مِدَحٌ وما كَدَروا

وقعوا وما ضَعُفَتْ لهم خرقٌ ... ظفروا فما هُدِمتْ لهم جُدُرُ

زَهروا وما شانَتْ لهم خُلُقٌ ... نِعَمٌ لهم شُهرتْ فما فَخَروا

صبروا فما جزعُوا بما حرموا ... مدحُوا فما ذمّت لهم سيرُ

غررٌ لهم لاحت فما سَدِمت[2] ... حَسَب لهم ظهرتْ وما قَذروا

شَكَروا فما كفرتْ لهم نعمٌ ... عظموا فما محيت لهم أثرُ[3]

كبروا فما صغرتْ لهم هِمَمٌ ... جَهدوا فما حبَستْ لهم فِكَرُ

* * *

---

(١) أى يلجأ إليهم فى الشدائد جمع (آرز) .

(٢) سدم : أظلم .

(٣) جمع أثر .

القصيدة السبعون

وقال فى الحكمة اللقمانية : [من الطويل]

إليك لقد جربت كلَّ بليةٍ فلم أرَ فى البلوى أشدَّ من الفقرِ
أخُو الفقرِ فى الفادِى ذليل مُكسَّب
وذُو المـال فى صدرِ المجالس كالصقر

* * *

القصيدة الواحدة والسبعون

وقال محرِّضاً صبيًّا على تعلم العلم والقرآن سنة ١٠٣٣ هـ : [من بحر البسيط]

تعلَّمْ العلمَ حقًّا يا فتَى عمرِ ولا تدَع فصله ما دمْتَ فى الصغرِ
فالعلم سهلٌ إذا ما كنتَ فى صِغَرٍ
وغيرُ سَهْلٍ إذا ما كنت فى الكِبَرِ
والعِلْمُ أثبتُ للفتيانِ منفعةً
قد كان تعليمُهم كالنقش فى الحجرِ
وإنّ فى العلم آداباً وتذكرةً للغافلين وتذكيراً لِمُدّكِرِ
وعبرةً وعظاتٍ ثم منفعةً للسائلين وأفكارًا لمعتبِرِ
فصاحبُ الجهل موضوعٌ ولا عَجَبٌ
وصاحب العِلم عند الخلق ذُو قَدَرِ
ينالُ منزلةَ الأحرارِ عبدُهمُ بالعلمِ والحرُّ يغدُو أشرفَ القدرِ
إنى نصحتكَ فاستمسِكْ بنصحِ فتَى
مُشافِقٍ مُشْفِقٍ صافٍ مِن الكدَرِ
فلا تجالسْ أهيلَ السوء يا وَلَدى
وفرَّ عنهم وكن مِنهم عَلَى حَذَرِ
ولا تجالسْ كثيرَ الضحكِ ذَا ريبٍ
ولا تُجالسْ كثيرَ القولِ ذَا هَدَرِ

وَلا تُصاحب أخاَ كذبٍ وكنْ فطِناً
فى الفِعل والقـــول والأخبار والأثرِ
ودَع مجالسةَ المغتابِ مُجتهداً وكنْ حليما جَليس العالِم الحذرِ
فإن مجلس أهل العـــــلم مرتبةٌ
ومجلسَ السوء عِندى أعظم الضررِ
إنّى أمينٌ صَفِىٌّ الودِّ ذُو مِقَةٍ(١) مُعلِّمٌ لك هادٍ فاستمع خبَرِى
أخُصُّ بالنصح محمودَ اللقـاء لفـا أعنى بذلكَ (سليمانَ) فتَى عِبرِ
كنْ فى المساجدِ ذا صمتٍ وذَا فـكرٍ
مرتِّلَ الذكرِ والآيات والسورِ
وبرَّ يا سيِّدى بالوالدين وكنْ محافظاً لهما فى مـــدة العُمُرِ
ورَاعِ حقهما فى كلِّ منزلةٍ فإنّ برَّهما من أطيبِ السَّيَرِ
إيَّاكَ والـكبرَ لا تسلك لهُ طرُقاً إنَّ ابن آدم مخلوقٌ مِن المَدَرِ
لا تُشغِل القلبَ بالدنيـا وزُخرفها فإنَّ طالبَها منها عَلى خَطرِ
هى الغرُور فلا يَغرُرك ظاهرُها وليس يختارُها إلا ذُوو غررِ
واصرفْ هُمومَك للأخرى وكُنْ حذِراً
تَلْقَ السرورَ بجنّاتٍ على سُررِ
واقفُ المعلمَ فيما قال من أدبٍ واجعلْ محلّقه فى أرفعِ القدَرِ
ولا تخالفْه فى قولٍ وفى عملٍ ولا تخالفْه واحذرْ صولةَ البطرِ

---

(١) المقة : الحب والإخلاص .

فإنه ناصـــحٌ لا شخصَ يُشْبِهُه

لـكلّ مَن جاء من بَدو ومن حَضر

واخفضْ جناحَك دأبًا للمعلمِ فهْو الوالدُ المُشفِق المشهور فى الخبرِ

والقَ العدوّ بوجهٍ غير ذِى كدرٍ

وإن رَماك بفحشِ القول فاصطبِر

كنْ راضيًا بقضاء اللهِ ذَا عِبرٍ فى النفع والضُّرِّ والإعسار واليسرِ

وإن حبيت فلا تُفْرِط لذاكَ وإنْ أبغضت فالحبُّ والبغضا على قَدَر

ولا تسافرْ مع الأنذالِ[1] فى طُرُق

وكنْ مع المرتضى إن كنتَ ذَا سفرِ

فدمْ وعشْ وابقَ فى خيرٍ وعافية وفى معاشٍ رغيدٍ مدة العُمُرِ

* * *

سلطنة عمان
وزارة التراث القومى
المكتبة ١٣٩٥
الرقم العام : ١٦٤٤
الرقم الخاص : ٨١١/٩

(١) جمع نذل وهو الرجل اللئيم .

القصيدة الثانية والسبعون

وقال أيضاً رحمه الله : [من الطويل]

ثلاثٌ يصيرُ الحرّ فيها مشرفاً
ويكرمُ فى الأُخرى بهنّ وفى الدهرِ
فدينٌ وعلمٌ ثم مال يحوزه وتنفقهُ فى حلّه طلب الأجرِ

* * *

القصيدة الثالثة والسبعون

[من بحر الطويل]

ثلاثٌ تزيد المرء نوراً وحكمةً ألا إنّني أوصيكَ مِنها فكثِّرِ
قراءةُ قرآنٍ وطولُ تفكرٍ وثالثُها ذكرُ الإلهِ المصوِّرِ

* * *

القصيدة الرابعة والسبعون

وقال أيضا يعاتب صديقين : [من بحر الطويل]

ألا فاذكرا العهد الذى كان بيننا ... فإنى وإنْ طالَ الزمانُ لذاكرُه

ولا تنكرا ودًّا قديمًا وذمةً ... فلا أنا ناسيه ولا أنا ناكرُه

وفعلكما الخيرَ الجميلَ مقدمًا ... على حالِه منِّى وإنى لشاكرُه

فبعدكما مالِى صديقٌ مساعِدٌ ... أُرَاوِحه فى حاجتى وأُباكِرُه

ومالِى عَلى جمعِ العُلوم وَدرْسِها ... خليلٌ أُوَاخيه تقَى وأُذاكِرُه

فمَنْ لى إذا ريبُ الزمان أمَضَّنى ... وَمَنْ لى إذا جاشَتْ علىَّ عَساكرُه

فأمسيتُ وحدى والحوادثُ جمةٌ ... علىَّ سوى همٍّ ونكر أفاكرُه

* * *

القصيدة الخامسة والسبعون

وقال أيضا : [من الطويل]

أكلّفُ نفسى الصبرَ بعدَ فراقِكم وأنّى لنا مِن بعد فرقتكم صَبْرُ ؟

كأنَّ الأسَى والحزنَ والشوق والهوى

تودّ فؤادِى وَالفؤادُ لها قـــبرُ

لقد ضاقَتْ الدنيا علىَّ بأسْرِها

كأنَّ قُرَابَ الأرض مِن بَعدكم شِبْرُ

* * *

القصيدة السادسة والسبعون

وقال مُلغزاً فى اسم امرأة : [من الطويل]

زَهَا وَرْد خدّيها على الوردِ بهجةً حَماهُ عن الألحاظِ طَرْفٌ مُذَكَّرُ
وخدٌّ أَسِيلٌ زَبْرَجِيٌّ مُنعَّمٌ إذا نامَ يُدْميه للُمى والتفكُّرُ
رَمَتْنى بسهمٍ مِن جُفونٍ فواترٍ
لها فى الحشا وَخْزُ المُدَى ليس يَفْتُرُ
دواءٌ لكل الداء والسقمِ وصْلها وهجرانُها نارٌ على القلبِ تسعرُ
هى الشمسُ نوراً لايملُّ شروقها معظمةً عنها النواظرُ تَقْصرُ
وفاتنةٍ إنْ فاهَ فُوهَا بمنطقٍ تفاوَح مسكٌ من شَذَاه وعنبرُ
لو أنّ ابنَ كلثومٍ[1] رأى حسن وجهها
لكانَ بها لا بالقبيلةِ يفخرُ

* * *

(١) هو عمرو بن كلثوم الشاعر الجاهلى المشهور الذى افتخر بقبيلته (تغلب) فى معلقته المشهورة .

القصيدة السابعة والسبعون

وقال أيضا يصف نهراً يسمى الأصفرين بمنبج : [من بحر السريع]

يا نهرًا سميتَ بالأصفـــرين ... وأنت أزريتَ على الأصفرِ
لو أنصفَ الناسُ جميعاً لمـا ... سمّاك أهلُ الأرضِ بالأصغرِ
فطُلْ على أنهارِ كل الورَى ... من كلِّ أقطارِ القُرَى وامْخَرِ
فإنمـا الفضلُ الجميـــلُ الذى ... يراهُ أهلُ الأرض بالمفخرِ
مالى أرَى الأقوامَ فى غفلةٍ ... لو أنصفُوا سمّوك بالكَوْثَرِ
يا روحَ أرواحِ بنى آدم ... مِن مومر فيهم ومِنْ مُعْسرِ
يا خيرَ أنهار الورَى كلها ... مِن سائر البُلدان والأخضر
رفعتَ أثمانَك لى تُشترَى ... بخالص العِقْيَان والجـــوهرِ
حتى تُرَى فوق العُـــلا صاعِدًا ... محلَّ كيوان أو المشترِى[1]
يا سيِّد الأنهار من دارِنا ... من كان جاراً لك لم يعسرِ
ومن شرى ما أنتَ تسقيه مِن ... نخلٍ ومِن أرضٍ فلم تحسرِ
قدَّسْتَ من نهرٍ ومن جدولٍ ... قد فازَ من يشرى ومَنْ يشترى
إن يخسر البائعُ ما باعَه ... مما سقاهُ يربح المُشـــــترِى
كأنما ماؤك من جنّـــــةٍ ... الفردوس أو مِن مِسكها الأذفرِ

---

(١) كيوان والمشترى كوكبان من كواكب السماء .

حلوت طعمًا ومذاقًا كما ... حلا مذاقُ الشهد والسُّكَّرِ
كأنَّ ماء الوَرْدِ قد خولطت ... سَلسباله من مائك الأطْهَرِ
لولاكَ أمستْ أرضُنا قفرةً ... خاليةَ الزرع ولم تُبذَرِ
ولا حَلَا فيها لنا منزلٌ ... يروقُ فى المرأى ولا المخبرِ
وأنتَ ذَا يا أيها (الأصغرين) ... بُورِكْتَ من نهرٍ ومن جَعْفرِ (١)
عَسى كما تُصبح لا تأتلى (٢) ... تَجْرى بلا كدٍّ ولم تُزْجرِ
كأنما ماؤك أمدادُه ... يُؤتى بلا كدٍّ مِن الأبْحُرِ
أنعشك اللهُ بسُقيا حيًا (٣) ... منهمرِ الأنواء مُثْعَنْجِرِ (٤)
كَىْ تُصْبحَ الأرضونَ مخضرّةً ... بنبتها للمُتَّسقِ الأنورِ
فبعضُه مِن أخضرٍ يانعٍ ... وبعضُه مِن أحمرٍ أحمرِ
وبعضُه مِن يَقَقٍ أبيضٍ ... وبعضُه من فاقع أصفرِ
لا ذُقْتَ نقصا ما هَمَى وابلٌ ... وما تلا قارٌ (٥) على مقبرِ

* * *

---

(١) الجعفر : النهر الصغير .
(٢) يأتلى : يقصر .
(٣) الحيا : المطر .
(٤) أى كثير .
(٥) بحذف الهمزة من آخره ، أى قارئ .

القصيدة الثامنة والسبعون

وقال الشاعر : [من الطويل]

سلامٌ كماء الوردِ ديف[1] بعنبرِ وكالمسكِ مسحوقا بخدٍّ مُعَصفَرِ

أخصُّ به الشيخ الولى أخا الرضى

فتَى الجـودِ والجدوى وأهل التفكرِ

فذْ مدةٍ من دَهْرنا لم نقفْ على رسائلَ منكم، لا، ولا عِلم مُخبِرِ

فلا تحسَبوا أنى نسيتُ عُهودكم فما ولَهى إلا بكم وتَذَكُّرِى

أتحسبُ أنَّ البعدَ يسلى قلوبنا ونفساكم لا والإلهِ المصوِّرِ

وحقك يا مسعودُ حِلْفَةُ صادقٍ لما راق عينى بَعدكم مِن مُصوّرِ

وأنتَ عليمٌ بالذى أنا مضمرٌ مِن الحق فى إنصافكم والتَّدبُّرِ

رضينا بما يَرْضى لنا اللهُ فيكمُ فما يجدُ الإنسانُ غير المُقدّرِ

لئن قصرتْ باعُ الزيارة عنكمُ فإنى لباعِ الوُدّ غير مُقصّرِ

عَسى ولعلَّ اللهَ يجمعُ شملَنا فلا تكُن ممن قال ذَا لم يُقدَّرِ

فكلّ بأمر الله يجرى وقدرةٍ مِن الخالق الربِّ العظيم المقدَّرِ

فكنْ فطِمًا فى كل أمرٍ تريدُه فما المرء فى تدبيره بالمخيَّرِ

وإن قُلتَ قلْ إن شاءَ ربِّى مدبِّرا فإنّك فى أشياءَ غيرُ مظفرِ

* * *

(١) دافه : مزجه .

القصيدة التاسعة والسبعون

وقال الشاعر أيضا : [من الطويل]

لك الفضلُ يا مولاى والحمدُ والشكرُ
بحيثُ الفناء الرحبُ[1] والنائلُ الغمرُ
ولا زِلْتَ فى طَوْدٍ[2] من العِزِّ شامخٍ
منيعِ الحواشى لا يُقَلْقِلُه الدهرُ
ولا زِلْتَ محروسَ الجناب مظفراً قرينك فى عليائِك الفتحُ والنصرُ
ولى فيك آمالٌ فى الثناء مدائحٌ يقصِّر عن أشباهِها النظمُ والنثرُ
مدائحُ تَثْرى من قريحة شاعرٍ كتيَّار بحر زانها اللفُّ والنشرُ
ولى حاجةٌ أخرى لديكِ قضاؤها فلا ينبغى زيدٌ يليها ولا عمرُو
ودُم يا إمام المسلمين بلعْرُبا سلالة سُلطان بن سيف لك النصرُ
وعِشْ فى ذُرَى ملكٍ مُقيمٍ مخلَّدٍ
عزيزاً وفى الأخرى لكَ الفوزُ والأجرُ

* * *

---

(١) الرحب : الواسع . الغمر : الكثير .
(٢) الطود : الجبل .

القصيدة الثمانون

وقال يمدح إمام المسلمين سيف بن سلطان : [من مجزوء الكامل]

سمماً وطـــــوعاً للإما م اليعربى المقـــــتدرْ
سيف بن سلطان بن سيفٍ ذِى المعالِي والقُدَرْ
فهُوَ الإمام ابن الإما م ابن الهمامِ المقتصِرْ
وابنُ الجحاجحةِ[1] الذ ين وجوههم مثلُ الغـــرر
أهلُ الفضـــائل والوسا ئل والرسائل والســـيَرْ
وذوُو الموائد والفـــوا ئد والفـــرائد والبِدَرْ[2]
وهمُ الغطارفةُ[3] الأُلى سادُوا بِسَيْبٍ مُنهمرْ
هذا الإمامُ إمامُ عـــد ل بالمآثر يشتهـــرْ
لا يستبـــــدُّ برأيه فهو الحليمُ أخو بَصرْ
وإذا أرادَ إرادةً فى الخلق شاورَ من حضَرْ
قد بثَّ عـــدلَ اللهِ فى الآفاقِ طرًّا فاشتهـــرْ
عمَّ البسيطةَ عـــــدلُه كالشمس نوراً والقمرْ
كمْ قد عفا عمّن جنَى الذنبَ العظيمَ وكم غفرْ

---

(١) الجحاجحة : جمع جحجاح وهو السيد الشريف الكريم .
(٢) البدر : جمع بدرة وهى الكيس فيها نقود كثيرة .
(٣) جمع غطريف ، وهو السيد الأريحى . السيب : العطاء .

يا أيُّها الرجلُ ابتـــدِرْ واسمعْ نصيحةَ معتـــبرْ
أوصيكمُ لا تركـُوا عصيـانَ سيدِنا الأبرّْ
من كان يعقلُ فليُصِخْ[1] لنصيحتى كىْ يَعْتـــبرْ
ويَعُدُّ عصيـانَ الإمامِ البرّ من إحْدى الـكبرْ
ذاك ابنُ سلطان بن سيف من عصـــاهُ لقد كَفَرْ
إن الذى يعصى الإما م فقد أتى شيئا نُـكُرْ
هذا الذى قد غـــرّه من دَهْـــرِه ما قد غبرْ[2]
فليعتـــبرْ مَن كان ذَا عقلٍ يقيسُ وذَا بصرْ
كن عاقلا ومـــيزاً ذَا فطنةٍ وأخَا فِكَرْ
والعقـــلُ يردعُ أهـلَه وذوُو الجنون على خَطرْ
هـــذا الإمامُ لـكمْ نَذ يرٌ مِن عذابٍ مستعِرْ
فارجُـــوه واستمعُوا له فيما نَهاكُمْ أو أمـــرْ
فهو النذيرُ لـكمْ فعُوا وأظنها تغنى النـــذرْ
أو لم يروهم يَجْمعُو ن مِن البوادِى والحَضَرْ
حضرُوا جميعاً فى ذُرَى (نَزْوى) وكلٌّ مُنتظِر
فى مَوقف ضنكِ المسالك عـــبرةٌ للمزْدَجَـر
فتحيَّرُوا طـــرًّا إلى أنْ قيل كَلَّا لَا وَزَرْ

---

(١) أصاخ : استمع .
(٢) غبر : مضى .

وتراهُمُ فى جَمعهـــــم مثلَ الجـرادِ المُنتشِرْ
هُمْ مُهْطِعُونَ إلى المليكِ السيـد البطل الأبرْ
يتخافتُون كأنهـم يتسابقُون إلى الصـدَرْ
ويقولُ أَوْسطهم متَى يُقضَى لنا هذا الوَطَـر
يَدْعون ربهمُ كثيراً بالأصـائل والبُكَرْ
فكأنهم يوم القيا مةِ لا نجاةَ ولا مفرْ
كلٌّ يرَى أن ليس يُسـتبقَى وينتظرُ الخـبَرْ
لَنْ يدفعُوا عن بعضهم شيئاً إذا أمرٌ عسَرْ
لا تنكرُوا منه إذا جمع الخلائق وانتظَرْ
يا أيُّها العقـلاء لَا تَعصُـوه فيما قد أمَرْ
ومن النصيحةِ أخلِصُوا نِيَّاتكم فيما جَبَرْ
وتغَـيرتْ خُلق الرجا لِ وكلُّ خلق قد أُمِرْ
وتلوَّنتْ ألوانهـم وَأُريق فى الصفوِ الكدَرْ
واشتدّ ظُلم الظالمينَ على البريةِ واشتهـر
فتـدارك الخلقَ الإما مُ بعـون رب مُقْتَدِر
نَجّاهمُ من وَرْطَـةٍ وَوَقاهُمُ مِن كلِّ شرّ
تاهَتْ(١) عمانُ به فعدْ لُ اللهِ فى الأرض انتشَر
فهـو الحسام المُنتضَى وهو الشجـاع المُبتـدَر

---

(١) تاهت : افتخرت ، من التيه وهو الافتخار والدلال .

مثل الشهاب إذا انبرى أو كالحريق المستعر
كيف الخلاصُ إذا بدا أو هزّ صارمَه(١) الذكر
أو مَن يعيبُ بجهله سلطان عدل إن قهرْ
إلا قليل العقل من هذى الخلائق والبشر
فافتحْ جُفونك يا فتى وَدَع الخفافة واعتبرْ
ستراهُمُ عما قليلٍ فى المضيق المُحتقر
دَعْنى أطيلُ مَدائحى فيه وصوبٌ مَنْ عذر
فالجيدُ يَزْهُو بالقلا ئد واللآلى والدرر
مدحُ الإمام شفاعةٌ تُرْجَى ليومٍ لا مَفر
قال النبىّ تعلّموا الشعرَ السنىّ المُزدهر
فالشعرُ فيه حكمةٌ وفصاحةٌ لمن اعتبرْ
دُمْ يا إمامَ المسلمينَ موفقاً طول العُمُر
ما لاحَ برقٌ أوْ همى وَدْقُ السحائبِ وانهمر
أو حنّ مُشتاقٌ إلى الأوطانِ من طول السفر
أو لاعبتْ ريحُ الصَّبا غصن النقا وقتَ السحر
أو ناحَ طيرٌ بالضحى من فوق أغصانِ الشجرْ
أو تمّ بدرٌ بالدجى أو لاحَ صبحٌ وانفجر
هذا من العَبْدِ الذى بمديحه كى يَفتخر
ما لاحَ برقٌ بالدجى أو نَاحَ طيرٌ بالشجر

* * *

(١) الصارم : السيف الذكر ، يقال سيف ذكر أى ذو ماء ، وقال أبو عبيد : هى سيوف شفرتها حديد ذكر ، ومتونها حديد أنيث يقول الناس إنها من عمل الجن.

القصيدة الواحدة والثمانون

وقال يمدح إمام المسلمين بلعرب بن سلطان بن سيف :

[من البسيط]

هُنِّيتَ بالنصر موعوداً لك الظفرُ
وما تحاوله يمضى به القَـــدَرُ
يَمَّمتَ نحوَ العِدى غرًّا غطارفةً شُمَّ الأنوف شداداً زانها الغُرَرُ
وفيهمُ سادةٌ مِن يعربٍ سطعتْ وُجوهُهم كبُدُورِ التِّمِّ تزدهِرُ
تخالُهم فى ظُهور الخيـل أُسْد شَرًى
تجرى بهم فى الوغَى والحرب تَسْتَعِرُ(١)
تَرْمِى بأنفسها والأُسْـدُ حائرةٌ
فى مَأْزَق الحرب والأرماحُ تشتَجِرُ
بُورِكْتَ مِن ملكٍ عَدْلٍ ومِنْ حَـكَمٍ
لَا زلتَ دَهْرًا على الأملاكِ تَفْتَخِرُ
أنت الغنىُّ عن الأملاك كُلهمُ وكل حَىٍّ إليك الدهرَ يفتقرُ
فما يساويك مَن فى باعه سعةٌ أنى يُساويك مَن فى باعه قِصرُ
فُقْتَ البريَّة فى عدْل وفى خُلق وكل خَلْقٍ سِواك اليوم مُحْتَقَرُ

---

(١) الوغى : الحرب أو أرض المعركة . استعرت الحرب : اشتدت .

مالى أرَى عُصبة[١] تاهوا وعِندهمُ سِواك كل عظيم ما له قَدَرُ
ويُورِد الرمح فى لَباتهم[٢] سلماً وليس يصدرُ إلا وهْو مُنكسرُ
فالحربُ ساطعةٌ والبِيض لامعةٌ كأنها بالصقال الأنجمُ الزهُرُ
اللهُ أكبرُ إنّ العدلَ مُشتهرٌ والجور مُنطمِسٌ والحقّ مُنتصرُ
ونارُ أهل الخَنا[٣] والجورِ خامدةٌ
ونورُ أهل الهدَى والدِّينُ مُزْدَهِرُ
ودولةُ العدل لا زالتْ مظفرةً ودولةُ الجهل معدومٌ بها الظفرُ
بطلعةِ اليعربىّ النَّدبِ سيدنا ذاكَ الإمام الهمام الصَّارم الذكرُ
مهذبُ الرأى محمودُ الخلائق مأْ
مُونُ البَوائِق[٤] صافٍ مَابه كَدرُ
إنْ صَالَ يوماً على الأعداء فى رَهَجٍ[٥]
بِصارم[٦] الحدِّ لا يُبقى ولا يَذَرُ
قد أجْمَعوا أمرهم سرًّا ومكرَهُمُ غدراً فأعْقَبهم إهلاكُ ما مَكرُوا
ظنوا بأنْ يَربحوا فاجتثَّ دابرُهم وكيف يربحُ مَن قد خانَه الظفرُ

---

(١) العصبة : الجماعة . تاهوا افتخروا .
(٢) اللبات : جمع لبة وهى المنحر .
(٣) الخنا : الفاحشة .
(٤) جمع بائقة وهى الداهية .
(٥) الرهج : غبار المعركة .
(٦) صارم الحد : قاطع الحد ، وهو السيف .

تقولُ أجسادُهم لو أنها نطقتْ عِبارة : يا أُولى الأبصار فاعْتبِرُوا
تعساً لهم وخسارًا خابَ سَعيهمُ لا هُم عملوا خيرًا وقد خَسِرُوا
لو أنّ ثَمّ عُقولا يَفقهون بها
تَفكّرُوا فى خطوبِ الدهر وادكرُوا
لـكنهم جحدوا آياتِ ربهمُ إنْ لم يَتُوبوا فَمأْوَى كُلِّهم سَقرُ
وَمَنْ طَغى وعَصى الرحمنَ خالقَه فليس تنفعهُ الآياتُ والنذُرُ
وهؤلاء طغوْا فى سَعيهم وبغوا وغرّ بعضهم بعضاً بما ائتمرُوا
لو أنْصَفوا لأَطاعوا الله وامتثلوا أمْرَ الإمام وقاموا بالذى أُمِرُوا
لـكن تواصَوْا بنقض العَهدِ وانتحلُوا
خلافَ ما أمرُوا حقًّا وما ازْدَجَرُوا
هُم البهائمُ حقًّا لا عُقُول لهم وإنْ رأيتَ خيالا أنّهم بَشَرُ
عَمُوا وصَمُّوا نَسُوا آلاءَ سيّدهم بلعْبِ نسل سلطانٍ وما ذَكرُوا
هُمُ عَبيدٌ له خانوه فانهزمُوا وما يضرهُمُ لو أنهم صبَرُوا
خانُوا فأَعقبَهم كُفرا بفعلتِه عُقوبتين وبالخسران قد ظَفِرُوا
إن أنتَ أبعدتَهم عن دُورنا مردُوا
على النفاق وإن قربتهم غَدرُوا
غرّتهمُ مِنك أخلاقٌ مطهرةٌ ورأفةٌ ونوالٌ مِنك مُنهمِرُ
وما دَرَوْا أنك الملكُ الذى خضعتْ
له مُلوكُ الورَى والبَدْوُ ، والحضرُ
وأنّك الصارمُ البتّارُ مُنصَلِتاً عَلَى الأعادِى وَفى علياكَ مُقتدِرُ

ولو دَرَوْا ما بَدَتْ منهم مُخالَفَةٌ ولا أحاطَ بهم سُوءٌ ولا نُكُرُ
قد حاذَرُوا مِن أمور أنتَ صانعُها
بهم نكالاً فلم يغفعهم الحـــذَرُ
فرّقتهم فِرقاً فانحلّ عِقْدُهم بما أساءوا وعن أبنائهم نَفَرُوا
فمنهمُ فى عـــذابٍ لا نفادَ له ومنهمُ فى قيود فكُّها عَسِرُ
ومنهمُ فى مَطامير(١) مُضيقةٍ بها الأراقِمُ والديدانُ والقذَرُ
ومنهمُ فى رؤوس الشمِّ(٢) مُنهزما ومنهمُ فى مفازاتٍ وما قُبِرُوا
والحمدُ لله نحن السالِمونَ ولا يَسُوءنا حالُ قومٍ إن هُمُ كَفَرُوا
يا أيُّها الناسُ إن كنتم أُولو بصرٍ
وليس يَعْقِـــلُ إلا مَنْ له بَصرُ
فَفكِّرُوا واذكرُوا آلاء سيِّدكم
فهو الإمامُ الكريمُ الباسلُ النمرُ
ومَن أتى الذنبَ مِنكم فهو يغفرُه
وكلُّ ذنبٍ سِوى الإشراكِ مُغتفرُ
إنّ الإمام لكم حصنٌ وملتجأٌ
مِن العِدَى فاشكُروا نعماه وائتمِرُوا
إن تشكرُوا تَفْلَحوا دُنيا وآخرة فإنه من ذَوِى الكفران مُنتَصِرُ

---

(١) أى فى سجون. الأراقم : الحيات .
(٢) الشم : الجبال .

ولا تقُولوا غَنِينا[1] عن مواهبِهِ فكُلُّ خلقٍ إلى جَدواه مُفْتَقِرُ

لايعرفُ الخلفَ فى وَعْد ولا عِدَةٍ

وإنْ أتاهُ فقيرٌ ليس يَعْتَـذِرُ

يَقْظان إن يَمّم العافون[2] ساحتَه أغْناهُمُ بنوالٍ منه يَنْهَمِرُ

إنْ عدَّ فى الجودِ يوماً لايُشاكِلُه فى جُوده الأجْودان البحرُ والمطرُ

وإن بدَا طالعاً لآلاء غُرَّته تـكوَّرُ النيِّران الشمس والقمرُ

ولو وزنَّا جميع الخلق قاطبةً بظفرِ خِنصرِه أزْرَى بهم ظُفُرُ

يا أيُّها الملكُ المرجوُّ إنَّ لنـا لحاجةً نحن نرجُوها وننتظرُ

فما بسطتُ يدى أرجُو مساعدةً إلا وكفُّك لى بالجود يبتدِرُ

وكيف أجحدُ نُعمَى وَهْى سابغةٌ علىَّ فى صِغرى حتى أتى الـكِبرُ

لو أنّ بجلى وعمى وابنَه وأبى عادَوْكَ عاديتُهم ديناً وإن هَجَرُوا

واللهِ لو أضمرتْ نفسى مخالفةً لـكم تبرأتُ منها كالذى غَبرُوا

لك الممالكُ والطيـاه كاملة وللأعادِى ترابُ الأرض والحجرُ

وعِشْ ودمْ وابق مسروراً ومُبْتَهِجًا

فى قصر (يَبْرِينَ) يجْرِى تحته نهَرُ

قصرٌ مَشيدٌ يسرُّ الناظرين إذا نظرتَه زال عنك الهمُّ والـكدرُ

فيه السرورُ وفيه كل فاكهةٍ يحوطُه النخل والرمانُ والشجرُ

---

(١) غنى عن الشىء على وزن (سمع) : استغنى . والجدوى : العطاء .

(٢) العافون جمع عاف وهو الفقير .

وفيه ما لا رأتْ عينٌ ولا خَطرتْ ... به الخواطرُ والأوهامُ والفِكَرُ

كأنه جنةُ الفردوس منزلة ... فيها الفواكهُ والخيراتُ والسررُ

وحوله روضةٌ غناء وارفةٌ ... فيها الأطايبُ والأشجارُ والثمرُ

من حُسنها وسنا أنوار بهجتها ... إذا نظرتَ إليها يَقصُر النظرُ

هنّيتَه ببقاء لا نفاد له ... مخلداً فيه ممدوداً لك العمرُ

والباغِضُ الحاسدُ المحزونُ فى وَلَهٍ ... مُكبَّلٌ حَظّهُ الأحزانُ والسهرُ

وَأنت فى درجِ العلياء مرتقياً ... ما مرّ ذو الحجة الزهراء أو صَفرُ

وَأنت خِدْن المعالى يا خليفة من ... تضمنتْ مَدحَه الآيات والسورُ

هو النبىُّ الرضىُّ المبعوثُ مِن مُضر

ناهيك من جدُّه عدنانُ أو مضرُ

نشرتُ مدحك فى الآفاق ما طلعت

شمس وما لاح فى جنح الدجى قمرُ

أنت الخلائقُ والدنيا وبهجتها ... لولاكَ ما كانت الدنيا ولا البشرُ

* * *

القصيدة الثانية والثمانون

وقال أيضاً رحمه الله للشيخ بلعرب بن سلطان : [من الكامل]

أنا مُذْ نشأت بِضيْمِكم مَغمورُ ... وجنَابُ رَبْعى بالرِّضى مَعْمورُ

ومدائحٌ فيكم وفى أسْلافكم ... تُتْلى عليكم رَقُّها[1] مَنشورُ

أبلعرب الشهم الإمامُ المرتضى ... والصارمُ العَضْب الفتى المنصورُ

مَن قال فيك المدح غير مُدَلِّسٍ ... فهو المحقُّ وسَعيه مشكورُ

من أين يبلغ كُنْهُ وصفِك فى المُلَا ... والمجدُ شعرٌ كله تَقْصِيرُ

إنى لأقصر إن أجبتك مادِحاً ... ولو آن نظمى لُؤْلُؤٌ مَنثُورُ

لكن أتيتك طالباً عفْوًا لِمَا ... قصرتُ فى مدْحى وَأنت غفورُ

يا مالكَ الأملاكِ أنت وليُّنَا ... فاغفر لنا إنا إليك نصيرُ

أفْحَمْتنى حتى تحيَّر خاطِرى ... وأنا الفصيح بما يُقالُ بصيرُ

عَطفاً لشاعِرك الذى قربتهُ ... يا ناصرى مالى سواك نصيرُ

فعلَىَّ أنْ أهدى إليك مدائحاً ... يلقاكَ منها نضرةٌ وسُرُورٌ

لا زِلْت منصور الكتائب راقياً ... دَرَجَ السعادةِ لا عَرَتْكَ شُرُورُ

إن شِئْت أمراً كان أسرع كائن ... أو لم تَشأ يجرى به تقديرُ

ومن العَجائِب بذْلك الأموال لا ... تكييفَ يُحْصِيها ولا تَقْدِيرُ

لم أدر كيف أقولُ فى مَدْحِى لكم ... ولو أنّ قلبى للقريض بُحُورُ

---

(١) الرق : الصحيفة .

كلُّ الأمور وإنْ تقادم عهـدها مِن عصرها إلا إليك تحورُ
سبحان مَنْ سوّاك خَلْقًا فالذى يَحْويه تحرُك ما حوَتْهُ نحورُ
غادرتَ عجل أولى الضلالةِ خاسِئًا بشباً حُسام العدل ليس يَحورُ
أنت المليكُ العدلُ لـكن كفُّك اليُمْنى على بِدَرِ اللجين تجورُ
كم مقترٍ أنضَى إليك ركابه أضْحَى وباعُ الفقر عنه قصيرُ
أنا شاكرٌ لك ما حَييت وذاكرٌ فالحر للحرّ الـكريم شَـكُورُ
وارقَ العُلَى وابْق البقاءَ ودُمْ وعِشْ
عمراً وأنت بمـــا تَرَى مَسرُورُ

* * *

القصيدة الثالثة والثمانون

وقال لابن خال له فى الأدب : [من الخفيف]

خُذ نصيبين من صفاء السرور ... يا علىّ الفتى سليلَ بشـــــير
وارقُد الليل كُلّه لا تكُن سا ... هرَ جَفْن على فراش وثير
وارْعَ عشبَ الخيراتِ من ثمر الرا ... حة واشكُر لفضل رب شكور
هو ربُّ الإعطاء والشرفِ اللا ... جد والعدل والندَى والخير
الإمام السمح الجوادِ المجـــير ... الهمام القَرْم المليكِ الكبير
خـــلّد اللهُ مُلكه وَوَقاهُ ... اللهُ من شر يومه القمطرير
وَرَمَى مَنْ يسوؤه بشهـــابٍ ... ثاقبٍ من عقابه وسعـــــير
ملكٌ سيّد شجاعٌ جـــــوادٌ ... بطلٌ قاصمُ الكَنَودِ الكفور
بَسَط العدل فى البسيطةِ حتى ... فاقَ نوراً على الهلال المنـــير
قلّبِ الطرفَ يمنـــةً ويساراً ... هل ترَى فى الورَى له من نظير
هو كَهْفى إن ساءنى الدهرُ يوماً ... وهو سيفى فى الحادثاتِ مجيرى
فاصحُ يا علىّ نسل بشـــــيرِ ... واستمعْ مدحتى لهذا الأمير
عِشْ طويلا فى ظِلّه مستريحاً ... عيشَ خالٍ من القَذَى مسرور
بوصولِ الأهلينَ فى منحِ الأفـــراحِ والعدل والهدَى والحُبُور
فاترك الشغلَ والهمومَ بعيـــداً ... فهم فى حفظِ اللطيف الخبير
وإذا شئتَ أو بدَا لك أمرٌ ... فعليهـــا القضـــاء بالتيسير

مُرَّ قلباً وبتْ قرير عيـــونِ لا تبتْ فى دُجاك غيرَ قريرِ
إن تـكنْ ذا عقلٍ وحلمٍ رزين لا تفتش يا صاحِ ما فى الضميرِ
لا تـكررْ ذكرى حبيب بعيدٍ فى مغيب بدَا له أو حُضورِ
واكتمُ السرَّ عن قريب تدانى أو بعيدٍ من جاهلٍ أو خبـــيرِ
والزَم الصمتَ لا تـكن ذَا لسان ذَلِقٍ بالأسرار والتفســـيرِ
كنْ حليفَ التقى وسرَّك صُنْهُ عن حبيب ومبغضٍ ومشير
أنا سرِّى أصونهُ عن كبيرٍ وجهولٍ وعالمٍ وصغـــــيرِ
لستُ أبدى سرى ولو فرَّقوا جسمى عن العظم بالحسام الطريرِ
أنتَ حرٌّ ما دام سرُّك فى القلب فإن باحَ صرتَ مثلَ الأسيرِ
كم رجال باحوا بسرّهم عند رجالٍ باهوا بعظمٍ كبيرِ
فاحفظِ القـــولَ والنصيحةَ يا منْ بات يَطْوى الفلَا طىَّ الخبيرِ
كنْ بصيرًا بأهل دهرِك وافتحْ جَفنَ عين إن كفتَ عينَ البصيرِ
وعليكَ السلامُ من والدٍ برٍّ شفيق وافى الذمام بصـــــيرِ
صادق فى الودادِ طب حكيمٍ ناصحٍ مبصرٍ بكل الأمورِ
لا يغرَّنْكَ التضاحكُ فى النادِ فما كل ضاحكٍ بالظهـــيرِ
شمِّرِ الذيلَ فى أمورك طُرًّا لا تُنالُ الدنيا بلا تَشْمـــيرِ
وتفـكرْ إن شئت قولاً وفعلاً قيل إنّ الفـــلاحَ فى التفـكيرِ
وتدبرْ من قبـــل فعلِكَ بالأمـــرِ فإن الصـــلاحَ فى التَّدْبيرِ
إن تحيرتَ قِفْ وقوفَ سؤال لا تُداهِن مخافةَ التغييرِ

فاحذر اللهَ فى الأمـــور فإن اللهَ يُحْصى القليلَ مثلَ الكثيرِ
فعلينـــا فى طاعةِ الله فرضٌ وعليه التوفيـــقُ فى تَيْسيرى
ينبغى أنْ تجـــدَّ فى العملِ الصا لِح حقًّا لا خـــيرَ فى التقصيرِ
فاقتنعْ بالقليلِ تبقَ عزيزاً عِـــزَّةَ المُصْطَفى البشيرِ النذيرِ

* * *

القصيدة الرابعة والثمانون

وله أيضاً للشيخ خلف بن سنان :

مُذْ مـــــدةٍ ما جاءنا منكم خطوطٌ أو خبرْ
أمْ كيف لا يأتى إلينا عنكم خـــــبر يَسُرّْ
أم عافكم عنا كما قد عافنا عنكم كِبرْ
أنسيتُمُ عهـــــداً قديمـــا أمْ بَدَا منكمْ نظَرْ
أمْ غـــــيّر الودَّ النوى أمْ رَبعٌ ودى قد دثَرْ
أمْ مسّكُمْ معا صفـاء أمْ حادثٌ مِنّا ظَهـــرْ
أمْ قد بَدا مِنّـــا مَقَا لٌ فى عواقبـــه ضَررْ
أمْ دهـــركم ألهاكُمُ أمْ قلبكم عنّا نَفـــر
ولقدْ سمعت بِأنكم جِئتم إلى العلَم الأَبرّْ
ما ذَا يضـــيركُمْ إذا عاملتمُونى بالخـــــبَرْ
ما دارَ فى ضمير الفـــؤادِ محبكم أو ما خَطَـــرْ
فى بالِكم أنّى أنا الخِـــلُّ الوفىُّ وما عَدَرْ
فبأى مَا أعرضْـــتمُ عنّي فغالقني الفكرْ
منحٌ قريبٌ منكمُ لو واحدٌ منكم أَمَرْ
بزيارةٍ لمحبـــكمْ كَىْ مايكون له قَدَرْ

لـكن بحمـــدِ اللهِ أنـــى لا تحركنى له قُدَرْ
لا يَنْجَلى وُدِّى عن المحبـــوبِ واصلَ أمْ هَجَرْ
لـكننّي لا بدَّ لى من أن أعاتبَ من نفَرْ
كَىْ تَنطفى الأفـكارُ عن قلبى لـكى ما يَسْتقِرّْ

* * *

القصيدة الخامسة والثمانون

وقال يمدح الإمام أبا العرب بن سلطان : [من الكامل]

يا أيُّها الملكُ المرجَّى فضلُه ... لا زلتُ أرجو نيلَك المدرارا

إنى أتيتُك راجياً ومؤمِّلا ... أطوى إليك مجاهلا وقفارا

انظر إلىّ بعينِ فكرك والتفتْ ... لى فالعدوُّ يردِّدُ الأفكارا

مستنْمِراً مستأسداً ومشمراً ... عن ساقه يقلقفُ الأخبارا

فإذا رآنى فى انخفاضٍ سرَّهُ ... وإذا رآنى فى ارتفاعٍ غارا

لا تعجبوا الحسَّادَ إنْ هُمْ بالغُوا ... فى كيدهم فالحاسدون غَيارَى

يختارُ ذُو الحسدِ المبالغ حَتْفَهُ ... أنْ لا يرى للأكرمين يسارا

أو أن ينالَ المفترونَ عفايةَ ... أو يكسبَ الرجلُ الحليم فخارا

يا ذا المحامدِ والعلى عطفاً لمن ... إعلانه ما خالَف الإسرارا

يا مَنْ له الشرفُ الرفيعُ ومَنْ لهُ ... عزمٌ يقدّ الصارمَ البتّارا

ذاكَ الإمامُ اليعربىُّ بلعربٍ ... أعنى الهزبرَ الباسل المغوارا

نسلُ الفتَى سلطانَ سيف المنتضَى ... البحرَ الخضمَّ الزاخرَ التيارا

لك جودُ كفٍّ يفضح الأمطارا ... وضياء وجهٍ يخجلُ الأقمارا

جاوزتْ حد المنتهى فى الجودِ ... حتى قد غمرتَ صِغارهم وكِبارا

أوَ ما نفعتَ ببذلِ مالك كلَّه ... حتى وهبتَ المالَ والأعمارا

أنا لا أقومُ بشكرِ ما أوليتَنى ... إذ جودُ كفك جاوزَ المقدارا

أىُّ امرىءٍ لم يمْسِ غيرَ مقيد ... بندالكَ كلُّ العالمينَ أسارَى

لا عيبَ فى جَدْواكَ إلا أنها ... من كثرةٍ تستعبِدُ الأحرارَا

ولقاؤك الحسنُ الجميلُ معظماً ... يُنسى الورَى أهليهمُ والجارَا

ما البحرُ فى جَدْواكَ ما مطرُ الحيا ... إن قِسْته لم يبلغا مِعْشارَا

فالبحرُ يقذف بالأجاجِ كراهةً ... وندالكَ يَقْذِفُ عَسْجداً ونُضَارَا

خُذْها عروساً بنت فكرٍ مبدعٍ ... بكراً عَرُوباً تفضحُ الأبكارَا

تاهتْ على أخواتها بفرائدٍ ... وفوائدٍ لا دُمْلُجَا وسِوَارَا

تُحيى لكَ الذكرَ الجميل مجدَّدًا ... ما دام قطبٌ فى السما مِدْرَارَا

ومتى أرادَ السابقونَ لَحَاقها ... لم يُدْركوا إلا حصًى وغُبَارَا

مَن كانَ يزعمُ أنه يأتى لها ... مثلا يُشاكِل فالبِدَار بِدَارَا

إنْ كان يوجدُ مثلُ سيدنا فتًى ... سلطان يوجد مثلُها أشعارَا

لو يَسْمعُ الشعراء جوْدَةَ لفظِها ... تَرَكْتهمُ مُتَولِّهينَ حيارَى

أو إنْ رأتها الجاهليةُ دهرَهمْ ... سرقوا معانيها وداسُوا العارَا

زهـــراء رائقة المحاسن زانها ... روضٌ أنيقٌ يُنبتُ الأزهارَا

تولى وليُّكمُ المسرة مثل ما ... يزدادُ ضدُّكَ حَسرةً وخسارَا

فتقبلها يا ابن الكرام قوافياً ... مثل الجواهر فاقَتِ الأشعارَا

لا عيبَ فيها غير أنّ فريقهـــا ... يُورِى بأحشاء المعانِد نارَا

هَذَّبْتُها أرجو الإلٰه بها غداً ... فيحطُّ عنى الإثْم والآصارَا

إنّ الذى يتلو معانيها كَمَنْ ... يَتلو كتاب الله والآثارَا

ولك الهناء بعيد نَحْرٍ فانْحَرِ ... الأعداء لا تمدُدْ لهم أعمارَا

وابق البقاء السرمدىّ مخلداً ... ما ذرّ نور النـيِّرين نَهارَا

* * *

القصيدة السادسة والثمانون

وله أيضاً يمدح الإمام : [من الطويل]

لمىٌّ بوادى المنحنى طللٌ قفرُ سقاهُ الحيا الوسمى من نؤيه القفرُ
وغاداه منهل من المزن هاملُ وعلَّ ثراه مرعدٌ واكفُ غمرُ
وقفتُ به لما مررتُ بربعه أسائله عنهم ولى أدمعٌ غُزرُ
وعهدى به يُنضى شموس كواعبٍ تسيل دماً مهما توهَّمها الفكرُ
زواهرُ أمثال الأهلّةِ وُضَّحُ حسان التثنّى دونها الأنجمُ الزُّهرُ
وفيهنَّ مَعسولُ المراشفِ غادةٌ مُهَفهفةٌ لمياء وهْنانةٌ بِكْرُ
لها مُقلةٌ تُسبى العقولَ ملاحةً كأنَّ بها سحراً وليس بها سِحْرُ
وريقةُ ثغرٍ كالسُّلافةِ طعمُها
أو الشهدِ بلْ من دونها الشهدُ والخمرُ
شفاه قلوبِ العاشقين مزارُها وداؤهم منه الموشح والنَّحْرُ
سرَى طيفُها من حاجرٍ بعد هَجعةٍ
إلى مضجعى من بعد ما شَفَّنى الهجرُ
فأحْيَتْ برؤيا طيفِها قلبَ عاشقٍ أخى وَلَهٍ قد خانَهُ بعدها الصبرُ
فبِتْنا جميعاً فى نعيمٍ ولذةٍ وإيفاء وعدٍ لا يكدِّرُه الغدْرُ
أبثُّ لها الشكوى وتُبْدِى ملاحة إلى أن طوى أثوابَ ليلتِنا الفجرُ
فقامتْ سريعاً للوداع ودمعُها على خدِّها يَحْكِيه ماضمَّه الثغرُ

فولَّتْ ولى دمعٌ يسيـــلُ كأنّه
نَدَى كفِّ سلطان بن سيف هُو البحرُ
إمام هدًى زاكِى الأرومةِ ماجدٌ
مليكُ الورَى أضحى له النَّهْى والأمرُ
إذا جادَ بالإحسانِ لا جودُ حاتمٍ وإن كرَّ فى الفرسان لا مِثلُه عمرُو
جـــــوادٌ له فى كل ثَغْرٍ وبلْدةٍ
لـكثرةِ ما يُسْدِى على أهلها ذِكْرُ
حليمٌ يقيسُ الأمرَ قبل وُقوعه فـكلُّ عظيمٍ عنده ما لَهُ قَدْرُ
كذَا الدهرُ فعَّالٌ لما هو كائنٌ ولا شكَّ أن العُسْرَ يتبعه اليُسْرُ
ودونَك شِعرًا ابن سيف بن مالك سليمَ القوافى زانَه اللف والنَّشْرُ
ولا زِلْتُ فى نُعْماك فى اليُسْرِ والغنَى
وما مسَّ نفسى مُذْ صَحِبتـكمُ العُسْرُ
فدمْ وابقَ فى عزٍّ وملكٍ مُخلَّدٍ وتَجْدٍ أثيلٍ لا يغيرهُ العصرُ

* * *

القصيدة السابعة والثمانون

وقال رحمه الله : [من الطويل]

سلامٌ وتسليمٌ وألفٌ تحيـــةٍ ... وصفوُ ودادٍ لا يكدره الدهرُ

وذكرٌ جميلٍ معْ فضائل جمةٍ ... وإسداء معروف يكوره الشعرُ

وحمدٌ جزيلٌ في معانٍ كأنها ... قلائدُ عِقيان[1] تضمنها دُرُّ

بجيدِ فتاةٍ بنتِ عشر وأربعٍ ... كأن أساريعاً[2] أناملُها العَشْرُ

أخصُّ به[3] الزاكى سلالة ماجد ... محمد الحامى هو الباسلُ الذَّمرُ

يَسرك مَلقاه ويهديك رَأْيه ... يواسيك بالحُسْنى إذا مسّك الضرُّ[4]

فإن كنتَ في شكٍّ لما أنا واصفٌ ... فسلْ عنه يخبرك الجاورُ والسفْرُ

سأثنى عليه ما حييتُ وإنْ أمُت ... فلا لومَ يعرونى إذا ضمّنى القبرُ

وليس معى مالٌ أكافئه به ... ولكن سأدعو أن يطالَ له العُمرُ

وصلٌّ على خير البرية أحمـــدٍ ... شفيعِ البرايا مَنْ له الملك والأمْرُ

صلاةً توالى ما لها قطُّ غايةٌ ... ولم يحوِها نظمٌ ولم يحْوِها نَثْرُ

* * *

---

(١) العقيان : الذهب الخالص .

(٢) جمع أسروعة ، وهى دودة صغيرة حمراء .

(٣) أى بالسلام .

(٤) الضر : المكروه وما يضر الناس .

القصيدة الثامنة والثمانون

وقال أيضاً فى المدح رحمه الله :

[من الطويل]

خليلىّ هل بعد السنين الغوائرِ (١) رجوعٌ لأيام الشباب الغوابرِ (٢)
وهل جيرةٌ بالمنحنى شتّ شملُهم أم الشملُ مجموعٌ بساحةِ حاجرِ
وهل ذاكرٌ ذاك الحبيبُ الذى نأى عهوداً تناساهن أمْ غيرُ ذاكرِ
عهودُ هوى لم يمحُها من قلوبنا كرورُ عشياتٍ ومرُّ بواكرِ
ولما مررْنا بالديار التى عفَتْ سقَينا ثراها من شئون (٣) الحاجرِ
فظلنا بها نبكى وهل ينفعُ البُكا بأرجاء ساحاتِ الرسومِ الدوائرِ
ديارُ اللّتيّا ليس فيها مؤانسٌ يُرى غير غزلان الظباء النوافرِ
فتاةٌ لها وجهٌ يضىء كأنه إضاءةُ بدرٍ فى دُجنّةِ كافرِ (٤)
وجفنٌ سقيمٌ فاترُ اللحظِ فاترٌ كحيلٌ فما وَجْدى عليه بفاترِ
وسالفةٌ كالسيفِ سُلّ بغمده وجيدٌ كجيدِ الظبى نزهةُ ناظرِ
وصدرٌ به حُقٌّ من العاجِ (٥) قاعدٌ ولكن له فعلُ القنا المتشاجرِ
وخصرٌ لها واهٍ ضعيفٌ كسلوتى
وردف كَكثيبِ الرمل ملء المآزر
من الخفراتِ البيضِ دُعجُ عيونها
إذا نظرتْ تَسْبى الورَى بالمواظرِ

---

(١) أى الماضيات .
(٢) أى الذاهبات .
(٣) الشئون : الدموع .
(٤) الكافر : الليل المظلم .
(٥) يريد النهد . القنا : الرماح .

حياةٌ لذى موتٍ وموتٌ لعاشقٍ ودارٌ لذى بُعْدٍ وسَلْوَةُ خاطرِ

فَدعْهَا وسَلِّ القلبَ عنكَ بمدحِ مَنْ

صفَى لعلاهُ كلُّ بادٍ وحاضرِ

هُوَ الملكُ الهادى أبو العربِ الفتَى سلالةُ سلطانِ بنِ سيفِ المُفاخِرِ

لهُ جودُ كفٍّ لا يقاسُ بأولٍ وبحرُ عطاءٍ لا يقاسُ بآخرِ

سَمَا مُشْمَخِرًّا فوق هام السُّها على ملوكِ البرايا بالفدَى المتواترِ

فتًى همُّهُ كسبُ المحامدِ والعلا وتفريقُ مالٍ بين ناهٍ وآمرِ

له منطقٌ يعطى الرجال فَطانة وغرةُ وجهٍ كالشموسِ السوافرِ

زيارَتُه تجلى القلوبَ من الصدَى ورؤيا محياه جلاء الخواطرِ

أفادَ الموالى من سَخاوَته[1] كما أبادَ المعادى بالقنا والبواترِ

إذا صالَ ما بأسُ الأسودِ الخوادرِ وإنْ جادَ ماجودُ البحارِ الزواخرِ

شديدٌ على الأعداءِ لكنَّ دأْبَه إذا ما جنَى الجانى له عَفْوُ قادرِ

زكَا عنصراً من دَوْحةٍ يعربيّة تعالتْ سموًّا من كرامِ العناصرِ

فأنت الفتَى وابنُ الفتى وأبو الفتى أولئك تُتْلى ذكرُهم فى المفاخرِ

ورثتَ العلَا والمجدَ والحلمَ والحِجَى وبذلَ العطايا من جدودٍ أكابرِ

عممتَ جميعَ الخلقِ عدلا ورحمةً فأضحى مطيعا كل برٍّ وفاجرِ

وأضحى الذى أضْحى بربك كافرا مقرًّا بإسداء الندى غير كافرِ

ولا زلتُ أستقرى الخلائقَ كلهم فلم أرَ فيهم غير مثنٍ وشاكرِ

---

(١) السخاوة : السخاء .

فيا ابنَ الكرامِ الأولين تعطُّفاً ... لِذِى مقةٍ[1] صافى المودةِ زائرِ

كساكَ من المدح اللبابِ ملاءةً ... بها تاهَ حتى قال هلْ من مُفاخرِ

تزيدُ على مرِّ الليالى تجـــدداً ... فلم يُبْلِها من صرفه المُتغايرِ

قوافٍ من الشعرِ الذى فاقَ نظمُه ... بطِرسٍ بدتْ كاللؤلؤِ المُتناثرِ

أتَتْك تهادَى كالعرائس قُلدَتْ ... قلائدَ دُرٍّ فى عقُودِ الجواهرِ

إذا أنشدتْ فى محفلِ الجمعِ جهرةً ... تُفتشُ عن مكنونِ سرِّ الضمائرِ

فلو سمعتهـــا الجاهليةُ قومُها ... أضلّت بأبصارٍ لهم وبصائرِ

منزهةٌ تاهتْ على أخواتها ... بمعنى دقيقٍ فى العبارةِ ظاهرِ

فأنتَ لها كُفءٌ وفٍ فتملَّها ... وأظهرْ لها حسن القبول وبادرِ

هى الجوهرُ الشفَّافُ لا يستحقُّها ... سِواكَ من السادات يا ابنَ الأكابرِ

وهبْتُكَها أرجو بها الفوزَ فى غدٍ ... من الله ربٍّ خالق الخلق غافرِ

ودمْ وابقَ محروسَ الجنابِ مظفراً

وضـــدُّك معكوسُ المنى غيرُ ظافرِ

وعشْ ما بدتْ شمسُ النهار وغردتْ

حمائم فى غصن من الأيكِ ناضرِ

* * *

---

(١) المقة : الحب والشوق .

القصيدة التاسعة والثمانون

وقال الشاعر فى مدح الصبر : [من بحر الطويل]

سأصْبرُ صبراً لا يشاكله صبرُ وحتى يقولَ الناسُ قلبى له قبرُ

سأصبرُ صبراً صبر أيوبَ دونَه ولا أظهرُ الشكوى ولو مَسَّنى الضرُّ

وإن قيلَ إن الصبرَ يضنى[1] فإننى أطيقُ الضنى فى الصبر ما دام بى عُمْرُ

وإن كنتُ فى بعض الأحايين أشتكى فلا بد للمصدورِ من نفثةٍ تعْرُو

فما اشتد أمرٌ أو تعــذرَ نازحٌ على طالبٍ إلا وفرَّجهُ الصبرُ

فإن لم أجدْ فى الصــبرِ نفعاً لحاضر

عسَى فى ذُرَى العقبى لىَ الفوزُ والذُّخْرُ

فلا تعجبا منّى فذلك ديدنى[2] وكلٌّ له طبْعٌ يصرِّفُه أمْرُ

* * *

(١) يضنى : يورث الضنى وهو الهزال أو السقام والمرض .

(٢) الديدن : العادة المستمرة .

القصيدة التسعون

وقال فى ذم الصبر : [من بحر الطويل]

يقولون إن الصـــبر للمرء عدةٌ ... وذلك مشهورٌ ولا ينجح الأمرُ
ولـكن أرَى فى الصبر إن دامَ مدةً ... هموماً وأحزاناً يضيق بها الصدرُ
وفيه أمورٌ معضلات قواطعٌ ... يضيقُ عَلَى من رَامها البرُّ والبحرُ
وفيه تباريحٌ عظامٌ شدائدٌ ... يكاد لها من سطوة يُقصمُ الظهر
إلى أن يرَى الراجى بلوغَ مرادِه ... مِن الصبر فى أيامه ينفَدُ العُمْرُ
فإن كان فى الدنيا خُلودٌ بخِ بخِ ... وإلا فَلِمْ والجسمُ يمحلُهُ الصبرُ
فما الصبرُ إلا عن حرامٍ محرمٍ ... وفى طاعةِ الرحمن ربّى هُو الأجْرُ

* * *

القصيدة الواحدة والتسعون

وقال الشاعر : [من الطويل]

أتانى كتابٌ منك فاسترَّ[1] خاطرى ... ونارَ[2] برؤيا رسمه نورُ ناظرى
وفرجَ عنى كربةً وكآبةً ... وأطفأَ ناراً أضرمتْ فى ضمائرى
معانٍ به مثل الجواهرِ رصعتْ ... لآلئَ دُرٍّ كالنجومِ الزواهرِ
تلوحُ بأسطارٍ ترآى كأنها ... وجوهُ حسانٍ ناعماتٍ سوافرِ
بطرسٍ يَسُرُّ الناظرينَ ملاحةً ... وتبصره فيها جـــلاء البصائرِ
على أنها تشفى القلوبَ من الأسى ... وتبقى برؤياها همومُ الخواطرِ
إذا قُرِئَتْ يَعْنُو لها كلُّ مِصْقَعٍ ... خَطيبٍ ويُصْغِى عندها كلُّ ماهرِ
أتت من فصيحٍ عالمٍ ذى نباهة ... يقرُّ له إنْ خاله كلُّ شاعرِ
يسرّكَ مرآهُ ومَنظرُ وجهه ... بواطنُه محمـــودةٌ كالظواهرِ
ولا عيبَ فيه يرتجَى غيرَ أنه ... يُسَلِّيكَ عن وصلِ الحبيبِ المهاجرِ
هو المرتضَى الزاكِى سلالةُ حَرْمَلٍ ... به سرعةٌ أعنى محبِّى وناصِرِى
عليه سلامِى كلما لاحَ بارقٌ ... ولاحتْ بروقٌ فى السحابِ المواطرِ
وخصوا جميعَ الأقربينَ سلامنَا ... وأولادكم من كابرٍ وأصاغرِ
يخصـــكمُ أشياخُنا وولاتُنا ... بأزكى سلام بالثنا مُتواترِ
وصلَّ على خيرِ الأنام محمـــدٍ ... إلٰه البرايا ما هَمَى[3] كلُّ ماطرِ

* * *

(١) أى فسر ، أى غلبه السرور .
(٢) أى أضاء .
(٣) همى السحاب : هطل وتدفق ماؤه .

القصيدة الثانية والتسعون

وقال أيضا : [من بحر الكامل]

لك منزلٌ فى القلب لا يتغيرُ وصفاء وُدٍّ قط لا يتكدرُ
ومودةٌ منا تقادمَ عهدُها ووِدادُ صدق باللقاء يفسرُ
ما جئتُ أطلبُ منك يوماً حاجة أبداً وظنِّي أنها تتعسّرُ
إن كنتُ قد قارفْتُ ذنباً غافلا فى كسْبه أنا تائبٌ مستغفرُ
أو كنتَ أنتَ سمعتَ مِنى غيرَ ما تَهْواه من طَبْعى أنَا مُتعَذِّرُ
حاشاكَ أن تجفو محبًّا مخلصاً لك وُدّه أبدًا ولا يتغيرُ
عَهدِى بقلبك لِى وِدادٌ باطنٌ لكن بحسن خلائقٍ لك يظهرُ
وإذا أتيتُك قبلَ ذا فى حاجةٍ لا يعتريك تلكؤٌ وتعسرُ
واليومَ لا أدرى لأيةِ علةٍ مودودُنا عن حاجتى تَسْتنفرُ
أنا مُذْ عرفتُك ماتكدَّر خاطرى أبدا وقد مرت سنونَ وأعصرُ
أنا لستُ أنسى ما حييتُ وِدادَكم لو مر ألفٌ فى السنينَ وأكثرُ
أنا حافظٌ ودى لأهل مودَّتِى مترفقٌ لو بدلُوا أو غيرُوا
أنا لا أجازِى بالجفاء أحبتى لو أنهم بعد الصفاء تنمّرُوا
وإذا أتى مستغفرًا من ذنبه خِلٌّ غفرتُ له ولا أتكبرُ
يرث المالك والمفاخر والعلا سيفُ بن سلطان الإمامُ الأطهرُ

يَعفُو عن الذنبِ العظيم تكرماً وتجاوزًا وهو الحليم الأقدرُ
دمْ إمامَ المسلمين مـــــوفقاً فى كلّ أمر صالحٍ لا يعسرُ
ما غردتْ ورقاء أو هبت صَبَاً بين الغصون وما هَمَى مُسْحَنْفِرُ

* * *

القصيدة الثالثة والتسعون

وقال رحمه الله على أثر الرسالة المتقدمة : [من الطويل]

ألا قُل لِذى حمق تسربل بالغدرِ وجانب أهل العدل والفضل والقدرِ
تأهب لقد جاشت قريحةُ ماهرٍ عليك بأمواج تلاطَمُ كالبحرِ
قوافٍ كأمثال السيوفِ قواطعاً رجوماً لأهلِ الغدرِ والزيغ والمكرِ
ومن كان ذا حقدٍ فيسودُّ وجهه ومن كان ذا وُدٍّ فيعرفُ بالبِشْرِ
ويعرف أخـــلاقُ الورى بسماعِها
وتبدى لنا المكنون فى السرِّ والجهرِ
فَذَرْنى وهَجْوى للمخالفِ والذى يعنِّفُ أهلَ العدلِ والدين والذكرِ
سأطلق أفراسى عليه ســـوابقاً تفقتُ منه أعْظُمَ الظهرِ والصدرِ
فأرسلهـــا سَهما على أمِّ رأسه فتهوى به سفلًا إلى أعمق القَعْرِ
إذا قرئت يوماً له وهو حاضرٌ يقولُ لهم يا ليتنى كنتُ فى القبرِ
وتعصفهم عصفَ الرياحِ بشـــدة
فيتركهم صَرْعى على الأرض بالقَمْرِ
أحاطَ بهم فى دهرهم سوء مكرهم وأكثر ما أغوتهمُ نخوةُ الكِبْرِ
ولو فكروا فى أمرهم لتدبَّرُوا ولكنهم حَمْقَى تعَاموا عن الفِكرِ
فتبًّا وخسرانًا لهم ضلَّ سعيُهم ودارت عليهم دائراتٌ مِن الدهرِ
قد استحوذَ الشيطان جهلا عليهمُ فأنساهُمُ ذكرَ القيامةِ والنشرِ

فحادُوا ، وخانُوا ، واشرأبُّوا وخالفوا
وباتُوا وناموا واستقامُوا على النُّكرِ
فما نفعتهم رأفةٌ ولطـــــافةٌ وهل ينفع المقباسُ[1] فى ظلمةِ القبرِ
ولسْنا نُبالى باللئـــامِ وطعنهم علينا ونيلنا سيدُ البدْو والحضْرِ
فذاكَ إمامُ المسلمين بلا مرب سلالة سلطان الفتى المرتضَى الذُّخْر
جوادٌ له كفٌّ إذا انهلَّ جودُه على الخلق أغْناهم عن الغيثِ والقَطْرِ
أياديه لا تُحصى عداداً وكثرةً تجلُّ عن الإحصاءِ والعدّ والحصرِ
يقيسونه بالبحرِ والبحرُ مالحٌ وقد يصفون البحر بالمدِّ والجزرِ
له الشرفُ الأعـــلَى على كل باذخٍ
ولا زالَ فى يسرٍ وقاليه[2] فى عُسرِ
ولا زالَ فى مجـــدٍ وعزٍّ ورِفعةٍ
مدى العمرِ منصورَ الكتائب بالنَّصرِ
ولا زالَ من والاهُ فى الأمن راتعاً
وأعداؤُه فى البُؤسِ والذُّلِّ والخُسْرِ
إمامَ الهدى خذها قوافىَ ضمنتْ معانىَ محضِ الودِّ والحمدِ والشُّكرِ
وعشْ أبد الدنيا مليكاً مخـــلّدًا
ودمْ وابقَ دهرًا مالكَ النهْىِ فى الأمرِ

* * *

(١) المقباس : اللمبة أو الشمعة .
(٢) القالى : المبغض .

القصيدة الرابعة والتسعون

وقال أيضا رحمه الله وقد وشحها شاعر من أهل الحساء [وهى من الموشحات]:

[من الكامل]

يا صاح نصحاً للنصيحةِ فاقبلا
لا تبغ عن طرقِ الهدايةِ مَعْدَلا
واتبع شريعةَ أحمدٍ أزكى الملا
إن كنت تبغى أن تبوّأ منزلا فى جنةٍ وتعلّ من فوّارها
وتكونَ مسرورًا بأنس أكارمٍ
وصفاء مشروبٍ وطيب مطاعمٍ
ولقاءِ أحبابٍ وحُسْنِ خواتمِ
وتريحَ نفسَك فى نعيمٍ دائمٍ لا ينطفى أبدًا سَنا أنوارها
وتكون فى جناتِ عدن مستكنْ
طولَ المدَى لا خائفاً أو مُفتتنْ
فاسمع لمَا قد قلتُ إنْ كنتَ الفَطِنْ
فاغسلْ يديكَ بماء تقوى الله من دنياكِ تخلصْ من قَذَى أقذارها
لا ترغبنْ بها وخالفْ شهوة
واسأل من الرحمن عنها عِصْمَة
هلّا رأيتَ المنحَ منها محنَة
وأذلّ نفسًا إن تعالتْ رفعة لا تعلُها عن مُنتهى مقدارها

لا تمدُدَنها فى خَبائثِ مَتْجِـــــرِ
تُرْدِيكَ فى ظلماتِ ليلٍ مُـــــدْبِرِ
خالِفْ هَواها عن مواردِ مُنْكَرِ
وإذا أردت قطيفَ يانعِ مثمرِ مما زها سارعْ إلى إنكارها
واكففْ يديها فى السرائر والعَلَنْ
فجميعُ ماتهـــــواه يهوَى للفِتَنِ
واحـــذرْ مصائِدَها فإنك تمتحنْ
واحذر مِنَ الدنيا وزهرتها بأنْ تَلوى عِنانَك فى هَوى أبكارها
خالفْ أُهَيْلَ الغىِّ[1] فى أهوائِهِمْ
لاتغترِرْ بالفعـــلِ من كبرائِهِمْ
واتبع أهيلَ[2] الحق فى دَعْوَاهم
لاتَعْصَ أهل الدين فى آرائهم وأطع إلٰهك راضيًا أو كارها
إن شئتَ أن تحظى بغايات المُنَى
وتكونَ فى يوم القيـــامةِ آمنَا
خالفْ هوَى نفسٍ لتضحى مؤمنَا
فالخير كلُّ الخيرِ كفّ نفوسنا عن زيفها[3] والشرُّ فى إنكارها

* * *

(١) الغى : الضلال .
(٢) تصغير أهل .
(٣) الزيف : الباطل .

قافيـــة الزاى

القصيدة الخامسة والتسعون

وقال الشاعر : [من الطويل]

وكم من فتى يسعى ويحرم دائبا وآخر يؤتى رزقه وهو عاجز

وربما نال الكرامة ألكنٌ[1] وأخّرَ عن نيل المطالب راجز[2]

* * *

(١) الألكن : العي .

(٢) أى شاعر يقول الكثير من الشعر .

قافيـــــة السين

القصيدة السادسة والتسعون

وقال رحمه الله : [من البسيط]

مَهْما جرى ، حين ملّ الوصلَ مت هوًى
لما مشَى وتثنى قـــــده ميسا
نومى نفى قاتلى بالصدّ من ملل معذبى جار بالهجرانِ حين عسا
بضامرى، أبدًا حب الحبيب ثوَى قدّ الحشا ، فغدا نَوَاكَ ملتبسا
داء خفى ، ليس يصحو القلبُ من شغلِ
يا مهجتى ، ردّ عقل الصبّ والنفسا
بظاهرى ، ظاهرٌ فيه لهيبُ هوًى
سرَى فشَى ، كادَ قلبى أن يذوب أسَى
ما بى كفى ، لا تزيدونى على عَذَلى
تعقبى ، من حبيبٍ فى الحشا كَنسا
مُرْه عاذِرِى ، قد جفانى والصدودُ نوًى
فيما تشاء إذا طغى فى الهجر حين قسا
صبرى عفا ، خلنى والحبّ يا أملى مقلبى ، حبّه فى ضامرىّ رسا
معاقرى ، قدّ حيلفا بالأسَى ولوَى ظنى نشا فى الحشا دهرًا على أسى
لما صَفَا ، لم يزل قلبى على وَجـــلى
مُعَذِّبى ، مهجتى ثوبُ الشقا مَنْ كَسا

* * *

قافيـــة الشين

القصيدة السابعة والتسعون

قال الشاعر : [من بحر الطويل]

لقد عشتُ فى ذا القرن خمسين حجة فإنى رأيت الفقـــر ذل معاش

وأقبحُ ذلا فى الورى ذل مقتر[1] يجيئك جوعانا بذلٍّ رياش[2]

* * *

(١) المقتر : البخيل .

(٢) الرياش : الثياب الجميلة .

قافيـــة الضاد

القصيدة الثامنة والتسعون

وقال فى الثقيل :

ثقيلٌ لو أنّ الأرض تعقل صاحبى أبتْ طاعةً لله أن يطأ الأرضا
ولو أنّ نار اللهِ تعلمُ أنّه لها أقسمت باللهِ لست به أرْضَى
ومن ضاقتِ الدنيا على جلسائِه بأخلاقه السوءى وصارُوا به مَرضَى
ملات حيـاتى منه والأجرَ والورَى
وصحبى وكلّ الخلقِ والطولَ والعرضا

* * *

القصيدة التاسعة والتسعون

وقال أيضا فى الثقيل : [من الطويل]

ثقيلٌ عَلَى كلِّ الورى من تكبرٍ ولو أنصفتْ ساخَت بجثمانِه الأرضُ

ولو علِم العاصونَ فى شرِّ دارهم[1]

شريكاً لهم هذا المذمَّمُ لم يرضُوا

فيا داء مَن يرنُو إلى قبحِ وجهه ويامَن على كلِّ الورى بغضُه فرضُ

لقد ضاقَتِ الدنيا علىَّ بأسْرها

مِن أخلاقه واللوحُ والطولُ والعرضُ

* * *

(١) وهى جهنم .

القصيدة المائة

وقال الشاعر أيضا : [من الطويل]

حبيبٌ لو أنّ الأرضَ تخبرُ بالذى ... بها منه شوقاً للورى حسدوا الأرضا

ولو أنّ جناتِ النبيين خُيِّرتْ ... به وبهم قسْما لقالتْ بِهِ أَرْضَى

ومن تاهَت الدنيا على أهلها به ... كعيسى نبيِّ اللهِ تُشْفَى به المرضَى

* * *

قافيـــة الطاء

القصيدة الواحدة والمائة

قال الشاعر : [من الطويل]

وأعط إذا أعطيت غير مبذر ولاتك فى الحرمان والجود مفرطا

* * *

قافيـــة الظاء

القصيدة الثانية والمائة

قال الشاعر : [من الطويل]

فما لفظةٌ مِن فيك تلفظُ دائمـا تفادى الورَى إلا لها ألف حافظِ
فـكن حافظاً ألفاظَ فيك فإنمـا يفاديك كلُّ الناس يا خيرَ حافظِ

* * *

قافيـــة العين

القصيدة الثالثة والمائة

قال الشاعر : [من الطويل]

إذا ما بَدا بَرْقٌ بغمانَ لامعٌ شجتنا رسومٌ أقفرتْ ومراتعُ
وإن حن رعدٌ فى السحاب تصاعدتْ
لفا زفراتٌ واستهلتْ مدامعُ
رسومٌ بها الأحبابُ كانوا فأصبحتْ
مغبرّةَ الأرجاء فهْى بلاقعُ[1]
وأضحتْ ظباء الوحش فيها رواتعا وكان بها البيضُ الحسانُ الرواتعُ
نواعمُ أبدانٍ خرائدُ نُهّد كواعبُ غزلان بدورٌ لوامعُ
إذا قنعتْ[2] قلنا بدورٌ تجلببتْ وإن سفرتْ قلنا شموسٌ طوالعُ
تموتُ قلوبٌ ثم تحيى لأجلها إذا ارتفعتْ عن وَجْههن البراقعُ
كرائمُ لانصبو[3] لفعلِ دنيةٍ عليهن من حُسْنِ اللباسِ وشائعُ
تحفُّ بها الفرسانُ من كلِّ جانب كراما بأيديها عوالٍ شوارعُ
ومردٌ على جردٍ كآسادِ بيشةٍ لبامُهمُ زُغفٌ دلاصٌ موانعُ

---

(١) جمع بلقع ، وهو الأرض القفر لا شىء بها .
(٢) أى لبست القناع ، وهو غطاء الرأس .
(٣) من الصبوة ، وهو الميل .
(٤) جمع وشيعة ، والمراد بها الزينة والبهجة .

وشِيبٌ كأمثال الجبالِ حلومُهم ... كرامٌ بأيديهم قواضٍ[1] قواطعُ

فكانوا وكنّا فى نعيمٍ ولذةٍ ... وزهرة عيشٍ والزمانُ مقابعُ

أغازِل فيها كل حوراء كاعب ... عليها من الحُسن البديع بدائعُ

مهفهفةٍ غيداءَ غرّاءَ غادةٍ ... قيودٌ لها فى السنِّ عشرٌ ورابعُ

لها ريقةٌ أحلى من الشهدِ[2] طعمُها ... ووجهٌ بأوصافِ المحاسن رائعُ

إذا ما بدت شمس وكالليل فرعها ... سواداً وكالبلّورِ منها الأصابعُ

وخصرٌ حوتْه قبضةُ[3] الكفِّ ناحلٌ

وردفٌ ثقيـــــلٌ للمآزِر دافعُ

أقولُ لها والدمع يقطر لؤلؤًا ... وقلبٌ عليلٌ بالزيارةِ والعُ

فإن لم تجُودِى فى انتباهٍ بزورةٍ ... فإنى بطيفٍ من خيالك قانعُ

لَهَوْتُ بها دهراً طويلا مساعداً ... على غفلةِ الواشين والشملُ جامعُ

نفرّقنا دَهر وشتّتَ شملَنا ... كذلك دَأْب الدهر مُعْط ومانعُ

سقى اللهُ أياما بسلعٍ[4] تصرّمتْ ... فهل هى من بعد القضاء رواجعُ

وهل أنت ياعصرَ الشبيبةِ والصِّبَا ... بما قد تقضّى من زمانك راجعُ

ظللتُ ولى أجفانُ عين قريحةٍ ... ودمع من الشوق المبرِّح هامعُ

---

(١) أى سيوف مرهفة .

(٢) الشهد : عسل النحل .

(٣) أى تحيط به قبضة الكف كناية عن ضموره .

(٤) سلع : موضع بالحجاز ، تصرمت : انقضت .

أكادُ من الأشواقِ بعد أحبَّتى أذوبُ أسًى لولا الدموعُ الهوامعُ[1]

حكَى فيضَها فى الجودِ كفٌّ ابن سيفِنا

هو العَضْبُ[2] للأعداء والرمح قامِعُ

جوادٌ كريم أريحِىٌّ سَمَيْذَعٌ عفيفٌ تقىٌّ زاهدٌ متواضِعُ

سليمٌ ذكىُّ الذهنِ نقصانُ مالِهِ من الدهر غير المكرمات بضائعُ

هو الفذُّ سلطان بن سيف بن مالكٍ

له شهدتْ يوم الهياج مصارعُ

أياديه لا تُحصى عداداً وكثرةً وساحاتُه للأكرمين جوامِعُ

له الشكرُ والحمدُ الجزيلُ مقدما وأندية للطيِّبينَ مَراتِعُ

خزائنُه مفروغة لِعُفاتِه[3] وأموالُه للعالمين مَنافِعُ

إذا ما التقى الجمعانِ ليثٌ غضنفرٌ وإن فرَّت الشجعان فذٌّ مُدافِعُ

تمرُّ على الجرحى وثغرُك باسمٌ وقتلَى الأعادِى سُجَّد وروَاكِعُ

له خُلُقٌ عَذْبٌ إذا ما تغيرتْ إذا قال كلٌّ المقالةِ سامِعُ

شمائلُه محمودةٌ وطباعُه

كريمٌ طويلُ الباعِ والصدرُ واسعُ

شديد على أهل المفاكِرِ والخنَا حميدُ المساعى وهْو لله طائِعُ

إذا سار يوما أو أقام بموضعٍ تحاسدت الأرضونَ منها المواضعُ

---

(١) أى الهاطلات .

(٢) أى السيف القاطع .

(٣) جمع عاف ، وهو السائل .

كريمٌ له نفسٌ تُنازعُ فى العلى ... وليست لغير المكرُمات تُنازعُ
يدٌ خُلقتْ للبذلِ والجودِ ما لها ... سِوى الجودِ والإحسان فيه مصانعُ
إذا حلَّ أرضا حلّها الجودُ والغنَى ... وقام بها فصلُ القضَا والشرائعُ
فلا حالٌ فى الأمر ما هو عاقِدٌ ... ولا فاتق فى الأمر ما هو واقعُ
ولا نافع يوما لما هو حارمٌ ... ولا حارمٌ يوما لما هو نافعُ
ولا قاطعًا شخصًا له وهو واصلٌ ... ولا واصلٌ شخصًا له وهو قاطعُ
ولا مبعدٌ فى الخلق ما هو مرتضٍ ... ولا نابذٌ فى الخلق ما هو شَارعُ
نظيرُك مَفقــودٌ ، وضدك هالكُ ... وظلّك ممدودٌ وسعدك طالعُ
وحَوْضك مَوْرُودٌ وجَدُّك سامِكٌ[1]
وبابك مقصــودٌ وذكرُك شَائعُ
وكفُّكَ ممدودٌ ومالُكَ نافعُ ... وجُودُك موجودٌ وقلبك خاشِعُ
ورأيكَ محمودٌ وبحرك زاخرٌ ... وبيتُك معمودٌ وبرقُك لامعُ
وحِلمك محسودٌ وراجيك وَاثِقٌ ... ونجمك مسعودٌ وبأسُك باخِعٌ[2]
ولا تنسَ سيفَا نجل سلطان سيفِنا ... هو العَضْبُ[3] حدًّا لم تَهُلْه الوقائعُ
فما قامتْ الشجعانُ إلا وسيفُه ... بهاماتهم من مأزق الحرب راكعُ
يقوم مقام المَجْرِ[4] فى الحرب شدةً ... ويرجعُ عنه خصمه وهْو ضَارعُ

---

(١) أى عال مرتفع .
(٢) أى مهلك للأعداء .
(٣) أى السيف القاطع ، على التشبيه .
(٤) أى الجيش الكبير .

أخُو شدة لا يُرْتأى فى شديدةٍ ... ولا يعتريه الهَمُّ والأمرُ وَاقعُ
ودونـكم يا آل يعربَ مدحةً ... تلينُ قلوبٌ عندها ومَسامعُ
عليها من الوَشْى المفوَّقِ حُلَّةٌ ... ومن حُلَل التنغرِ الرفيعِ مَدارِعُ
هى الشّهد طعماً للموالين شَافِيًا ... وسُمٌّ بحُلقـــومِ المُعَادِين ناقعُ
فَعيشوا جميعا فى نعيمٍ مخلّدٍ ... وضدكم فى الذلّ والحشر خَاضِعُ
وحسّادُكم يكفيهم فى حياتهم ... مِن الحرِّ ما انضمت عليه الأضَالعُ
وما يحسدُ الشمسَ المنيرةَ نورَها ... من الخلق إلا ذُو نفاق مُخَادعُ
ألَا كلُّ ذِى مُلْكٍ سِواكم سَبَهْلَلٌ(١) ... وكل مَديحٍ غير مدحىَ ضائعُ

* * *

(١) أى لا وزن له .

القصيدة الرابعة والمائة

وقال يمدحه سنة ١٠٧٩ هـ : [من مخلع البسيط]

دَعُـــوه يبكى دمًا ودَمْعَا ... يندبُ رسمًا عفَا ورَبْعَا

لا تعـــذلُوه فى الحب جهلاً ... فهو عن العذلِ صَمَّ سَمعَا

إذْ كان نِدِّى وروح وُدِّى ... دَهْـراً وكفًّا فى الحب شرْعَا

أبْلَتْ موداتُه الليـــالى ... فصـــارَ ماء الوداد لَمْعَا

سَقيًا لأيامِنـــا المواضِى ... إذْ كان خفضى بهن رَفْعَا

أيام عـــودُ الشباب غضٌّ ... ونحن فى روضتيـــه نَرْعَى

أيام ذاتِ اللَّمَى[1] ترينى ... كالشمس وجهًا والليل فَرْعَا

مَمْشُوقَةُ القـــدِّ ذاتُ سنٍّ ... لها تنـــاهَى سبعًا وسبعا[2]

يا أيها العـــاذلونَ كُفُّوا ... عَـــنِّى فما بى ليس بِدْعا

فلو تدفعـــون ما أُعَانى ... لَمَا أطَقْـــتم لذاك دَفْعَا

أبيتُ ذَا حَسرة كأنى ... مُسَهَّـــدٌ ساوَرَتْه أفْعَى

كيف اصطبارِى ونارُ شَوْقى ... قد غادرتْ فى الفؤادِ لَذْعَا

لا تعجبُوا إن بكيتُ شوقًا ... مِن بعد إلفى دمًا ودَمْعَا

فجـــود دمعى أسى وشوقا ... كجود سلطان صـــار طبعا

---

(١) اللمى : سمرة مستحسنة فى الشفة .

(٢) أى هى فى سن الرابعة عشرة .

سليـــــلُ سيفِ الملك الذى يقمعُ أهلَ الطغيـــــان قمعَا
واليعـــــربى النسبُ الذى يقطعُ عنق الأعـــداء قطعَا
فاقَ الورَى مَحْتِداً وأصـــلا كما تعالى عِـــرْقاً وفَرْعَا
عمَّ البرايا ندًى وجـــوداً فاجتمعـــــوا فى نداه شرعَا
سعيت للمكرمات طفـــلا لا زِلْتَ للمكرماتِ تَسْعَى
أعدَيْتَ كلَّ الأنام جُـــوداً وجُـــدتَ حتى أفنيتَ جَمْعَا
لا غاب راجيك من جـــوادٍ إن جاء قصـــداً إليك يسْعَى
أنتَ لريبِ الزمان عَوْنى قد صرتَ حِصْناً لنا ودِرْعَا
قد فُقْتَ أهل الزمان رأياً وحِجًى صافيـــــا وصُنْعَا
أنتَ المليكُ الإمامُ عـــدلا لا زلتَ كلَّ الأنام تَرْعَى
أنتَ المرجَّى إنْ ظنَّ مزنٌ أو إن تمـــادى قطراً ورجْعَا
لك يومَ الهيـــــاجِ قلبٌ يُزْرِى على الخافقيْن وُسْعَا
لك وقْعٌ إذا المنـــــايا فى الحرب تغلى أشـــد وقْعَا
أدعـــوك إن عَضَّـــنى زمانى لا زلتَ للمكرمات تُدْعَى
ما قلتُ ذَا الشعرَ فيك وحدى لكنه صـــارَ مِنك يَسْعَى
هاكَ عروساً مِن ذِى ودادٍ فاخلعْ عليها الإحسانَ خَلْعَا
كأنها البـــــدر لاحَ نوراً أو كالثريَّا تَرُوقُ لَمْعَا

لا عيبَ فيها سوى الأعادِى تَسْفَعُهم[1] فى الأحشاء سَفْعَا
وادفعْ لها مَهْرَها وأجزل لأنها تستحق رَفْعَا
لو أنها تستطيعُ نُطْقَا لافتخرتْ مُذْ أنتْك تَسْعَى
فاقتْ على نظمِ كلِّ شعرٍ لأنها فى عُلاكَ تُدْعَى

* * *

(١) سفعه بناصيته أى أخذه ، وسفعته النار أى لفحته فغيرت لون البشرة .

القصيدة الخامسة والمائة

وقال يمدحه فى عام ١٠٧٩ هـ : [من بحر الوافر]

سَقَى بالمنحنى رسماً ورَبعَا مُلِثٌّ هاطلٌ وتراً وشَفْعَا
أعاذلُ كفَّ عذلك إنَّ أذنى لقد صمَّتْ عن العـذال سَمْعَا
أتنكرُ مِن فتًى داء قديمـا فهـذا ليس منه صارَ بِدْعَا
ولو قاسيتَ يوماً ما يقاسى غراما ما أطقْتَ لذاك دَفْعَا
يبيت مسهَّدًا ويذوبُ شَوْقاً كما قد ذَابَ من لَسَعَانِ أَفْعَى
وكيفَ يبيت ذَا نومٍ مَشُوقٍ ونارُ الشوقِ ملء حَشَاه لَذْعَا
بنفسى الظاعنونَ وإن تَنَاءَوْا بمنْ أَهْوى وحلُّوا ربع (سلْعَا)
إذا ما همَّ عاشقهـا وِداداً برشْفِ لَثَاتها رامقه لَسْعَا
حَكَتْها الشمس فى الإشراق نورا إذا سفرتْ دُجًى بالليل فَرْعَا
وجلَّ نَدَى المليك عن العطايا وجـودٌ بلمعرِب صار طبعا
سَعَى للمكرُماتِ بِلا دليلٍ بنفسى مَن غدا للخـير يسعَى
وَأضحى للمعالى والمـوالى مـدَى أيامه ضَرًّا ونفعَا
ويجمعُ ماله للبـذْل جُـوداً وتفريقاً على الأصحاب جَمْعا
له طرفٌ يراعِى النـاس طُرًّا بنفسى مَنْ جميعَ الناس يَرْعَى
ونجلٌ بالمالِك والمعـالِى وإنْ أمواله أصبحن مَرْعَى
لقد فَاق الأنامَ ندًى وجـودا كما قد فاقهم أصـلا وفَرْعَا

أبو العرب الجواد الرحب باعا ... إذا نادى الزمان أجاب طوعا

سريٌّ ماجدٌ معطٍ هِزَبْرٌ[1] ... شجاعٌ يَقمعُ الأعداء قَمْعَا

شديدٌ سيّدٌ سامٍ سَمِيٌّ ... سليمٌ مالكٌ خَفْضًا وَرَفْعَا

حليمٌ حاكمٌ حكمٌ حكيمٌ ... مليكٌ مالكٌ بسطًا ومنْعَا

صفيٌّ مرتضَى وال موالٍ ... حسامٌ يقطعُ الأحكامَ قطْعَا

له كَفٌّ يفوقُ الغيث جودًا ... وقلبٌ يُشْبه الأرضينَ وُسْعَا

فَيَا ابنَ الطيبينَ الأصلَ فخرًا ... فإنّ الفخرَ فيكم ليسَ بِدْعَا

ويا نسلَ الأولى سَادُوا وجادُوا ... وصارُوا فى الحروبِ أشدَّ وَقْعَا

ويا ابنَ المرتضَى عَطفًا فإنى ... بأبكارِ المعانى جئتُ أَسْعَى

وَأضحى ملكُكم شرقًا وغربًا ... وأمسى ذِكْرُكم حِصْنًا ودِرْعَا

أبوك إمامُ عدلٍ فاق طَبعًا ... ورأيًا محكمًا وحِجًى وصُنْعَا

ودونكمُ عروسًا بنت فكرٍ ... تفوق الشمس إشراقًا ولَمْعَا

خصصْتكُم بها فاخلعْ عليها ... لباسَ الجودِ والإحسان خَلْعَا

* * *

(١) الهزبر : الأسد القوى .

القصيدة الرابعة والمائة

وقال أيضا فى الحكمة : [من بحر الطويل]

ثلاثٌ بهن المرء يزدادُ رفعةً ولا مثلها للمرء فى الدهر رافعهْ

تواضعُه ، والزهـدُ عما يريده وسترُ المساوى فهْى للمرء نافعهْ

* * *

القصيدة الخامسة والمائة

وقال أيضا عام ١٠٩٠ هـ : [من مجزوء الكامل]

يا بقعة فاقت ببهجتها على كل البقاعِ
فكأنها ياقوتةٌ حمراء تلمع فى البقاعِ
أو مثل جوهرة ترو قك وهى من خيرِ المتاعِ
أو روضةٌ غنّاء وا رفةُ الظلالِ مع المراعِى
أو جنةٌ قد زُخرفتْ حُسناً لمحمودِ المساعِى
أو غادةٌ غرّاء وا ضحة الترائبِ[1] والقفاعِ
تعلأُ الأنوارُ مِن حافاتِها مثلَ الشعاعِ
لو صُوِّرتْ شخصاً لكا نتْ سيداً حُلْوَ الطباعِ
من تحتها الأنهارُ تجرى دفعتين بلا اندفاعِ
عينٌ تسمّى عين منبكَ تحتها يا خيرَ داعِ
كالقبّةِ الزرقاءُ فى بطنِ الوهادِ أوِ القلاعِ
فانظرْ إلى ضَحْضَاحِها كالشمس ترمى بالشعَاعِ
تنقى القلوبَ من الوسا وسِ والرءوس من الصداعِ
زُرْها وسَلِّ الهمَّ عنـ ـك فماؤُها ينفى الدواعى[2]

---

(١) الترائب : عظام الصدر .

(٢) أى هموم النفس .

فهْى التى فى الحـــرِّ با ردةٌ تَقِى حَـــر البقاعِ
يا سوقَ أهل العدل لســـتُ على نواكِ[1] بمُسْتطَاعِ
تجنى لك الثمـــرات من كلِّ البقاعِ بلا انقطاعِ
لا زلتَ ســـوقَ المسلمين مدى زمانِك فى اتساعِ
ومليـكُكَ العدل المؤيَّدُ فى عـــــلوٍّ وارتفاعِ
ذاكَ الإمامُ اليعـــربى بلعـــربِ ذو اتساعِ
حامِى حِمَى الإسلامِ با لقُضْبِ البَواترِ واليراعِ
ذوُ العزِّ والعرضِ المصو نِ حِماه والمالِ المضاعِ
نجـــلِ الإمام المرتضى سلطانَ سيدنا المطاعِ
هو نسلُ سيفِ نجلُ ما لـكه الفتى البطلِ الشجاعِ

* * *

(١) النوى : البعد والفراق .

القصيدة السادسة والمائة

وقال يرثى الشيخ القاضى عبد الله بن محمد المحمودى عام ١٠٠٧ هـ :

[من بحر الطويل]

إليكَ فعيني دمعُهَا ليس يُقلِعُ إذاً وفؤادى بالكآبة مُولَعُ
ولِي كبدٌ حرّى تذوبُ كأنها على ذَوْبِ مَهْلٍ لا تَنِي تتقطّعُ
وأجفانُ عين بالبكاء قريحةٌ مدى الدهرِ لا يَرْقا لها قطُّ مَدْمَعُ
وقلبٌ عـــــدوٌّ للسلو وكيفَ لَا
وربعُ الندى أضحى سُدًى وهو بَلْقَعُ
لِمَوْتِ مَن استهدى به كل جاهل فأضحى حليفاً للهُدَى وهْو طَيّعُ
هو الشيخ عبد الله نسلُ محمـــدٍ سليلٌ على المندبِ ذاكَ المُشفّعُ
بنفسى غريبِ الشكل والمثل مالَهُ
إلى الدين والدنيا سِوَى الزهد مشرعُ
بنفسى جوادٌ ليس يُرْجى رجوعُه فهلْ إلى رؤيا محيّاهُ مَرْجِعُ
فما كنتُ أدرى قبلَ دفنك فى الثرَى
وما خِلْتُ أنّ الشمس فى القبر تُوضَعُ
فكلٌّ مُصابٍ فى الأنامِ فجيعةٌ ولكنّه فى أكرم الخلق أفجعُ
وكل حِمامٍ نازلٍ فهو مُفْظِعٌ ولكنه فى أشرفِ الخلق أفْظَعُ
وكلُّ ملمٍّ لا محالةَ موجعٌ وإن حلّ فى خير البرية أوْجَعُ

كما ذكرُوا بيتاً من الشعر سالفاً عن العالم الماضى سَمعناهُ يُرْفَعُ
وكلُّ كُسوف فى الدرارى[1] شنيعةٌ
ولكنه فى الشمس والبدرُ أشْنَعُ
فهل بعدك الدنيا تطيبُ لعاقل
فكيف وأقوى[2] من جنابك مَرْبَعُ
وكيف يلذُّ العيشُ بعدك للورَى وأنتَ بأثوابِ الرغام مُلَفَّعُ
فيا لهفَ نفسى بعد موتِك سيدى ويا حَرَّ قلبى لا يزال التوَجُّعُ
فمن للتقى والدين بعدك والهدَى
ومَنْ للندَى والجودِ والفضل يَشْرَعُ
سَقَى قبرك المانوسَ بالنور والهدَى
وبالعلمِ والتقوى سَحائِبُ هُمَّعُ[3]
مُلِثًّا غزيراً دائمَ الوبل هاطلاً كما قد سَقَتْهُ من جفونى أدْمعُ
وخطبٌ تكادُ الأرض ترجُفُ خيفةً
لديه وأشرافُ الروامِى تُصَدَّعُ
فيا لك خطباً شَلَّ كلَّ مصيبةٍ بحيثُ لديهِ كلُّ خطبٍ مُفَجَّعُ
لقد عمَّ أهلَ الأرض حزناً ولوعةً فمن ذا الذى أمسَى ولا يتوجَّعُ

---

(١) الدرارى : النجوم .
(٢) أقوى : أقفر وخلا .
(٣) همع السحاب : هطل وأفرغ ماءه .

فلا غروَ أن أجريتُ مجرى مَدامِعى
نجيعاً وقد أوْدَى الولىُّ المشيّعُ

ولا غَرْوَ إن أمسيتُ حِلْفَ الأسى وقد
تناءى إذاً عَنّى الحبيبُ المودِّعُ

ولا عَجبٌ إن أحرقَ الحزن مُهْجتى
إذا لم يكن لى فى لقائِك مَطمَعُ

ولكن عجيبٌ إن تبسمتُ ضَاحِكاً
سلوًا وما لى فى رجوعِك مَهْيَعُ(١)

أيَا نائياً(٢) بَرِّدْ حشاى بنظرةٍ فإنى بأدنى نظرةٍ منك أَقْنَعُ
وسَلْ فؤاداً طالَ ما قَدْ رأيتَه فأضْحَى سقيماً وهْو ولْهَانُ مُوجَعُ
فبوَّأهُ الرحمنُ حضرةَ قدسِه فأصبحَ فى روض الرياحين يَرْتَعُ
وأصبح كلٌّ باكيا لمصابه وأجفانُه قَرْحَى وعيناه تَدْمَعُ
لو آن البُكا يجدى بكيناهُ دهرنا دما ولكنَّ البُكا ليس يَنْفَعُ
وفى رجب كانتْ وفاةُ وليِّنا لنصفٍ مَضَى فى عدَّةٍ فاسمعوا وَعُوا
وألفٌ مضى من قبل حجةِ توالتْ ثلاثٌ بعدهن وأربَعُ
لهجرةِ هادينا النبىِّ محمدٍ هو المرتضى الزاكى الشفيعُ المشفَّعُ
عليه صلاةُ الله ما ناحَ طائرٌ وما شِيمَ بَرْقٌ بالسحائب يَلْمَعُ

---

(١) المهيع : الطريق الواضحة .
(٢) النائى : البعيد .

ولولا إمامُ المسلمين لأصبحتْ جيادُ الندى حَسْرَى أسًى وهى ظُلَّعُ
وأصبح فرعُ العلم والدين ذاوياً وربعُ الندى عافى الربى وهْو أسْفَعُ
وأصبح وجه الجودِ أغبر قاتماً عديم المآقى وهْوَ أسودُ أجْدَعُ

هو الشهم سلطان بن سيفِ بن مالكٍ

إمامُ الهدَى الزاكى الفتى المُتورِّعُ
شُجاعٌ ترى الشجعانَ تَزْهق خيفةً لديه وتهْوى حولَه وهْى خُضَّعُ
وترتجف الأرضونَ منه مخافةً وشمٌ الروامى من سَطاهُ تَضَعْضَعُ
وتَعْنُو لهُ الأملاكُ بأساً وشدةً ذوُو رِعدةٍ من حوله وهى خُشَّعُ
مليكٌ ترَى الدنيا على حُكمِ كَفِّه
فأصبحَ يُعطى مَن يشاء ويَمْنَعُ
جَـــوادٌ له كفٌّ تسيلُ مواهباً
وصدرٌ كوجْهِ الأرض بَلْ هُو أوْسَعُ
هُوَ البحرُ فى الإحسان لا غَورُه يرى
هُو الغيثُ جوداً مُزْنُه ليس يَقْشَعُ(١)

* * *

(١) انقشع المزن (السحاب) : ذهب وتفرق .

القصيدة السابعة والمائة

وقال الشاعر : [من المنسرح]

أنفقْ من المالِ ما استطعتَ فذو ... الإنفاق يزدادُ رُتْبةً وسَعَهْ

فمن أرادَ الخيراتِ فى غده فليعط ... أهلَ الإفتقارِ ما جَمَعَهْ

وليتق الله ربَّهُ فهو الخلاقُ ... وليَعْتَبر بما سمعَهْ

كمثل والى الإمام سيدنا ... ذى الفضلِ والجودِ والتقى جُمعَهْ

لا تجد المنعَ فى سجيته ... انظرْ ترى أى سائل مَنَعَهْ

قد زاده الله ثروةً وغنًى ... كما علا كلَّ حاكمٍ رَفَعَهْ

ولا فقيرٌ تراه ذَا عُسُر ... يلقاهُ إلا كساهُ أو نفعهْ

* * *

القصيدة الثامنة والمائة

وقال رحمه الله يحرض على الخيرات والأيادى الحسنى :

[من بحر الوافر]

أحِبَّ أهلَ العقول مِن الرعايا ... بلا ريثٍ وكن لهمُ سميعاَ
وكن قدَّامهم فى كلِّ أمرٍ ... تكن فى كلّ مرتبةٍ رفيعاَ
ولا تغضبْ فأنت رئيسُ قومٍ ... وشاورْهم تكن حصناً منيعاَ
وإن نادَوْك فى الجُلَّى أجبْهم ... بلا ريثٍ وكن لهمُ شَفيعاَ
وإن أمرٌ بدا التعجيلُ فيه ... فعجِّـلْهُ بلا لُبْثٍ سريعاَ
وإن أمرٌ بدَا التأخيرُ خيراً ... فأخرْه وكنْ فيه مَنُوعاَ
وسرُّك عن أولى الألباب صُنْه ... فكيفَ بمنْ يصيرُ لهُ مذيعاَ
وإن أعطاكَ سرًّا ذو وداد ... فأقبرْه وحاذِرْ أن يضيعاَ
فإن أفشيتَ هاجَ الشرُّ فيهم ... وإن أخفيتَ أرضيتَ الجميعاَ
فلا تغـررْك ألسنةٌ عِذابٌ ... تَدُوفُ وراءها سُمًّا نقيعاَ
وإن داراكَ من عاداك دارِى ... ومن والاكَ والِ المستطيعاَ
وإن أحدٌ غضبتَ عليه فاغفرْ ... له زلاتِه تكنِ المُطيعاَ

* * *

القصيدة التاسعة والمائة

وقال الشاعر فى الحكمة : [من بحر الوافر]

وإن شئتَ استباحةَ كلِّ أمرٍ ... فكن فى الناس ضرّارًا نَفُوعَا

ولا تسمعْ لهم قيلاً وقالًا ... ولا تَكُ فيهمُ رجلاً جَزوعَا

فإن عدلَ الرئيس فكلُّ شىءٍ ... به عدلٌ وما شىءٌ مضيعا

وكنْ فى الأمر ذَا مَهمٍ وحِلم ... ولا تظهر لشانيك[1] الخضُوعا

ولا تقدمْ على الأشياء حتى ... تفكر فى مخارجها جميعَا

وفكرْ فى مداخلها لئلا ... ترى أعقابها خَطْبا فَظيعَا

ولا تغضبْ إذا خوشنْتَ يوماً ... ولا تكُ فى أوامرهم هَلُوعَا[2]

وخفْ قولَ الجماعة أن يقولوا ... مقدمنا من الأهوال رِيعَا

وكنْ فى الحلم رضوَى لا تبالى ... وكُنْ للثقل محتملا ضَليعَا

أطاعُوا من أطاعَ الله حقا ... إمامهم الفتى السامى المطيعَا

فتى سيفَ بن سلطان بن سيف ... سلالةَ مالكِ المَلكِ الرفيعَا

* * *

---

(١) الشانئ : المبغض .

(٢) هلوع : جزوع .

قافيـــة الفاء

القصيدة العاشرة والمائة

وقال الشاعر : [من بحر الطويل]

وقلتُ له لقياكَ خـــيرُ عُلالةٍ

إذا كنت ذَا بشر ولانَتْ معاطِفُ

وهاتِ اسقنى من خمرِ ثغرك إنّها حلالٌ لها ما باشرتْها الأساقِفُ

فأصغى[1] بثغرٍ كالجمانِ مفضداً وجادَ لنا مما حوَتْهُ المرَاشِفُ

سكرتُ بها صِرفًا سُلافًا[2] مِزَاجُها

فقيتٌ من المسكِ الذكىِّ مُضاعفُ

ولما تفاشـــدْنا وطالَ عتابُنا جرَت عَبَرَاتٌ ما عَدَتْها المطارِفُ

فقلتُ لمـا هذا البكاء بعبرةٍ ؟ فقال : بكائى من فراقِك خائفُ

فقلت أتبكى فى اللقاء وفى الهوى فقال كلا الحالين فيه مخالفُ

فقلتُ فهلْ من راحةٍ قال لى فلا أرَى راحـةً إلا لمن يؤالفُ

شدائدُ شتّى والحبيبُ مساعفٌ فكيفَ به إذْ كان وهْو مخالِفُ

فمن حَبَّ أو من حُبِّ فهو معذبٌ ولا زالَ يغشاهُ الأسَى والمخاوفُ

فما ساءَنا سوءا ولا سامَنا أذًى من الخلق إلا من نرَى ونؤالفُ

---

(١) أصغى : مال .

(٢) السلاف : الخمر المعتقة .

فإنى رأيتُ البعد سعداً لمن نأى عن الناس أو من لم تملّه المآلفُ

فعشْ فى ذُرى العليا وحيداً موحداً فريدًا ولم يهتفْ بربعك هاتِفُ

عساكَ ترى جنّاتِ عدنٍ مؤالفا بها الحورُ فيها تحتويك المشارفُ

وبادر إلى الخيراتِ من كل وجهةٍ

وكن كيِّسًا تُسْدَى إليك العَوَارِفُ

وباشرْ إذا مرّتْ بك الدهرَ فرصةٌ فإن لم تباشرْها فإنك آسفُ

* * *

القصيدة الحادية عشرة والمائة

وقال يمدح الإمام سلطان بن سيف :

قِفُوا فلقا فى ربعِ ليلى مَواقفُ فإنى وإن باينتمونى لواقفُ
فإن كان دينى دينكم عرِّجُوا بنا وعوجوا على أطْلالها لا تخالِفُوا
فإن لم تَعُوجُوا ساعِدُونى على البُكا

فإن البكا للهمِّ والحزنِ كاشفُ
دعونى أُرحْ قلبى من الهمِّ والأسَى

فقلبى من التفريق والهجْر واجفُ(١)
ولا تكثروا لومى كفانى لأننى بدائى وأسبابِ المودة عارفُ
سلوٌ وحبٌ راحلٌ ومخيمٌ وصبرٌ وسقمٌ بائنٌ ومؤالفُ
ودمعٌ وعقلٌ حائرٌ ومباينٌ وقلبٌ وحبٌ طائعٌ ومخالفُ
ولا غَرْو إن أسبلت فى الربْع أدْمعى

فلى فى حمى ليلَى ليـــالٍ سوالفُ
سقَى ربعَها نوء السِّماكين هامعٌ من المزنِ هطّالُ المدامعِ واكفُ
كما قد سقتــــه بكرةً وعشيةً

غداةَ النوى منى الدموعُ الذوارفُ

---

(١) واجف : أى خائف .

(٢) وكف المطر : هطل مدرارا .

ألا فاعْكفُوا إن كنتمُ لى حبائبًا ... عَلَى مَرْبع الأحبابِ إنى لعاكفُ

على مَرْبع بالمنحنى قد تفاورتْ ... عليه من الريح الشمال عواصفُ

عفَا بعد سكانٍ وأهلٍ وجيرةٍ ... بحيثُ يُقالُ المزنِ فيه عَوَاكِفُ

وَقَفْتُ أحييه وتنهلُّ أدمُعى ... لأنّ شفاءَ القلب تلك المواقفُ

أسائِله عنهم وأنّى يجيبنى ... رسومٌ تعفتْهَا الرياحُ العواصِفُ

فأمستْ ظباء الوحش فيها رواتعًا ... وكان بها البيضُ الحسانُ العفائفُ

وعَهدى بها والعيش أغْيدُ ناعمٌ ... وظِلِّى بهاتيك المرابع وَارِفُ

سقى ربع ليلى كلُّ غادٍ ورائحٍ ... وإن طافَ بى من شوقها اليوم طائفُ

فتاةٌ لها كالشمس وجهٌ وكالدجى ... أثيثٌ[1] وكالبِلَّوْرِ خَدٌّ وسالفُ

إذا قعدت تجرى على الأرض رقةً ... وإمَّا مشت تهتز منها الرَّوادِفُ

وإن قابلتْ بدر السماء بوجهها ... يخرُّ لها من سُمْكِه وهْو كاسِفُ

وتخجلُ نورَ الشمس غرةُ وجهها ... وتفضحُ خُوطَ البان[2] منها المعاطِفُ

تؤثِّر فى جثمانها وشىُ بُردِها ... فتؤلمها أثوابُهـا والمطارِفُ

يشفُّ سَناها[3] من وراء لِحَافِها ... فليس تُوارِى صَفحتَيها الملاحِفُ

---

(١) أثيث : أى شعر متراكب أسود .

(٢) أى غصن هذا الشجر .

(٣) السنا : النور .

تعـــوّد قتلَ العاشقين كأنّه مليكٌ على قتل الأنامِ مخالِفُ
تعوّد بذلَ المال سلطانُ سيفنا لهُ من علاه فى البرايا لطائفُ
حليمٌ يُجَازِى المذنبين بعفْوه فما زال يعفو عنهم وهو لاطِفُ
أيا مَعشر الإسلام إنّ إمامكم إمام تقى لا تَعْتريه الرواجفُ
فلا تيأسُوا إمَّا اجترحتمْ حريمُه له من سجاياهُ عليكم عواطفُ
ولولاهُ لانهـــدّ الهدى وتضعضعت
جبالُ حُلومِ[1] واشْرأبَّ المُخالِفُ
وحلتْ بدنيا كُمْ رواجفُ أعصرٍ وعمتكمُ بالذل تلكَ الرواجفُ
وزعزعَ ركنُ الدينِ وانهدّ سُورهُ وعطّل آثارُ التقى والمصاحِفُ
وإن الفتَى سُلطانَ ليثٌ غضنفرٌ تخرّ لهُ طَوْعَ القيـادِ الخلائفُ
مليكٌ له الدنيا تدينُ مخافةً وتعنُو له أمْلاكُها والطوائفُ

* * *

(١) الحلوم : جمع حلم وهو العقل .

القصيدة الثانية عشرة والمائة

[من بحر الطويل]

سرَى ونسيمُ الحاجزين يلاطفُ
غصونَ النقَا والمزنُ بالقطرِ واكفُ

ألا ما أُحَيْـــلاهُ أتى بعد هجعةٍ
وقد سكنتْ بعد اضطرابٍ رواجفُ

أتى والليلُ مُرْخٍ ستـــورَه حبيبٌ بأسبابِ المودةِ عارفُ
فقامَ بلطفٍ يقرعُ البابَ ماثلاً بصوتٍ رخيمٍ قوعُه مترادِفُ
فقلتُ له من ذا على البابِ واقفاً ؟ فقال : حبيبٌ بالوصالِ مساعِفُ
فقلتُ له : فليدخلَنْ حبيبُنا فأهلاً وسهلاً أَمَّنَتْكَ المخاوفُ
فلما التقينا قالَ هَلْ من عُلَالَةٍ إذا كنتَ ذا بشرٍ ولانت معاطفُ

فَعِشْ أنتَ وابناك الكريمان في العلى
وضدُّكم للخُسْرِ والذل آلفُ

ولى فى معالِي مجدِكم وعلائِكم وفى عزكم دون الأنام مآلفُ
وإنى على رغْمِ الحسودِ وضدكم بكفِّى ثمارَ الجود منكم لقاطفُ
وإنى لديكم طائعٌ متواضعٌ سميعٌ لما قد قلتمُ لا أخالفُ

* * *

القصيدة الثالثة عشرة والمائة

وقال فى الحكمة اللقمانية : [من بحر الطويل]

ثلاثٌ يعيش المرء فيها مكرَّمًا يعظمه كلُّ الورَى ويشرِّفُ

هو العفوُ عمن شاءَ سرًّا وجهرةً على كلِّ حالٍ والتُّقَى والتلطفُ

* * *

القصيدة الرابعة عشرة والمائة

وقال الشاعر يعاتب قاضيا : [من بحر الطويل]

لقد آنَ أنْ توفَى العهودُ السوالفُ ليفعم موعودٌ ويأمن خائفُ
فأوفِ بوعدٍ سالفٍ كان بيننا فإيفاؤه للبَرْح[1] والهم كاشفُ
ومثلُك لا ينسَى وإن طالت المَدى ولا يفكرُ الشيءَ الذى هو عارفُ
أذكرك العهـــدَ الذى كانَ بيننَا
وإنْ كنتَ لم تنسَ الذى أنا واصِفُ
ومن عجبى أنِّى أعرِّفُك الوفا وأنت بحمدِ اللهِ بالحال عارفُ
فأوفِ وبادر واعلُ واشرفْ وقل وعِد
ومرْ واسترحْ وارفُقْ وبئس المخالفُ

* * *

(١) البرح : الهم والحزن .

القصيدة الخامسة عشرة والمائة

وقال الشاعر : [من بحر الكامل]

إنى لأعجبُ من أناس زماننا ... فى حقِّ مرضى صحبهم لم ينصفُرا

قصدُ الخلائق فى العبادةِ إنهم ... إن لم يَعُودُوا فى الثلاث توقفُوا

وأنا أقولُ ولو إلى سفةٍ فلا ... يجفى الممرّض بل يعادُ فيألفُ

وإذا امرؤ فى الناس طال به الأذى ... قطعـــوا زيارتَه له وتخلّفُوا

إن كنتَ ذا عقلٍ وحلمٍ فاتّبعْ ... ما قلتُ من حقٍّ ودعْ ما صنّفُوا

ودع الحياءَ وراء ظهرك واستقمْ ... بعيادةِ المرضى فأنتَ المنصفُ

وإذا مرضتَ فلمْ يعُدْك فتًى فلا ... تعتب عليه وكن كأنّك أغْلَفُ

وإذا رَمَقه يدُ الحوادث بالأسَى ... عُدْ مُسْرِعًا لايعتريك تكلفُ

* * *

القصيدة السادسة عشرة والمائة

قال الشاعر : [من بحر الكامل]

وعليك نفسكَ لاتعبْ أحداً ولا ترضى الجفا لو فتّدوك وعنّفوا
والق الخلائقَ بالبشاشةِ لاتكن متجهّماً لا خابَ مَن يتلطّفُ
وتغاضَ عنهم لاتعدّ ذنوبهم لو أنهم فى سيئاتك أسْرَفُوا
إنْ تحصِ أفعالا لهم وتجازهم
مَقتَرك[1] واستولوا عليك وأرْجَفُوا
حَيّ العدوّ تحيةً بتلطفٍ لا شك ينجو من أذى متلطفُ
وذرِ الرياء والعجبَ والخيلاء والأضغانَ والشحناءَ يا متعفّفُ
تَسْلَمَ من العاهاتِ والإيذاء من كلِّ البريةِ واتّبعْ مَا ألّفوا
وَدَعِ الفضولَ من الكلام وغيره مِن مطعم أو ملبس يتصرّفُ
إن الفضولَ يميت أفئدةَ الورى وبتركه تحيى الحياةَ وتشرُفُ
وإذا اتخذت خليلَ صدقٍ صالحاً وعلمتَ منه الخير أنت الأعرفُ
لا تسمعن فيه مقالةَ مدّعٍ لو طوّفَ الساعونَ فيه وأسْرَفُوا
لا تبعدنْه بلا دليلٍ واضحٍ إن كنت ذا حلمٍ وممن يعرفُ
فلربما حَسدوك أو حسدوكهُ فتقوّلوا كذباً عليه وحرّفُوا
ولربما عابُوا تقيًّا صالحاً وهو المكرّم بالعلوم مُشرّفُ

---

(١) مقت الشيء : أبغضه .

لولا السعاةُ وقولُ واشٍ حاقد ... مِن كيدهن لما تنكل[1] يوسفُ

فى السجن سبعُ سنين قامَ به وفى ... الجبِّ المهولِ ، أمثلُ ذلك يُقْذَفُ

وهو النبىّ المخلصُ الداعى إلى ... الخيراتِ نجّاهُ الرحيمُ الأرأفُ

وكذاكَ أم المؤمنين وإفْكُهم ... رميتْ بداهيةٍ ولم يتعفّفُوا

وكذا ابنُ مقلةَ قد قطعن بنانَه ... ببَليّةٍ وهو البرىء الأعْرفُ

كَمْ كَمْ وكَمْ من عالمٍ ومعلمٍ ... كبِنجار موسى سَفّهُوه وسَفْسَفُوا

فبأىِّ شىء أسبَطوه من العُلى ... والفوز فيها واحتواهُ الصفْصَفُ

وإذا افترى خبراً لئيمٌ سجّلوا ... هذا يدحرجه وهذا يَنْدفُ

حتى استوَى غُزلاً وحاك مفوّفاً ... فاستحسنوه وقيل هذا المطرفُ

من ذا الذى ينجو ويخرجُ سالماً ... من عيبهمْ حتى الحكيمُ الأشْرَفُ

فحـــذارِ لا تقبلْ مقالةَ حاسدٍ ... فى العارفينَ ومن أبوه المصحفُ

فانظرْ وفكّر واعتبرْ واسمعْ وسلْ ... واحلُم ودمْ واسلمْ عَداك تخلّفُ

ليسَ الذى قال إنى مؤمنٌ ... هو مؤمنٌ حقًّا وفيه تعسُّفُ

حتى يكونَ به خصالٌ أربعٌ ... طبعاً به أخلاقه تتكشَّفُ

لا ناله ســـــوء وليس ينالُه ... وبرخصةٍ لو أنه يتكلّفُ

صلةُ المقاطع عفوُه عن ظالمٍ ... وتجاوزٌ عن شتمِ مَنْ هو يقذِفُ

وعطاؤه جَزلاً لمن هو حازمٌ ... قلّا وفيه لِمنْ رآه تلطفُ

هٰذِى الخصالُ هديةٌ من ربنـــا ... لنبيّنا الهادِى هو المُتعفِّفُ

* * *

(١) أى أصابه النكال وهو العذاب الشديد .

قافيـــة القاف

القصيدة السابعة عشرة والمائة

قال : [من الطويل]

سَكِرنا بخمرِ الشوقِ والبُعدِ والنوَى
لُحسْنِك حتى لا نكادُ نُطيقُ
فهلْ من مبلغٍ عنا إليكَ برسالةٍ وأنّى نُرَجِّي والمكانُ سَحيقُ
ومن فارقَ الأحبابَ يوماً فإنه بأسوأ حالٍ بعدهم لحقِيقُ
ففارقنا من لا يريدُ فِراقنا وقاربنا من لا نراهُ يَشُوقُ

* * *

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي
المكتبة ١٣٩٥
١٦٤
الرقم العام :
الرقم الخاص : ٨١١/٩

القصيدة الثامنة عشرة والمائة

وقال : [من بحر الكامل]

وَرَدَ الكتابُ من الحبيبِ الوائقِ ... باللهِ ربِّ العالمينَ الخالقِ
وردَ الكتابُ من الحبيبِ أخي التقى ... علمِ الهُدَى نسلِ الكريمِ الحاذقِ
أهلِ النباهةِ والبلاغةِ والهدى ... وأخي الفصاحةِ والمقالِ الصادقِ
وابن الأَخِلاء الذين عهدتهمْ ... مِن قبلُ أهلُ عزائمٍ ومُوَاثقِ
وابنِ الذين فعالهُم مشكورةٌ ... بين الورَى بمغاربٍ ومَشارقِ
أَعْنِي به الفَطِنَ اللبيبَ المرتضَى ... وأخَا الرضَى أهل النجَارِ السَّابقِ
ويكادُ مِن كرمِ الطباعِ تُسِيغُه ... لكنَّه حَتْفٌ لكلِّ مُنافقِ
أكرمْ به مِنْ صاحبٍ ومُصاحبٍ ... أحسنْ به مِنْ صادقٍ ومُصادِقِ
لما أتانى خطُّهُ وكِتابُه ... كاللؤلؤ الرطْب اللطيف الرائقِ
ذرفتْ مدامعُ مُقْلتِي مُتذكراً ... عَهداً قديماً بالمكان السَّامِقِ
فقضضتُ خَتْمَ كتابِه ونشرتُه ... فعرفتُه مِنْ سيِّدى ومُوافقِى
أبدى جواهرَ منطقِى لجوابِه ... وخفوقَ قلبى مثلَ قلبِ الوامِقِ
فَطَفِقْتُ أياماً به متحيراً ... وأجيلُ أفْكارِى بقلبٍ خافِقِ
وأنا القَؤُول أعدُّ نفسى ماهراً ... فى الشعرِ ربُّ نوادرٍ ودَقائقِ
لكنْ أرَى تركَ الجوابِ سفاهةً ... وأقولُ تركُ الرد طبعُ المارِقِ
واعذرْ وسامحْ إننى متكلفٌ ... لكنْ ظفرتُ به بعونِ الرازِقِ

* * *

القصيدة التاسعة عشرة والمائة

قال الشاعر يمدح النبي ﷺ : [من بحر الخفيف]

يا أميمُ انظرى عذاب المشوقِ وهـــواهُ فى قدِّكِ المَعْشُوقِ
صيغَ من فضةِ اللجينِ ومن تبـــرٍ وشـــذرٍ وعَسْجَدٍ وعَقيقِ
كادَ أنْ يطفىءَ الغزالةَ والبـــدرَ جميعاً من نوره بالشروقِ
زودينى منه بطـــرفةِ عينٍ إن قلبى فى سكرة وخُفُوقِ
أىّ شىء ألذُّ من نظرِ العا شقِ فى وجهِ حِبِّهِ(١) المعشُوقِ
أنَا ولْهانُ من وِدادِ أميمٍ طولَ دهرى نشوانُ غيرُ مُفيقِ
عذّبتْنى بهجرِها واستحلّتْ قتلَ صبٍّ مكبَّلٍ موثُوقِ
ورمتْ باللحاظِ ثم تصدتْ وتثنتْ لفا بقـــدٍّ رَشيقِ
مدنَفٌ عاشقٌ رَمَتْه أميمٌ فى عـــذابٍ وذلةٍ وَمَضيقِ
حازتْ الحسنَ مثلَ ما أنا حزتُ
الحبَّ مِن كل مغرمٍ ومَشُوقِ
إنّ جسمى بين المرابعِ ناوٍ وفؤادى فى إثْر ذاكَ الفريقِ
كيفَ يلتذُّ بالرقادِ عليلٌ ساوَرَتْه همومُ أهلِ العَقيقِ
أسكرتنى همومُهم إذْ تولّوْا فكأنّى شربْتُ كأسَ رحيقِ

---

(١) الحب — بكسر الحاء — : المحبوب .

لمَ هذا الغـــرامُ فيمَنْ جفانى ودَعانى وَوَجْدى وخلّى طريقى
لستُ أصْغِى لِمن نأى وتولّى ودعا بالتّشْتيتِ والتفـــريقِ
خيرُ مدحٍ فى خير كلّ البَرايا أحمد قائدِ لنهجِ الطريقِ
خصّه اللهُ بالضيـــاء وبالرحمةِ ثمّ القـــــرآن والتّصديقِ
وحَماه الإلهُ عن كلّ مختـــا لٍ فخور بالأمْنِ والتوفيقِ
فهو سُؤلى وسيدِى ومَلاذِى وشَفيعى من حرّ نارِ الحريقِ
هـــزمَ الكفرَ بالنبوةِ والنصـــرِ وبالعـــزّ دلّ أهلُ الفُسُوقِ
واستقارتْ مِنْ نُورِه كلُّ طُرْقٍ مثلها كالشُّموسِ أو كالبُرُوقِ
هُوَ كَهفُ الأرباب يوم عقابٍ يومَ يأتونَ مِنْ مكان عميقِ
فيه يغفـــرُ الإله ذنوبى ورحيمى فى الوسْعِ أو فى الضيقِ

* * *

القصيدة العشرون والمائة

بعث الشاعر للشيخ بلعرب بن سلطان قبل الإمامة عام ١٠٧٣ هـ :

[من الطويل]

سلامٌ جزيلٌ نيِّرُ اللفظ شارقُ ... وخط لطيف بالمودةِ فائقُ
وجودة لفظٍ بالقحيةِ مُرْتضَى ... وحُسنُ عباراتٍ رَوَتْها الحقائقُ
وأعذبُ من ماء الزلالِ على الظمَا ... وأطيبُ من حِبٍّ تمنَّاهُ عاشقُ
بطِرس يروق الناظرينَ ملاحةً ... يفوقُ ضياءَ البدرِ أهداهُ شائقُ
هُو الفاعلُ المعروف والعرف واللُّهَى ... هُو المرتضَى الزاكِى الشفيقُ المُشافقُ
هوَ ابن الإمامِ المدلِ سُلطان سيفنا ... أبو العربِ الزاكى الرفيقُ المرافقُ
فما راتقٌ فى الناس ما هو فاتقٌ ... ولا فاتقٌ فى الخلق ما هو راتقُ
عقادُك للعافينَ تـــبرٌ وعسجدٌ ... والمعقدى الباغِى قَنًا وسَوَابِقُ(١)
وهاكَ سلاماً من صديقٍ مصادِقٍ ... لأنك فينا للحوادثِ صادِقُ
عليكَ سلامِى كلَّ حينٍ وساعة ... مدى الدهر كلما ذَرَّ شارقُ
وما سار ركبٌ نحو مكةَ مسرعاً ... وما انصبَّ هطَّالٌ وما هبَّ طارقُ
فعشْ وابقَ من قد أضاءَتْ بنورهِ
مغاربُ أرضِ اللهِ ثمَّ المشارقُ

* * *

(١) القنا : الرماح . السوابق : الخيول تسير إلى المعركة .

القصيدة الحادية والعشرون والمائة

وقال أيضا يمدحه عام ١٧٩٣ : [من بحر الخفيف]

مَنْ لصبٍّ دموعُه ليس تَرْقَا ... هَمَلاناً إنْ شَام بالشام بَرْقَا(١)

وَكَئيبٍ إذا تذكر أحبا ... باً بصنعاءَ حَن وجداً وشَوْقَا

وإذا لاحَ نحو يَبرينَ بَرْقٌ ... هامَ شَوْقاً وهَام حبًّا وعِشقَا

جيرة قد شقيتُ لولا هواهم ... بهواهم ما كنتُ فى الحبّ أشْقَى

مَنْ بُلِى بالغرامِ والوجدِ يوماً ... وجَفتْهُ أحبابُه فهْوَ أشْقَى

وإذا بدلوه بالبُعْد قُرْباً ... بعد ما شَفَّهُ الضَّنَى ليس يَشْقَى

ورُبُوعٍ سَقَيْتُهَا بدموع ... وأكفانٍ ما كنّ بالدمع تُسْقَى

فارحمُوا المبتلَى بكُم فهو يهوا ... كُم ورقُّوا لمن لكم صار رِقَّا

وارفقُوا بالصبِّ المتيم فالر ... فقُ لمن آلف الكآبةَ أبقَى

لا تُطيلوا النَّوى فإنى مِن بَعْد نَوَاكُمْ وهَجْرِكمْ لستُ أبقَى

وارضُوا البَيْن والبعادَ فإنى ... لستُ أقوى لعُرْوَةُ الحبِّ وُثْقَى

أنا أرْضَى إن كان يُرْضيكُمُ ... قتلى وما قد لقيت منكم وألقَى

قد كفانى ما بى هوًى لا تزيدو ... نى جَفاءً فإننى صِرْتُ مُلْقَى

أنا نشوانُ مِن رحيقِ هَواكُم
طولَ دَهْرى لا زلتُ أسْقِى وأُسْقَى

---

(١) شام : نظر .

كلما قُلت قد هبطتُ من الشدة في حبكم بَدَا لِيَ مَرْقَى
كلما قُلت قد صَحَوْتُ من الحبِّ سَقَانى نَوَاكُمُ[1] كأسَ فُرْقَى
ومديحى لك ابنَ سلطان سيفٍ قد سارَ غَرْباً وشَرْقَا
هوَ رَبُّ الندَى أبو العرب السا مى علَا الخلقِ فى البرية خُلْقَا
فاقَ أهلَ الزمان أصلا ومجداً مثل ما فاقهم طِباعاً وخُلقا
وهو أندَاهم يداً فى العطايا وهو أزكاهم مُروءاً وعَرْفَا
سبَق السابقين مجداً وجوداً وعطاءً فى حليةِ الملكِ سَبْقَا
فارْقَ يا ابنَ الكرامِ درَج العليا ءِ لا زلتَ للمكارمِ تَرْقَى
لا تُبالِ فالأمرُ والنهىُ والدْ دُنيا لكم فامحق المخالفَ مَحْقَا
واترك الضِّدَّ لا يقرُّ ولا يسطيع صرفاً ولا خلافاً ونطقاً
وارمِ من عادَانا وخالفنا فى أمرِنا بالقِلَى ومن مَال شَقّا
واسخُ وارجو الإلٰه واصدعْ وسامحْ
واسمُ واسترْ وزرْ وعشْ واحمِ وابقَى
واسلُ واسترْ واستفدْ وترفَّق
واهدِ وارحمْ وجدْ وزدْ واعزُ وارقَا
واعفُ واصفحْ وقلْ وسُدْ وتجاوز
وابنِ لى مُرْتَقَى المعالى لِأَرْقَى

---

(١) النوى : البعد والفراق .

أنا أصبحتُ فى ذَرَاك ومَدْحِى ومعاليك أطولُ الناس عُنْقَا
زانَ شِعرى بِكُم وتاهَ على الأشعـــار طُرًّا لأنه صارَ صِدْقَا
كلُّ مدحٍ فى غيركم هذيانٌ والهذاء الرَّدِىُّ يورِثُ حُمْقَا
كان مدح الأئمةِ العدلِ دينا وامتداح الضلال ظلماً وفسقَا
يا سليـــلَ الإمام سلطـانَ سيف
أنت أهـــدَى الورَى وأزكَى وأتقَى
يا فتَى الأكرمينَ حَمْدًا وشكرًا هذه سلم العُـــلَى فترقَى
وتوقى الأعداءَ جهـدَك واحلمْ فأخُو الحِلم دَهرَه يَتوَقّى
أعيـــالٌ لكَ الأنامُ فأنّى خِلْتهم فى بحار جُودِكَ غَرْقَى
ومُلوك الدنيا لديكَ عبيدٌ وموال لايستطيعونَ عِتْقَا
هاكَ مدحاً كأنه الدرّ والمر جان والزِّبرقانُ بل هو أبقَى
بقوافٍ لا عيبَ تلقاهُ إلا أنهـا ترشقُ المُعادِين رَشْقَا
فيها تبيضُّ الوجـــوهُ وتسو دُّ وجوهُ الأعداء غَيْظاً وتَشْقَى
فاقَ معنًى ورقةً وعبـــارا تٍ وطالَ القريضُ نظماً مَدَقَّا

* * *

قافيـــة الكاف

القصيدة الثانية والعشرون

وقال الشاعر فى الغزل : [من بحر الكامل]

قد طالَ يا ليلى علىَّ نواكِ حتى غدا قلبى قتيلَ هواكِ
والجسمُ منى ذائبٌ فى حر نا ر الشوقِ هل لى مأملٌ بلقاكِ
هلّا علمتِ بأننى بكِ هائمٌ ودواء داء العاشقين هَـوَاكِ
لا تبخلى بالوصْلِ إنى عاشقٌ مَا لِى طبيبٌ فى الأنامِ سِوَاكِ
وَصِلِى فإنى لا أطيقُ تصبُّرًا لا تهجرِى مَن فى الهوَى يَهْوَاكِ
ومن الذى ينهاكَ عن وصلِ الهوَى
أأخوك عن وَصْـلِ الحبيب نَهَاكِ
ماذا يضيرُك إنْ وَصلْتِ معذّباً دنِفاً كئيبَ القلبِ لا يَنساكِ
فاللهُ يَرْعَى مَنْ يواصِلُ حبَّـــه
ورَعَى الذى يَرْعَى الهوَى وَرَعَاكِ
نفسَاكِ يا نشوانَةَ الألحاظِ أن تَصِلِى عميدًا فى هواكِ عَسَاكِ
فاقْضِى بما شئتِ على مرّ القَضَا فأنَا جُعِلتُ وَمَن يَرَاكِ فداكِ
لولاكِ ما أبلى الهوَى جسمى وَلا أمْسيتُ صبًّا فى الهوَى لولاكِ
أفْنِى الأسَى صبْرى وقلّ تجلدى وازدَادَ شَوقى ثم طالَ عَنَاكِ
لا غروَ إنْ باعَ المقيمُ نفسهُ إن كان يا ليلاىَ يلْثم فاكِ
قد بعتُ نفسى فيكِ بيعاً قاطعاً عجباً لمَنْ قد بَاعَها وشَرَاكِ

أنتِ الذى عذبتِ قلبى فى الورى حتى الممات ولا يزالُ جواكِ
أفلمْ تَرِقّ للمقـــيم والذى مستوثقٌ فى ذا الرجا بِرَجَاكِ
لو تَرْحمين لكانَ خـيرًا الذى يُمْسِى ويصبح تحت ظل رِدَاكِ
مِنكَ الهوَى والصدُّ والهجرانُ والتعذ
يبُ كلٌّ قد جَـــرى بِرِضَاكِ
جسمى نَحيلٌ لا يزالُ من الهوى حتى غدَا مِن سُقْمِه كَحشَاكِ
إنْ كانَ عارٌ فى الوصال فلا أرَى عارًا علىَّ بأن أقبل فَاكِ
ذيَّاكَ بَرْق لاح لِى مِن عارضٍ أمْ ذاكَ يا ليلى ضيا سَنَاكِ
أنَا والأنامُ جميعهُم يا مُنْيَتى فالكلُّ صِنًا يقتـدى بضياكِ
نفسى وقلبى والعذولُ جميعهُم واللائمونَ وَمَن يَرَاكَ وَقَاكِ
سَقْيًا لأيامِ الشبابِ مضت ولمْ تَرْجِعْ على معهودِها وسَقَاكِ
لا خيرَ فى مدحٍ إذا هو لم يكنْ فى نجلِ سيفٍ ذِى النجار الزاكِى

* * *

قافيـــة اللام

القصيدة الخامسة والتسعون

وقال على قافية اللام : [من بحر الطويل]

حبيبٌ ملولٌ بالوصالِ بخيلُ ... كريمٌ بهجرى لَا إليهِ سَبِيلُ

عزيزٌ كأن الشمس تحتَ نقابه ... نهارًا وليلا ليسَ عنهُ تزولُ

يطولُ علىَّ الليلُ مِن هجرِ هاجرى ... كذلكَ ليلُ العاشقينَ طويلُ

أعاذلُ كُفَّ العذل عنّى وخلِّنى ... فَلَسْتُ لقولِ العاذلينَ أميلُ

ودَعْنى أُمُتْ فى حبّه ووداده ... فعندى كلامُ اللائمينَ ثقيلُ

إذَا رُمْتُ أسْلو عنه زادت صَبابتى ... وكيفَ التسلى والفؤادُ عليلُ

فيعذرنى مَنْ بالمودةِ عالمٌ ... ويعذلُنى مِنْ بالغرامِ جَهُولُ

فيا قاتلى مَهْلا ورِفْقًا بعاشِق ... فلا شكَّ داءُ العاشقين دَخِيلُ

ولما جَفانِى واستطَالَ بهَجْرِه ... رجعتُ إلى من فى الزمانِ خليلُ

فمالى سِوى الشيخِ التقىِّ ابن راشِدٍ ... مِنَ الخلقِ طُرًّا والأنامُ كفيلُ

وعذتُ بمسعود أخى الجودِ والندَى ... يُنيلُ البرايَا والسنينُ مُحُولُ

شُجَاعٌ شديدٌ باسلٌ متسنِّمٌ ... يصادمُ ألفًا لا يكادُ يميلُ

كريمٌ شديدُ البأسِ لامثلُه فتًى ... ولا مثلُه فى الأكرمين مثيلُ

عطاياهُ للعافينَ غيثٌ وكفُّه ... سحابٌ على أهلِ الزمانِ تسيلُ

فمَنْ ذَا كمسعودٍ سلالةِ راشِدٍ ... نوالٌ سخىٌّ فى الأنام جَزيلُ

كثيرٌ قريضُ الشعرِ فى مدحِ سيدِى ... ملاذِ الورَى يا صاحبىّ قليلُ

* * *

القصيدة الرابعة والعشرون والمائة

وقال فى قحط شديد أصاب بلده عام ١٠٨٠ هـ : [من بحر الطويل]

وفارقَ بعضُ العـــالمينَ نساءهم
وضاقَ بهم من ذلك الوعرُ والسهلُ
وقلّ البِنَا والحرثُ والزرعُ للورَى
وضاقَ بأهليها بها العُـــلوُ والسُّفْلُ
وقد يَبِس الآبارُ إلا نـــوادراً
وأكْدَى جميعُ الخلق وافترقَ الأهلُ
فبعضٌ غدا فى الغرب يطلبُ رزقه
وبعضٌ غدَا فى الشرق واضطربَ الجُلّ
ترَى الناسَ سَكْرَى خاشعين تذللاً
مِن القلّ حتى لايَصيحَ لهم طِفلُ
ترَى الشىءَ موجوداً وليس دراهم لديهم ولا يشرون ليس بهم بُخْلُ
وعهدِى ببعض يلقطُ النخلَ بلحها ويشربُ ماء لا يُمِرُّ ولا يَحْلُو
وبعضٌ تولى يطلبُ الناس بُلْغَةً[1]
فحلّ به من سوء مطلبه الذل
وبعضٌ تغدى بالقليلِ ولم يسلْ وبعضٌ تراهُ سائلاً وهو الكلُّ

---

(١) أى شيئاً يسد به الجوع .

وبعضٌ فلا يبكى ولا هو ضاحِكٌ يكابِدُ أشغالا من الهم لا يخلُو
وبعضٌ تمنى للحمام لِفَقْرِه ومما رأى السُّوأى وحَل به القُلُّ
وذلك فى عام الثمانين حجةَ وألف توالتْ مع ثمان وما حلوا
ولولاكَ سلطان بن سيف بن مالك لحلَّ بنا مِن أجْل ما مَسَّنَا الخبْلُ
فأمطرْتنا مِن جُود كَفَّيْك وابلاً أقام مقاماً لا يقومُ به الوبلُ[1]
فأحييتَ أرضَ اللهِ بالعدلِ والندى
إلى أن أمتَّ الجهلَ وانتشر العدلُ
وهذا قديمٌ منكم ليس محدثاً
كذَا كانَ أجدادٌ لكَ العزُّ مِنْ قبلُ
هُمُ مَعشر لا خابَ راجى نوالهم لهم بحرُ جود لا يكدره مَطْلُ
ومن تكنْ الغُرَّ الكرامُ جدودَه
ليوثاً ضوارى هَكذا يكن الشبلُ
فعِشْ إن مَدْحى فيكَ حَقٌّ مؤثرٌ
ومَدْحُ سواى فى سواك هو الجهلُ
دعوتُ إلهى أنْ يخلِّدَ مُلككم ويسقيَنا غيثا به يُجمعُ الشملُ
فيا ربِّ يا مولاىَ ندعوكَ فاسقنا حيا ذا شآبيبٍ يموتُ به المحْلُ[2]
ويا خيرَ مسئولٍ دعوناك فاستجبْ وأكرمَ مأمولٍ به وثق الكُلُّ

---

(١) الوبل : المطر الغزير .
(٢) المحل : الجدب وقلة الأمطار .

عبادَك يارَبَّ العبادِ إغاثةً بفَضْلِكَ يا مَنْ منه قد عمّنا الفضلُ
دَعَوناكَ يا رحْمٰن دعوةَ واثقٍ بجودِك يا مَن قوله الحقُّ والعدْلُ
ويا مَن هُو الربُّ العظيمُ جلاله ومَنْ بيديه الخلقُ والأمرُ والفعلُ
فأنت الحكيمُ الخالقُ الرازقُ الورَى
أغثْنا فمنك الجـــود يا رب والفضلُ
فأنتَ العليمُ القادرُ الواهبُ الذى تسبِّحه الحيتانُ فى البحر والنملُ
وأنتَ الجوادُ السيدُ الصمدُ الذى تفردَ عزًّا أنْ يكونَ له مِثْلُ
تعالَى إلٰهُ الخلق عَنْ كلِّ واصفٍ لقدرتِه أو أنْ يحيطَ به عَقْلُ
وصلَّ إلٰهَ الخلق جـــلَّ ثناؤُه
عَلَى أَحْمَدَ المختارِ ما سارتْ به الإبلُ
صـــلاةً توالى ليس يُحصَى عدادُها
كما ليس يُحْصَى القَطْرُ و لوبلُ والرمْلُ

* * *

القصيدة الخامسة والعشرون والمائة

وقال الشاعر أيضا وذلك عام ١١٠٨ هـ : [من بحر الطويل]

نهى إمامَ المسلمين بنـــــــرفةٍ تعالتْ بعلياهُ على كلِّ منزلِ
تعالتْ علوًّا سامِكاً[1] فى الذرى على
ذرى كلِّ نجمٍ فى السموات معتلى
حكت جنةَ الفردوسِ معنًى وصورةً
فقاطنها طهـــــــرٌ ومالكها وَلِى
فراقتْ ورقّتْ واستنارتْ وزينتْ بمرأى مليكٍ بالفدى متفضلِ
لقد فضلتْ بنتاً على أخواتها كما فضلتَ آىُ الكتاب المنزَّلِ
ويحسدها من أجله كلُّ موضع
من الأرضِ من سهلٍ سواها وأجْبُلِ
يَدِقُّ على الأفهامِ والفكر وصفُها فأوصافُنا عنها جميعاً بمرحلِ

* * *

---

(١) مسامكا : عاليا .

القصيدة الثامنة والعشرون والمائة

وقال وقد انصرف همه عن الجميع طمعاً فى اللذة الباقية وإعراضاً عن اللذه الفانية : [من الكامل]

فأنَا المقرُّ بذا ولكنْ ليس لى شغل بهم طرًّا بغير تقوُّلِ
لكنما نكَّبتُ قولى راغباً فى جنةِ الفردسِ أفضل منزلِ
ما لذَّتى فى لذةِ الدنيا وقد نوديت فيها مسرعاً بتنقلِ
كلٌّ لهُ طبع فلا تكُ لائماً وأمِل هَوَاكَ إلى المقالِ الأعدلِ

* * *

القصيدة التاسعة والعشرون و المائة

وقال الشاعر : [من الطويل]

ثلاثٌ يحارُ العقــل عند نزولها وفيها يكونُ الصبرُ غيرَ جميلِ
ثلاثُ خصال يُبغِض الله فعلها وتذهبُ بالأحلام والفهمِ والعقلِ
فكثرةُ نومِ المرء ليلاً وغــدوةً
وكثرته للراحِ مَع كثرةِ للأكْلِ

• • •

فجازِ الورَى بالعــدلِ مثلَ فعالهم
فحُسنَى لدى حُسْنَى إذا ما هُمُ ضَلُّوا

إذا لم تجاز الضدّ بالشرّ والأذَى ظلمت ولم تسلمْ لك اليدُ والرجلُ
يقولون إنّ العفوَ خيرٌ من الجزا فما حاجتى إنْ قلت فى قولهم زَلُّوا
ولـكنْ أتت آىُ الـكتاب بنسخِه ألم تر أن العفوَ ناسخُه النَّصْلُ(١)

لَحَا اللهُ من يُغْضِى جفوناً على القذى
وقد ناله المـكروهُ والضيمُ والذلُّ
وإن كنتَ فى قومٍ صفا لك وُدُّهمْ
فأعطهمُو وُدًّا وملّ إذا ملُّوا
وإن صرمُوا حبــلَ الوصالِ فلا تـكن
لهم واصلًا حبلا إذا صرمَ الحبلُ
وكنْ مثلهم فى كلّ حال ولا تملْ
وخلّ ولا تسأل سُرَاهُم(٢) إذا حَلُّوا
وأحببْ بمقدارٍ ولا تكُ مسرفًا وأبغضْ بمقدارٍ يدومُ لك الظِّلُّ
فخيرُ الورى مَن قدّر البغضَ والهوَى
وشرُّهمُ مَنْ فى شمائلِه يَغْلُو
ولا تبدينّ المزحَ فى كلّ ساعةٍ بكل مكانٍ يستخفُّ بك النَّذْلُ(٣)

---

(١) النصل : السيف .
(٢) السرى : السير ليلا .
(٣) الرجل النذل : اللئيم

ولا تعطين السِّر كل مقرَّبٍ فربَّ قريبِ الودِّ صاحَبُه قتلُ
تَلَفَّعْ بثوبِ البذلِ عن كلِّ عائبٍ ألا إن عيبَ المرء يستره البَذلُ
وأعطِ ذَوِى القُرْبى وذَا الحق حقه تَعِشْ سالماً والقولُ يقبعه الفِعْلُ
ولا تكُ مغتاباً لِمَنْ هو غائبٌ وإن كان ذا لوم فأولى بك العَذْلُ
ولا تكُ مهذاراً كثيرَ سلامةٍ وكن عاذراً للخل إن زلّت النَّعْلُ[1]
ولا حاملا عبئاً إذا لم تكنْ له أخا قدرةٍ من أن ينوء بك الحِمْلُ
ولا مُعْرضاً عن ذِى الوداد وطالباً
وداداً بعيداً لا يليقُ به الفَضْلُ
ولا ترجُ من فرع له أصلُ خسةٍ
فلا خيرَ فى الأغصانِ إنْ خبُثَ الأصْلُ
ولا تتركنَّ الحـــزمَ فى كلِّ حالةٍ
وإنْ كثُرتْ فى جمعك المال والخيلُ
ولا تصحبن إلا تقيًّا مهذّباً فقدرُك من علیائِه لم يزل يَعْلُو
ولا تستهينَنَّ الأعادى لقلةٍ فإن العِدَى عندى كثيرٌ وإن قَلُّوا
وشاورْ إذا كنتَ الحقَّ برأيه فإنَّ أخا الشُّورَى يعظمه الكُلُّ
ومن ينفردْ بالرأى فى الأمرِ وحدَه
عَلَى ذمّه والعابِ[2] قد أجمَعَ الجلُّ

---

(١) زلت النعل : أخطأ صاحبك فى حقك .
(٢) العاب : العيب .

وأقبلوا وأطيلُوا فيه فكركُم ... وأكرموه وفى تحصيلِه اشتَغلُوا

وألهموه قُلوباً طال ما وَجِلَتْ ... وهْو المقالُ الذى ما فيه مُدَّخَلُ

فى الذكرِ أصلٌ له والأصلُ متبعٌ ... وقد رَوَتْه ثقاتٌ سادةٌ فَضُلُوا

فاتَّبِعُوا وأطيعُوا واسمعُوا كلماً ... لها أصولٌ بشرعِ الدين تشتملُ

خلّوا التنازعَ والتقليدَ وادكروا ... وأقبِلوا لكتابِ اللهِ واحْتَمِلُوا

اللهُ أكبرُ مثلُ الله أعلمُ فى ... القرآن جاءت مراراً ليس تَنْتَقلُ

كلٌّ على أصلِه يجـــرى وعادتُه ... حتى تحولَه الأسبابُ والعِللُ

واللهُ أنزلَ آياتٍ مبينـــةً ... لها ضياءٌ كنور الشمس يشتعلُ

كيما يقاس عليها ما يشابهُها ... من الأصول التى فى الشرع تمتثِلُ

ولا تنـازع فى القرآن بينهم

قد جوزوا آلةَ القسكينِ إنْ فَصَلُوا

فليأتِ بالحجةِ البيضاء واضحةً

من الكتابِ الذى جاءت به الرسُلُ

أو سنةِ المصطفى المختارِ سيدنا ... خيرِ البرايا الذى دَانَتْ له الملكُ

أو اجتماعٍ من الأخيارِ ليسَ به ... تنازعٌ بينهم فى كلِّ ما يَصِلُ

أو من كتابٍ من الآثارِ ينقله ... عن الأئمةِ مأثوراً بما فَعلُوا

نخضعْ ونسمعْ ونتبعْ ما يقولُ بهِ ... من المقالِ ولا يجمحْ بنا العَذَلُ

قدْ قالَ ربى قولا لا مردَّ لهُ ... فى الذكر فاجتمعُوا فى بحثِه وسَلُوا

فإنْ تنازعـــتُمُ فى الأمر بينكم ... ردُّوا إلى اللهِ كلَّ الأمرِ وامتثلُوا

تلقوا براهينَ كلِّ الدين ساطعةً مثلَ المصابيحِ نوراً ما بها ظُلَلُ
ومن تعلَّق بالقرآنِ حَسْبُكَ مِن ركنٍ شديدٍ وما فى أصْلِه جَدَلُ
كَفَى به حجةً فى الأرضِ واضحةً
إذا تنازعَ مَنْ فى الأرض أو جَهِلُوا

* * *

القصيدة الرابعة والثلاثون والمائة

وقال الشاعر فى المدح : [من بحر السريع]

أكرمْ بمن يسألُ سُؤّالَهُ أن يَسألوه قبل أن يُسْأَلُوا

وذلكم مِن فَرْطِ إكرامه يرَى به السائلَ لا يجملُ

إنّ ابن سلطان سوى مُلكِه لو يُسْأَلُ الدنيا فلا يَبْخَلُ

لو رُوحه تسألُ أعطاكَها فليتق الرحمٰنَ مَنْ يَسْأَلُ

لا خابَ فى الحـنى له سائلٌ لكن يخيبُ العَذْلُ والعُذّلُ

لو كان فى علياهُ آخـــراً فإنه للأكرمِ الأولُ

فلا تصـــاهِيه بمن دُونه هل يستوى الأعلى أو الأسفلُ

لهُ عَلَى الأملاكِ فضـــلٌ كما فُضِّلَ فى العالم المُرْسَلُ

هو المصطفى المختارُ مِن هاشم خـــير الورَى نبيُّنَا الأفْضَلُ

* * *

القصيدة الخامسة والثلاثون والمائة

« وقال حكاية عن العَيْن وبقية الجوارح » : [من بحر الخفيف]

أنتِ يا مُقلتى أسقمْتِ حالِى ... بطموحٍ إلى ذوات الحِجالِ
ناعماتٍ منعَّماتٍ حسانٍ ... وُضَّحِ اللونِ رُجَّحِ الأكفالِ
وإلى كلِّ ذاتِ حسنٍ بهيجٍ ... رائقٍ فائقٍ غريبِ المِثالِ
وإلى كل مشمخِرٍّ رفيعٍ ... مِنْ بناءٍ مُشَيَّدٍ مُتعالِى
وإلى بهجةِ البساتينِ مَنْ نَخْـ ... ـلٍ وأشجارها وبَرْدِ الظلالِ
قالت العينُ ليسَ ذلك مِنِّى ... إنما القلبُ جَدَّ فى إرْسالِى
قلتُ يا قلبُ أنتَ سلطتَ عينى ... تَرْتعِى فى رياضِ ذاتِ الحِجالِ
قالَ قلبى الآذانُ قد أعلمتْنِى ... بسماعٍ منها إلى إيصالِ
قلتُ للأذْن كيف تستمعينَ الجر ... سَ مِن صورةٍ بصوتٍ خِدَالِ
ثم تهدينَه إلى القلبِ حتى ... صارَ فى غصةٍ وفى أشْغَالِ
قالت : القلبُ مالكُ كلِّ عضوٍ ... فهو سلطانُنا بغيرِ جِدَالِ
فإذا ما أرادَ تدبيرَ أمرٍ ... كلُّ عضوٍ يطيعُه فى الفِعَالِ
فالتفتْنَا للقلبِ حيفاً وقلنا ... أنتَ أنتَ المدارُ فى كلِّ حالِ
قال إنى سُتِرْتُ عنْ كلِّ شىءٍ ... لستُ أدْرِى نِعلا مِن الأفْعالِ
قطُّ ألا تسمعُ أذنٌ وعينٌ ... يخبرانِى عَنْ نسوةٍ ورجالِ

كلُّ عضوٍ يأتى إلىَّ بأمرٍ فتحيرتُ فى عظيمِ اشتغالِ
وقعَ اللومُ والتنازعُ مِنْ هٰـذا وهٰذا واشتدَّ أمْرُ الجدالِ
قيلَ لابدَّ قطُّ مِن حاكمٍ يحْكم بين الخصوم بالأفوالِ
قيل فالجسمُ حاكمٌ وهْو عدلٌ فهو العدلُ صادقاً فى المَقَالِ
قالَ جسْمى إنْ كانَ يقبلُ قولى قُلْتُ بالحقِّ بينكُم لا أُبالِى
قالَ كلٌّ منكم تعاونتمْ طُرًّا على كلٍّ باطلٍ وضَلالِ
فغدوتُ السقيم من زيفكم طو لَ زَمانى مُغلّلا فى خَبَالِ
فاتقوا الله يا أحبَّاىَ أنتمْ إن صلحْتُم يوماً فيصلحُ حالِى
فاستقيمُوا فى دهْركُم لا تميلوا إنْ عَدَلْتم فإننى فى اعتدالِ

* * *

القصيدة السادسة والثلاثون والمائة

وقال أيضا : [من الطويل]

إذا أقبلتْ دُنيا تقادُ بشعرةٍ وإن أدبرتْ لم تَرْتبِط بالسلاسلِ
ألم ترونّ اليعـربيَّ بلعربا سلالةَ سلطان بن سيف الجلائلِ
هو الملكُ السلطانُ شرقاً ومغرباً مليكٌ لهُ تعنُو رُءوسُ القبائلِ
فلم يحمِهِ بنيانُه حينَ أدبرتْ ولم ينتفع بالصافِناتِ[1] الصَّواهِلِ
طوتْهُ صروفُ الدهرِ طيًّا فأصبحتْ مساكِنُهُ مُغْبرَّة كالمجاهِلِ
ألَا فاعتبرْ يا صاحِ إن كنتَ عاقلًا
وكنْ حَـذِراً مما بقى غيرَ غافلِ

* * *

(١) الصافنات : الأفراس ، والصافن من الخيـل هو ما قام على ثلاث قوائم ، وقد أقام الرابعة على طرف الحافر .

القصيدة السابعة والثلاثون والمائة

قال الشاعر فى صديق له : [من بحر الوافر]

سَألتُ : مَن الكريمُ من الرجالِ ومَنْ يعطى الجزيلَ مِنَ النوالِ ؟
ومَنْ يقضِى حوائجنا سريعاً لديه بغير مَنٍّ أو مِطَالِ
ومَنْ إنْ جئته تبغِى عَطاءً أجابكَ مُسرعاً قبلَ السؤالِ
ومَنْ يَهَبُ الكثير مِنَ العطايا يجودُ بما لديه ولا يُبَالِى
فقالوا ليسَ يوجدُ مثلُ هذا سِوى الزاكِى الفتى أهل المعَالِى

* * *

القصيدة الثامة والثلاثون والمائة

وقال يمدح إمام المسلمين سلطان بن سيف : [من بحر المجتث]

فاترِ الطرف كحيلُ
ردفُه الفَعَم الثقيلُ
خصرُه الواهِي النحيلُ
طرْفه الساجى الكحيلُ
خدُّه الصافِي الأَسِيلُ
أنَا مِنه طولَ دَهْرى مبتلى حَانٍ عليلُ
لم يلهنى عن هواهُ لائمٌ فيهِ جَهُولُ
سامَنى صبراً ومالِى قَطُّ للصبرِ سَبِيلُ
كيفَ يبقى المعنَّى فى الهوَى صَبْرٌ جَمِيلُ
سَيدى رِفْقاً بِصبٍّ صَبْرُهُ عنْك قَلِيلُ
وبهِ فيكَ عَلاقاتُ غرامٍ لا تَحُولُ
ولهُ بحرُ شوقٍ منكم سبحٌ طويلُ
ولهُ بَعد نَواكُمْ مَدْمَعٌ هامٍ هَمُولُ
فنصيبى فى الهوَى القسمِيدُ مِنكُم والعويلُ
ولكمْ مِنّى صفاه الوِدّ والقولُ الجميلُ
يا مليكَ الحسن بان[1] الصبرُ مُذْ آنَ الرحيلُ

(١) بان : فارق .

فالكرى حجرٌ على الأجفانِ مُذْ عَزّ الوصولُ
والبُكا حَلّ لديها مُذْ نأى الحيّ الحلولُ
ما شَجانى فى الهوى لَوْ لاكُمُ رَبْعٌ مَحِيلُ
أنا منكمْ فى عَناء وغرام لا يزُولُ
بينَ هجرانٍ وبينٍ فمَتى يشْفى الغليلُ
ومتَى يرجو دواءً علةُ الداء الدخيلُ
كلما رَام سُلُوًّا خانَنِي الصبر الطويلُ
إنْ سَبانى منزلٌ أو خانَنى خِلٌّ خَمُولُ
أو ذَوَى عودُ الأمانى أو نأى عنى الخليلُ
فالإمامُ اليعربىُّ العادلُ البَرُّ الوَصُولُ
هو كهفِى وملاذِى القائلُ الصدقِ الفَعُولُ
ذُو الأيادِى والمعالِى الحائلُ المعطِى المنيلُ
مَا لَهُ فى ذِى الورَى قَطّ شَبِيهٌ أو مَثِيلُ
فهوَ سلطانُ بن سيفٍ المالكُ القَرمُ الجليلُ
إن غَدا ريبُ زمانى فهو لِى نعمَ الكفيلُ
أو جفانى الدهرُ يوماً فهو لِى ظلٌّ ظليلُ
يفضحُ البحرَ عطاءً جُودُه الجمُّ الجزيلُ
والذى لم يستمعْ فى الجودِ ما قالَ العذولُ
لو نداهُ الجزيلُ يُفْدى لم يكُنْ يُلْفَى بخيلُ

كلُّ مُلْكٍ ذِى عَلاءٍ عِنده وَاهٍ ذليلُ
كيفَ يَخْشَى الفقرَ وهو الواهبُ الجمُّ الفَعُولُ
شَمَرِىٌّ لا يبـــالى إن عَزَا الخطب الجهولُ
فَلَدَيْهِ كلُّ صَعْبِ المرتقَى سَهْلٌ ذَلُولُ
ثابتُ الجأشِ وقد طا شتْ لدَى الهَيْجَا عُقُولُ
حامِلُ الأثقالِ لا يجهـــده حَمْلٌ ثَقِيـــلُ
ذُو ثباتٍ وخيـولُ الموتِ فى الهيجا[1] تَجُولُ
لم يزلْ يفنى الأعادِى سيفُه الماضى الصقيلُ
باترُ الحدِّ وقد كلَّـــتْ رِماحٌ ونُصُولُ[2]
يا إماماً ما لَهُ فى ذا الورَى قطُّ عَـــدِيلُ
وجـــواداً لا يُضَاهَى كفُّهُ الهامِى البَـــذُولُ
وإذا أخلفتِ الأنـــواء تَهْتَانٌ يَسِيـــلُ
بِكَ أضحى الجودُ حيًّا وبكَ الفقـــرُ قَتِيلُ
لكَ أن يكفى الأعادِى فى الوغى أخذٌ وَبِيلُ
حارَ فى مدْحِكَ فكرى لستُ أدرى ما أقُولُ
فهنيئاً بالذى أعطاكَهُ اللهُ الجليـــلُ
وَبعيدِ الفِطْرِ لا زِلْتَ له عيـــدٌ تَؤُولُ
مرةً مِن بعد أخرى دائماً لستَ تَحُـــولُ

---

(١) الهيجاء : الحرب .
(١) نصل السيف : حده القاطع .

هاكَ مَدحاً من محبٍّ عَنْ هواكُمْ لا يَميلُ
ماهـــرُ اللفظِ لديه حَزْنُه الوعْرُ سُهُولُ
بقوافٍ قطُّ ما يُخْلِقُهـــا الكرُّ الطـــويلُ
ومعـــانٍ لَوْ يرَاها ماهرُ اللفظِ جَمِيـــلُ
لانتَهى زوراً إليهـــا وانتَهى عَمَّا يَقُولُ

* * *

القصيدة التاسعة والثلاثون والمائة

وقال أيضا : [من بحر الخفيف]

قِيلَ لى أنت فى مديحك تَغْلُو ... قلتُ كلا مع أُولى الفضل يَغْلُو
وَعُلُوّ فى مدح مَنْ يتعالى ... قدرهُ فوق ما أقولُ ويعْلُو
هو غيثٌ ونحنُ نشكرُه كا ... لرَّوْضِ يُنْمِى الأزهار لا نحن نَعْلُو
لم تزَلْ فى ظِل ظليلٍ من العَدْ ... لِ وفى ذِرْوةٍ من العزّ يَعْلُو
زانَ شعرى بمدحى لابن سلطا ... ن كا زانَ بالمهنّدِ نَصْلُ
ومحالٌ بأنْ يساميه خَلْقٌ ... وأديمُ الشِّعْرى لرجليه نَعْلُ
قلْ لمن رامَ أن يباريه خُلُقا ... أيُبارِى سوابقَ الخيل بغلُ
أَوَ هَلْ يستوى الخضمُّ ومَن لا ... يُمْتَرى مِن يمينه قطُّ نَهْلُ
هوَ ملكٌ على الحقيقةِ صِدْقاً ... وسِوَاه من الخلائق ظل
يا إمامَ الهدى سلالة سلطا ... نِ الرضى أنتَ للخلائقِ بَعْلُ[1]
فوربِّ السماء حِلفةِ بَرٍّ ... لا يضامُ امرؤ له أنت بَعْلُ
هاكَ منّى عذراء بنت قؤولٍ ... ما لها فى الأنام إلّاكَ بَعْلُ
لم يَفُهْ مثلَها فمٌ بقوافٍ ... زانَها من لديك قولٌ وفعْلُ
لا تبالِى بمنْ يَدبُّ على الأرْ ... ض فأنتَ المُحق بالمجْدِ فاعْلُ

* * *

(١) البعل : السيد .

القصيدة الأربعون والمائة

وقال لابن الإمام حميد بن سلطان : [من الكامل]

أهْدى السلامَ إلى الكريم المفضلِ
البطل الرئيس القُلَّبِ الحُـــوَّلِ

زاكى الأرومةِ سيدٍ مقواضعٍ محيي النَّدَى مُضْنِي العِدَى بالمنْصلِ (١)
مولى الموالي حميدِ بن المرتضى سلطانِ سيفِ اليعربى الأنبلِ
أكرمْ به مِنْ عالمٍ مقوزعٍ أهلِ السِّيادةِ والجنابِ الأفْضلِ
أهلِ السماحةِ والفصاحةِ والحجا وابنِ الجحاجحة الليوثِ البُسَّلِ (٢)
يا ابنَ الأولى آثارُهم مذكورةٌ وقلوبهم وحلومُهم كالأجْبُلِ (٣)
هُنِّيتَ بالعيدِ الذى هو عائدٌ بالفضلِ والإحسانِ غير مُبَدَّلِ
لا زِلْت فى عَلْيَاكَ دهراً خالداً فى نعمةٍ تترى وَجَدّ مُقْبِلِ
ترعى النعيمَ مخلَّدًا فى لذةٍ مقنعماً بتشرفٍ وتَفَضُّـــلِ
فاشرفْ شرفتَ بمنطقٍ وشمائلٍ وفضائلٍ مقرونةٍ بِتَجمل
أنتَ الندَى وأبو الندى وأخو الندى
حُـــزْتَ المَدى فاربعْ بأرْفع منزل

---

(١) المنصل : السيف .
(٢) جمع باسل ، وهو الشجاع البطل .
(٣) جمع جبال ، جمع جبل .

لكَ همّةٌ قعساء فى العلياء ما تزدادُ إلا رفعةً بتنقـلِ
لقدِ ارتقيتَ بها رقيًّا عاليًا حتى علوتَ على السّماكِ الأعْزَلِ
فابقِ البقاء السرمدى معظمًا ومعذّراً فى الجودِ غيرَ مُعَذَّلِ
وعليكَ ألفُ تحيةٍ ومسرةٍ وسلامةٍ تترَى بغـيرِ تبدُّلِ
مِن خادمٍ صافِى المودةِ مخلصٍ لكَ وده وهو المحبُّ المعْولِى
ثمّ الصلاةُ على النبىِّ محمـدٍ خيرِ الورَى الزاكى النبىِّ المرسَلِ

* * *

القصيدة الواحدة والأربعون والمائة

وقال يمدح الإمام بلعرب بن سلطان : [من بحر الكامل]

أبلعربُ الملكُ الهُمام العادلُ أنتَ الفتَى وبكَ استقامَ العادلُ

لا خابَ من يرجُو نَوَالك فى الندى

مِنْ ذى الوَرَى لكن يَخيبُ العاذلُ

أنت الخضمُّ الزاخرُ العذبُ الذى

من جوده خَجِلُ الأتىُّ[1] السائلُ

فكأنما عاهدتَ نفسَكَ أو حَلَفْتَ

أليّةً[2] أن لايخيبَ الضائلُ

وإذا الكِرَامُ تفاخرتْ بمكارمٍ

وتفاضلتْ يومًا فأنتَ الفاضلُ

وإذا الكماةُ تقاعَسَتْ فى مَأْزِقٍ أو أحْجَمت يومًا فأنت الواصِلُ

يا طالبًا منه ندًى لا تبدهِ فالسؤلُ[3] منه بلا سؤالٍ حاصلُ

أأخافُ من ريبِ الزمانِ وصرفِه وبحبلِ وُدٍّ منك حَبْلِى وَاصِلُ

كم طوقتْ نُعْمَاكَ أعناقَ الوَرَى وسرتْ إليهم مِن لدُنك وَسَائِلُ

---

(١) الأتى : السيل المتدفق .

(٢) الأليّة : اليمين المؤكدة .

(٣) أى المرام المراد .

فكأنما آليتَ أنَّكَ لا ترد ... دَ السائلين فلمْ يَخِبْ لك سائلُ

وإذا امرؤٌ أقوتْ محلّتُه ولم ... يسألْ نداكَ فأنتَ عنه مُسائلُ

ما أمَّ يحرَكَ آملٌ يرجو ندًى ... إلا وفاءَ[1] بما يُرَجِّى الآمِلُ

ما شامَ برقَ سحابِ كفك شائمٌ ... إلا وأغرقه هَتُونٌ وَابِلُ

وعنتْ إليكَ قُيُولها[2] ومُلوكها ... طَوْعاً وكلٌّ واقفٌ مُتضائلُ

يَرِدُون بحراً من نوالِك زاخرا ... عذباً فراتاً لم يحطه ساحِلُ

لاتفقدنَّ فتًى بنزوى فاضلا ... ذَا قاعدٌ يرجو وهذا مَاثِلُ

عِشْ فى الممالك فى النعيم مخلداً ... عمراً فما لكَ فى الأنامِ مُماثلُ

زانتْ بك الدنيا فأنتَ سرُورها ... ونعيمُها وبكَ استقامَ المائلُ

لولاكَ ما طابتْ حياةٌ لامرىءٍ ... حقًّا وما التذّ المآكلَ عاقلُ

ما الدهرُ ما الدنيا وما لذاتُها ... فالدهرُ أنتَ ونورُ وجهك شامِلُ

* * *

(١) فاء : رجع .

(٢) جمع قيل ، وهو رئيس القبيلة أو أميرها .

القصيدة الواحدة والأربعون والمائة

وقال أيضا يمدحه : [من بحر الكامل]

ما زلتُ فى لهوٍ وفى طربٍ وفى عيشٍ رغيدٍ مَعْ سرورٍ كاملِ
حتى إذا لاحَ المشيبُ بلمّتى قطعتْ حبالَ مودتى ووسائلِى
يا هذه إن تُنْصفى أو تَعْدِلى عن زورةِ المضنَى فلستُ بعادلِ
إن تنكرِى شيبى فمنكِ حلولُه أو تُنكرِى جسمى فهجرُك قاتلِى
أعرضتِ حينَ بدَا بياضُ مفارقى[1]
عَنْ مذهبى وأطعتِ قولَ العاذلِ
أنسيتِ عهداً قد مضى زَمنَ الصبى
قضَّيتُه وعصيتُ فيكِ عواذلِى
إن تعذرِى فالعذرُ منك سجيةٌ ووِدادك الماضِى كظلٍّ زائلِ
قالتْ وما قرعَ العقابُ حصاتها[2] هيهاتَ لا يرجُو وصالَ مواصلِ
صدَّتْ ولى دمعٌ يسيل كأنما أعداهُ فيضُ إندى الإمام العادلِ
أهلُ الممالكِ والفضائلِ والعلا ذى الفضل سلطان بن سيف الفاضلِ
نسلُ الكرامِ الطيبين أولِى الندى
والجودِ أهل مسائلٍ وَوَسائلِ

---

(١) المفرق ، بكسر الراء وفتحها : وسط الرأس ، وهو الموضع الذى يفرق فيه الشعر .

(٢) الحصاة : العقل .

فضلوا الورَى بمراتبٍ ومناصبٍ وطبائع محمـــــودة وشمائلِ
وخلائق غرٌّ حسانٍ وُضّحٍ ومواهبٍ منشورةٍ وفواضلِ
لك يا ابن سيف سطوة لو صادمتْ جبلا لأصبح كالكثيبِ السائلِ
وضياء وجهٍ مشرق ذى رَوْنَق يُزْرِى على القمر المنيرِ الكاملِ
يا سائلى عَن جوده وسخائه فندَاهُ يقصر عنه وصفُ القائلِ
إن قلتُ كالغيثِ المليثِّ بَخَسْتُهُ أو قلت كالبحر المحيط الشاملِ
وبخسته إن قلتُ فى الهيجاء والبـــأساء كالليثِ الهزبرِ الباسلِ
هو أولٌ هو آخرٌ فى جـــودِه لا تحكه بأواخرٍ وأوائلِ
وضياء عدلِك ما لَه من جاحدٍ كخضمِّ جُودِك ما له من ساحلِ
أمّلْتُ فيكَ بأن تسد خَصاصتى ولديك ليس يخيبُ سَعْىُ الآملِ
وعملت فيك معانياً منظومةً ولديكَ ليس يضيعُ أجرُ العاملِ
من معشرٍ لا شىء أقبحَ عندهم من قطع ذِى القُربى وردّ السائلِ
طلعتْ شموسُ الحق من أرجائكم وبِعَدْلِكم أفلتْ نجومُ الباطلِ
كلٌّ أقرَّ بعدْلِكم ونوالِكم من ذا الورى من عالمٍ أو جاهلِ
فلأشكرنَّ جَدَا[1] يديك لأنه يأتى إلىّ بسرعةٍ فى العاجلِ
وليهْن عيدُ الفطر إنك عيدُه وليهن عيدٌ غيرُه من قابلِ
واخلد وعش واسلم ودم ما غردتْ وُرْق الحمائم فوقَ غُصن مائلِ
أو حَن مشتاقٌ إلى أوطانه أو لاحَ برْق فى غمامٍ هاطلِ

* * *

(١) الجدا : العطاء .

القصيدة الثانية والأربعون والمائة

وقال الشاعر لصديق له: [من الطويل]

يَتِمُّ سرورى إن رأيتك مقبلاً ... من الشوقِ والدنيا سرورٌ وإقبالُ
إذا لم يكونا فالحياةُ ذميمةٌ ... يسامرها هَمٌّ هفاكَ وأوْجَالُ
أتانى كتابٌ من صفِيٍّ ودادنا ... كريمٍ لدينا لو تغيرَ حالُ
محبٌّ له ودٌّ قديم مناصحٌ ... ثبوت على العلّاتِ ليس يُحَالُ
حكيمٌ رزين العقل لايستحقه ... مدَى الدهر قيلَ فى الأنام وقالُوا
يُقيل ويمسى بالنوادرِ معلماً ... إذا عرّسوا بالسيئاتِ وقالُوا
ينزه نفساً عن مثالبِ غيره ... ويرفعها عما أتوه وقالوا
ملا خيرَ فى مالٍ إذا لم يكن حجاً ... ولا العقل إن همُّ عن جنابك مالُوا
أتانى كتابٌ منك بالين والسنا ... بنظمكَ فيه رقةٌ وجمالُ
ولكنه يا صاحِ هيج ساكناً ... كيوم سرت للراحلين جمالُ
ولما قرأناهُ فرحنا وسرّنا ... كما سرّ مأنوس الفؤاد وِصَالُ
ولست أمالى إن بدت منك زورةٌ ... يقيناً وإن جار العداة وَصَالُوا
ويمنعنى من أن أجازى معادياً ... شمائلُ من آرائكم وخِصَالُ
وإنى أخافُ البعدَ ينسخ عهدنا ... كما نسخَ الحزنَ الشديدَ ظِلالُ
ونسلو بلقيا كم ونحظى بقربكُمْ ... وتُكشفُ عنا غمّةٌ وضلالُ

* * *

القصيدة الثالثة والأربعون والمائة

« وقال رحمه الله فى الآداب ويمدح إمام المسلمين المؤيد سلطان بن سيف »

وهى لامية عارض بها لامية ابن الوردى : [من الرمل]

شمِّـــر الذيلَ وبادر للعمـــلْ
والزمِ التقوى ودعْ عنك الكَسلْ
واسلكن طرقَ المعالى والتقى وَدَعَنْ ذكرَ للغانى والطللْ
واهجرِ القولَ الذى لايرتجى منه نفعاً وافعلِ الخيرَ تنلْ
وبذكر اللهِ فالهجْ لا تكنْ بسوى الله تعالى مُشْتَغِلْ
واتق الله تقى عبد صفـــا قلبه لله فى كل حَـــــلْ
إن خيرَ الزاد تقوى الله والجهـــلُ مردودٌ عَلَى مَنْ قد جَهِلْ
وابْدَ بالقُرانِ تعليماً له إن فى القرآن تفسيرَ الجُملْ
واحفظِ الشرعَ وكرّر دَرْسَه أبداً فى كلِّ حينٍ لا تملْ
واقرأ الشعرَ بسجعٍ سالمٍ فهو ديوان المصاليتِ الأُوَلْ
إن فى الشعـــر لحكماً بيننا قالَ فيه أحمد خيرُ الرسلْ
واضـــرب النية لله ولا تكُ ذا حمقٍ وعن ذاك فسَلْ
لا تقل قـــولا ولا تعمل بلا نيةٍ واسمـــعْ مقالى لا تملْ
لا تجادلْ إن تعامى جاهلٌ فى أمورٍ فأخو الجهلِ الجدلْ

وإذا قلتَ نعمْ فاعملْ بها ... إنما العاقلُ إن قال فعَل

ودعِ الإكثارَ فى الوصل فمن ... زارَ غِبًّا زادَ حبًّا إنْ وَصلْ

وذر الفذلَ ولا تفصحْ لهُ ... إنما الفذلُ كثوبٍ مُبْتذَلْ

فإذا أصلحته لم يَنْصلح ... كلما رقّعتَ بعضاً يتحلِلْ

وطِّنِ النفس على الصبرِ ولا ... تكترثْ يوماً إنِ الخطبُ نزَلْ

وإذا شئتَ شِرَاءَ أشياء من ... سرقِ أهل العدل عنها لا تَسَلْ

فإذا قدّمَ شيءٌ لك فخذ ... لا تقلْ من أين مأتاهُ وكلْ

إنما دنياك فاعلمْ كلها ... شبهاتٌ إن تعمَ فيها تضلْ

قلّما تسلم منها حبةٌ ... خلصتْ من كل عابٍ مدّخَلْ

لستَ مسئولاً عن الشىء الذى ... لست فيه عالِماً أو مستحلْ

إنما تسألُ عن علمك بالشىء ... أو قد كنت فى شىء مُضلْ

فدعِ القالةَ والزمْ ما ترى ... فضياء الشمس يغنى عن زُحَلْ

وإذا صاحبتَ فاصحبْ سيِّداً ... صادقَ اللهجة ذا إن عَدَلْ

فإذا أولاكَ فاحفظْ وده ... واعفُ عنه إن بدَا منه خَلَلْ

إن يكنْ قبلُ وليًّا مُحسنا ... فاذكرِ الإحسانَ منه واحتمِلْ

وكذا سركَ صفحه جاهداً ... عن جميع الخلق طُرًّا يا رجلْ

إنما الشرُّ كجمرٍ فى الحشَا ... يتلظَّى أو كنارٍ تَشْتَعِلْ

لم يطق كتمانَه خلقٌ سوى ... مَنْ أرادَ اللهُ ربى ذُو الأزَلْ

والزم الشُّورى وإن شاورتَ فى ... فعل أمرٍ لا تخالف وامْتَثِلْ

كلْ من المطعومِ ما شئت ولا تلبس الفاخرَ أو أردَا الحللْ
وإذا ما شئت تزويجاً فخذ وسطا م الحسن وارفض ما كَمُلْ
وكذاكَ نهيُك عَن تزويج من قبحت من دونِ ربات الكِلَلْ(١)
وذواتُ الحسن منها كالذى حل بستاناً فيا نعمَ المَحَلْ
أو كَرَوْضٍ باكرته مزنةٌ فهما الغيث بها ثم انهطَلْ
يجتنى من كلِّ زهرٍ رائقٍ ويشورُ الريقَ منها كالعسلْ
فاحفظِ الوصفَ وكُن ذَا فطنةٍ ودع الجهـلَ وخُذْ قولى وقُلْ
واقطعْ الآمالَ مِن مال الورى واعتصمْ باللهِ نعم المتكلْ
إنما المـرء إذا ما طمعتْ نفسه فى مال مَنْ والاه ذَلْ
وإذا ما قنعتْ نفسُ امرىءٍ عظمتْ هيبتُه فيهم وَجَلْ
وصن المـال وفرق طرَفا منه فالمرضىُّ منهم مَنْ بَذَلْ
لا تفـــرقه عليهم كلّهُ تَذْمَمْ فالناسُ أعداء المُقِلْ
إنما المالُ لعـــزٍّ باذخٍ وكذَا الإقلالُ فى دنياكَ ذُل
إنما دُنيـاك بالمـالِ تُرى فى ذُرى العليـا وأخرى بالعَمَلْ
ودعِ الحرصَ ولا تسلك له طرقاً فالحرصُ كم شخص قتَلْ
فأرَى الناسَ صديقا لفتَى ذَا سخاءٍ وأعادى مَنْ بَخَلْ
لا تغـــرنك الأمانى كلما كثُر المال فتهوى فى ظُلَلْ

---

(١) جمع كلة ـ بكسر الكاف : وهى الستر الرقيق يخاط كالبيت يتوقى به من الحشرات (الناموسية) .

أكثرُ الناس إذا ما كثُر المـــالُ فى كفيه فى دنياهُ ضَلّْ
إنما قارونُ من أجلِ الغنى ساخَ فى الأرضين مما قد عَمَلْ
فإذا أوتيته فاعمـــــلْ بما جاء فى القرآنِ فى السبع الطُّوَلْ
وذَرِ الشىء الذى صاحبُه إن يُسَائِل عنه يطرق فى وَجَلْ(١)
لا يصافِى الحـــــرّ إلا مثلَه هل ترى الأحرارَ صافتهم سفِلْ(٢)
لا تَرَى الإلفين من كلّ الوَرَى ائتلفاً من غير أسبابِ العِلَلْ
ولسانُ المـــــرء سيفٌ قاطعٌ يقتلن صاحبَـــه إنْ هو زَلّْ
وجراحُ النطقِ لا يُبْرَا لُدى وجراحُ السيفِ يُبْرَى بالمَهَلْ
إنْ يكن نطقُك وِرداً كلّه تجتنيه الناسُ فالصمتُ عَسَلْ
وليكن صَمْتُكَ فِكْراً لا تكُنْ ساكِناً إلا بقلبِ ذِى وَجَلْ
ودعِ الأحقادَ والغلّ ولا تلزمِ الكِبْرَ وجانب مَن هَزَلْ
وذَرِ القُربى ولا تقطـــعْ لها رحما فالله يفجِى مَنْ يَصِلْ
لا تَزُرْ فى كل يومٍ مرةً كلّ من تهوى فيعروك المَلَلْ
يذبغى فى كل شهـــر مرةً إن يكن منك على قُرْب المَحَلْ
أو يكونَنّ بعيداً نازحاً فزرِ العـــامَ عزيزاً أو أَقِلّْ
مرةً فى كل عامٍ واحدٍ لا تزده ودعَنْ عنك العَذَلْ
لا تقمْ إلا قليلا عنـــده قدرَ يومٍ أو ثلاثٍ أو أَقَلّْ

---

(١) الوجل : الخوف .
(٢) السفلة ـ بفتح فكسر : أراذل الناس ، ويقال : رجل سفلة من قوم سفل .

وكذا إنْ هُو وافاكَ فقُلْ مرحباً يا مَنْ إليهِ قد قَفَلْ[1]

والقَه بالبشرِ واللطفِ ولا تَلْقَه بالغلظِ إنْ معْكَ نَزَلْ

وإذا صافاكَ خِـلٌّ صافِه بالوفاءِ المحضِ لا تبغِ البَدَلْ

فإذا زلَّ أقِلْ عـثرتَه لا ترى فى الخلقِ شخصاً لم يَزِلْ

وإذا أذنبَ عاتبـه على ذَنْبه فالعفوُ أحْرَى بالرجُلْ

فَتَشِ الناسَ جميعًا هل ترى غيرَ ذى عابٍ وإن كانَ بَطَلْ

نخُذِ الظاهرَ منهم ودعْ المختفى وجانبْ ما اشتكلْ

واجتَنِ الأشمارَ مهما أمكنتْ فرصة منهم ودعْ عنك الفشلْ

واحفظِ الجارَ وإن جارَ فمَنْ حفظَ الجارَ فقد سدَّ الخللْ

وأنله إنْ يكُن ذَا عَيلةٍ من ندى كفيك أو مما قد فَضَلْ

واقبلِ العذرَ من الجانى إذا بَسَط العذرَ بصدقٍ لا تُبَلْ[2]

لا تكنْ فظًّا غليظَ القلب ينفضض من حَوْلك أهلٌ وَخَوَلْ[3]

وارْعَ مَن راعاكَ فى كلِّ الوَرَى واقبلِ المعروفَ منه إنْ قَبِلْ

وابذل المعروفَ وفرّقه على كلِّ ذى فقرٍ ومَنْ عَنْكَ سَأَلْ

يستُرُ الجودُ عيوبًا وكذا يظهر العوراتِ فى الناسِ البَخَلْ

لا تمنيك الأمانى فى المدَى بخلود إنما الدنيا كَظِلْ

---

(١) قفل من سفره : أى رجع .

(٢) لا تبل : أى لا تبالى .

(٣) الخول : الخدم .

وإذا فاتك شيء لا تقل ليتنى لى وعساهُ ولعلْ
فالتمنى حرفة الحمقى فلا تكنْ الأحمقَ إن شيء رحلْ[1]
وارضَ بالشيء الذى يؤتى وإنْ قلّ فالعاقل يرضى بالأقلْ
وروّض النفسَ ووطنها على عمل الخير ومنهاجِ السبُلْ
فهى كالطفل إذا نهنهته عن رضاعِ الثدْيِ عنه ينفصلْ
وإذا أهملته شبّ على حبّه الثدْىَ مداهُ واتصلْ
ردّها ما دمتَ فى سنّ الصبى فصغيرٌ إن إذا المرء اكتهلْ
فيصيرُ الفعلُ طبعاً لازماً أبداً لا ينجلى مثلُ الكحلْ
قيلَ من شبّ على شيء ولم يرتدعْ شابَ عليه ونقلْ
وإذا مسّك مكروهٌ فلا تبتئسْ فى الأمر فالدنيا دُوَلْ
مرةً تسقيك صاباً وكذا مرةً تسقيكَ شهداً وعسلْ
هكذا عاداتُها مرت على أممٍ من قبلنا لا تشتعلْ
فإذا نالك منها طرفٌ فتيقن عن قليلٍ يضمحلّ
لم تدمْ أتراحُها فيها ولا أبداً يبقى لها فيها الجذلْ
فإذا شبتْ خلودا دائما وترى الخيراتِ فى أعلى محلْ
كنْ كسلطان بن سيف فى الورَى وامتثل أخلاقه ثمّ اشتملْ
فهو محمود بخلق مرتضى عمّ أهلَ السهل جودًا والجبلْ
وهوَ سيفُ اللهِ فى الأرض على مَنْ طغى وامتازَ بالجهلِ وضلّ

---

(١) أى فات ولم تقتنصه يداك .

إنْ جرَى ذكرٌ له فى محفلٍ تشتفى الأجسامُ مِنْ كلِّ العِلَلْ
ملكٌ آراؤه أسيـــامه ما ضياتٌ حـــدّها لا يَنْفَلِلْ
وجـــــوادٌ إنْ أتاهُ عاذِلٌ قال هيَّا سبَق الجـــودُ العذَلْ
وشجاعٌ عـــــلَمُ الفرسان فى الحرب تصريفَ العوالِى والأَسَلْ[1]
لا تقسْ جدوى يديه بالحيا[2] إنْ هَمَى مِن مزنة ثمَّ انهَمَلْ
جُـــــودُه أثر فينا مِثْلَمَا أثّرت فى راحِ كفّيه القُبَلْ
طوقَتْ نعماه أعنـــاقَ الورى فهىَ من أعناقهم لاتنحللْ
يا فتَى سيفِ المليك المرتضى فُقْتَ أهل الأرض إحسانًا فَظَلّْ
فضلَتْ أخلاقُك الحسنى فما سادَ إلّا مَنْ على الناس تَضَلْ
صُلْ على الأعداء فى أوطانهم فهمْ يغزونَنَا إن لم تصُلْ
وإذا ما صُلْتَ عليهمْ صـــولة جـــــوّد الضربةَ ألّا تفدمِلْ

* * *

(١) الأسل : الرماح .
(٢) الحيا : المطر .

القصيدة الرابعة والأربعون والمائة

وقال الشاعر يمدح : [من الطويل]

شربت شمولًا من شقيتٍ مشوبةً بشهْد شذاها عنبرٌ وقرُنفُلُ
طمست الهـوى لما بَدا طالعُ الهُدى
وطلعـةُ سلطانُ بن سيف تهلّلُ
ومن مثل سلطان بن سيف ووالدِه وفاءً وحلماً فى الموازين تثقلُ
هربت لديهم إذ هـدونى إلى الهُدى
وأهـدوا هدايا من هِباتٍ تعجّلُ
لأنكَ يا سلطان لا زِلْتَ لابساً لآلِئَ مجدٍ لا تَرِثُّ[1] فتبذلُ

* * *

(١) رث الثوب : بلى وصار قديما .

القصيدة الخامسة والأربعون والمائة

وقال الشاعر فى الحكمة : [من البسيط]

مُلْكٌ بدا ، ما به زيغٌ ولا خطلُ
رحب الفِنا ، خدنه المعروفُ والعملُ
يا سيدى ، خيرُ منْ يمشى على قدمٍ
لم ينثنى ، فى المعالِى ماله مثلُ
حتفُ العدى ، لا يبالِى إن به نزلوا
نورُ الدُّنا ، ليس يأوى ربعَه خَلَلُ
بدْرُ الندى ، طبعُه الجدوى بلا سأمٍ
قد سرّنى عَلَمٌ لا شانَه ملَلُ
حلفُ الهدى ، طاهرُ الأجدادِ مبتهلٌ عالى البنا ، بالتُّقَى والزهد مُشْتَمِلُ
يا مرشدى ، خير خلق اللهِ كلِّهمُ ما ضرنى ، أننى فى الودِّ مُنتحلُ
بحْرُ الندَى ، ماله شبهٌ ولا مثلٌ حُلو الجنا ، بالتقى والعزّ مُشْتَغِلُ
للمقْتدى ، لا يميلُ الحد من كرمٍ المجتنى ، لم يله اللومُ والعذلُ
مروى الصدى ، مالَه عن جوده شغلٌ لهف لنا ، عن جمان ليس يَنتقلُ
يامُنْجدى ، لاتسلِّى القلب عن هِمَمٍ لا تنسنى ، فمديحى ما به دَخَلُ
طولُ المدى ، ذاكَ سيفٌ عارضٌ هطل
لا ينثنى ، نسلُ سلطانٍ هُو البطَلُ

* * *

القصيدة السادسة والأربعون والمائة

« وقال أيضاً فى مدح الإمام بلعرب بن سلطان » : [من الكامل]

أبلعربُ الملكُ الإمامُ العادلُ أنت الفتى وبك استقامَ العادلُ
لا خابَ من يرجو نوالك فى النـدى
من ذا الورى لـكن يخيبُ العاذلُ
أنت الخضمُّ الزاخرُ البحرُ الذى من جودِه خجل الأتىُّ[1] النائلُ
فـكأنما عاهدتَ نفسك أو حلفت ألية[2] أن لا يخيبَ السائلُ
وإذا الـكرامُ تفاخرتْ بمـكارمٍ وتفاضلتْ يوماً فأنت الفاضِلُ
وإذا الـكماةُ تقاعَسَتْ فى مأزقٍ أو أحجمت أنتَ الهزبرُ الواصِلُ

* * *

(١) الأتى : السيل المدرار .
(٢) الألية : اليمين الموثقة .

القصيدة السابعة والأربعون والمائة

وقال أيضاً يمدح الوالى سالم بن محمد المحروقى : [من بحر الكامل]

منّى السلام على الولىّ الوالى ... ذى الجود والأجمال والأفضالِ
وإلى الإمامِ وليِّنا وصفيِّنا ... الزاكى الأبىّ السيد المِفْضَالِ
بحر الفصاحةِ سالم بن محمد ... ذاكَ المكرمُ بالتُّقَى مُتَمَثِّلِ
هو سيدى الصّافى الأبى المرتضى ... زاكى الأَرومةِ ذُو النجار العالى
سهل الخليقةِ زاهدٌ مقورعٌ ... عدل القضا فى أسفلٍ أو عالى
السابقُ الفُصَحا بجودةِ لفظِه ... لو أطنبوا فى الجرى والإيغال
هُو عدتى ومَودتى مَع شدتى ... أصفى أودّائى دواء سُعَالِى
فإذا طلبتُ من الزمانِ مآرباً ... خلّى مآرب نفسه وسَعَى لِى
لا زلتُ أذكرُ بالغدوِّ لياليا ... فزنا ببهجتها وبالآصالِ
ولطالَمَا كنا جميعاً فى حِمًى ... متنعمين بلذةِ الإيصالِ
فاليوم صيَّر شملنا متبدداً ... متفرِّقا متقطعَ الأوْصَالِ
أمسى بنارِ فراقِ من أصفيته ... محض الهوى دُونَ البريةِ صَالِ
أألامُ فى وديّه وهو مُسالِمى ... مُتفرد دُونَ الورَى بخصَالِ
بى حرّ شوق فى الحشا مُتوقِّد ... ألّا ينطفِى إلّا ببَرْدِ وِصَالِ
وفراقُ من أهوى وقطعُ علائقِ ... فبذَاك يعلقُ حبلُه بحبالِى
أقوى إذا ذُكر اسمُه فى مجلس ... فكأنّما طفلُ الشبابِ حَبا لِى

وأنا ابنُ سبعينَ وخمس قد خلَتْ ... فإذا بدَا لى صرتُ فى إقبالِ

ونسيتُ كلَّ أخى ودادٍ فى الورَى ... وسلوتُ عَنْ أهلى وعَنْ أشْبَالِى

فإذا تذكرنَا وطالَ حديثُنا ... لم تَدْرِ بالإدبارِ والإقبالِ

أكرِمْ به أحسن به من عالمٍ ... لم ألقَه إلا وأصلحَ بالِى

لو أبتلى بفواقِ ألْفَىْ صاحبٍ ... واقيتُ مرآه فلستُ أبالِى

أخلفت أثوابَ البقاء ببعـده ... كانَ اقترابُ جنابهِ أبقى لِى

واحسرتى ضيعتُ عمرى بعـده ... فنبَا حسامى وانزوت آمالى

يا أيُّها الخـلُّ الذى هو لم يزل ... ودّى له أبداً أصخْ لِمقَالِى

كنْ مثل خلك لا يضمضع قلبَه ... تـكرارُ قيل فى الأنامِ وقالِ

* * *

القصيدة الثامنة والأربعون والمائة

وقال أيضاً رحمه الله فى بستان قيس : [من بحر الكامل]

يا حبَّذَا بستانُ قيس الكاملُ وضياؤُه وظلاله المتكاملُ
فيهِ الفواكهُ والأطايبُ والرغا ثب والغرائبُ والنعيمُ الحاصلُ
هو بهجةٌ للناظرينَ وفرحةٌ وبه التهانى والسرورُ الشاملُ
فالنخلُ والأشجارُ تجرى تحتها الأنهارُ مِن أرجائها وجداولُ
فكأنها جناتُ عدنٍ منزلًا نعمَ النزولُ به ونعم النازِلُ
لا عيبَ فى مرآه إلا أنَّه ينسى أحبَّتَه النزيلُ الداخلُ
كلَّتْ لسانُ فصاحتى عن وصفه لوْ كُنت ذَا فَهْمٍ كأنى باقلُ
أعداهُ حسفاً وابتهاجًا ربّه الملكُ الإمامُ اليعربىُّ العادِلُ
هو ذُو العلى سلطانُ سيف المقتضَى
حامى رعيتـه القـؤولُ الفاعلُ
أهلُ الجدى بحـرُ الندَى نجمُ الهدى
حتفُ العدى العَضْبُ الحسامُ الفَاصِلُ
ملكٌ إذا جادتْ يداهُ لسائلٍ شَهِدَ الجهولُ بفضلهِ والعاقلُ
لا خابَ من يرجوك يا ابنَ أفاضلٍ فى حاجةٍ لكن يخيبُ العاذلُ
دامت سلامتنا ودامَ سرورنا بدَوامِه فهو الجوادُ الفاضلُ

* * *

القصيدة التاسعة والأربعون والمائة

وقال أيضاً : [من المتقارب]

سلامٌ يسلِّى الفؤادَ الشغيلْ ... ويبرىء داء المريضِ العليلْ

وأشهى من الراح ممزوجةً ... وأحلى من الشَّهد والزنجبيلْ

ويزرى بنشرِ رياح الشَّذَى ... وأعذبُ طعماً من السَّلسبيلْ

وينفى همومَ العميدِ الشجى ... رواء ويبرد حَرَّ الغليلْ

ويطوى عن الصبِّ أحزانَه ... ويُنسى الخليلَ وصالَ الخليلْ

أخصُّ به الوالى المرتضَى ... بشيراً حليفَ العطاء الجزيلْ

سليلَ الوفىّ الصفىّ الفتى ... محمداً الأريحىَّ المنيلْ

كريمٌ كريمٌ ببذل اللُّهَى ... ولكنه بالمعالى بَخِيلْ

غياثُ اليتامى وليثُ الوغَى ... حميدُ المساعى وغَوْث النزيلْ

إذا حَلَّ ساحتَه سائلٌ ... فما هو يرضى له بالقليلْ

وإنْ كنتَ تبغى موالاته ... فنعم النصير ونعم الكفيلْ

هو العدلُ فى كلِّ أمرٍ يرى ... وليسَ له فى البرايا عَدِيلْ

ولو نَسى الناسُ إحسانَه ... فما أنا منه بناسِى الجميلْ

وإنى على عهده ثابتٌ ... مقيمٌ ولو عشت عمراً طويلْ

وإنْ مِلْت عن كل شىء يرى ... فقلبى عن ودّه لا يَميلْ

فيا ابنَ العلَى والمعالى ومَنْ ... بإحسانه الفقرُ أضحَى قتيلْ

ودادِى لكمْ كامنٌ فى الحشا ومالى إلى وصلكم من سبيلْ
غريبٌ أنا مُنذ فارقتكم وكلُّ غريبٍ وحيدٌ ذليلْ
فما هاج قلبىَ حبيبٌ مَضَى ولا شاقنى بعدُ ربعٌ مُحيلْ
ولكننى هِمْتُ من شوقكم فقلبى مَعِى وجسمى نحيلْ
فغادرْتُمونى حليفَ الأسَى وَدَمْعى عَلَى صَحْن خدى يَسِيلْ

* * *

القصيدة الخمسون والمائة

وقال الشاعر : [من بحر الكامل]

وردَ الكتابُ من الكريمِ المفضلِ
العالمِ الفطنِ النبيهِ الأكملِ

ربُّ الرسائلِ والوسائلِ والندَى وأخُو السماحةِ والفوال المسْبِلِ
وابنُ الأولى أقوالهُم أفعالهُم زاكى الأرومةِ والنجارِ الأنبَلِ
أكرمْ به مِن صاحبٍ ومُصاحَب أحسن به من سيدٍ ومُجلَّلِ
لما أتانى طرسُه وكتابُه أيْقَنْتُ أن همومَ صَدْرِى تنجَلِى
فأخَذْتُه وفضضتُه ولثمتُه وقرأته بخلاصِ قلْبٍ مُقْبِلِ
وأجلتُ فِكْرى فى معانى لفظِه فوجدتُ مَن أهواه أشرفَ مُرْسِلِ
قد جاء من وَلدى وقرةِ أعيُنى خطٌّ كدرٍّ بالجمانُ مُفَصَّلِ
أهلاً به أهلاً به أهلاً به فهُو الشفاء لكل داء مُعْضِلِ
هاكَ الجوابَ أتى يلوحُ كأنه الشمس المنيرة من جناب المُعْوَلِى
نفطٌ بطرسٍ فاقَ نشرُ روائحٍ ما نشر نفحة عنبرٍ وقرُنفُلِ
وقوافياً متقابعاتٍ زانَها سلكُ النظامِ بهن غيرُ مُخَلَّلِ
خُذْها فإنّك كُفْؤها فاخترْ لها لتحلّ مِن حسناتِك أفضلَ مَنْزِلِ
وعليكَ ألفُ تحيةٍ تترَى وألفُ سلامةٍ طولُ المدَى لَمْ تُنقَلِ

• • •

القصيدة الواحدة والخمسون والمائة

وقال فى رثاء صديقه ابن خميس وهو عبد الله بن مبارك :

[من بحر الكامل]

القلب صارَ من الفراق عليلَا ... والجسمُ منى لا يزالُ نَحيلَا

بفراقِ من تركَ الفؤادَ مولَّهاً ... سقماً حزيناً هائماً وعليلا

يا راحلاً عقلى خلافُك راحلٌ ... لا شك حقًّا مُذْ نويت رحيلَا

يا ظاعنا قد ضاعَ عقلى والحجا ... لا زلتَ بعدكَ هائماً مشغولَا

يا أكرمَ الأخلاقِ خُلقًا صرتَ ... باللُّقْيا على أهلِ الودادِ بخيلَا

يا نازحًا نزحتْ دُمُوعى فى الثرَى ... فتولّدت فيه حَيًا وسُيولَا

يا سالباً أرواحَنا مَهْلًا لقد ... غادرتنى حتى المماتِ ذَليلَا

يا غائباً فى العينِ ذكرُكَ حاضرٌ ... فى القلبِ لايبغى عليكَ بَديلَا

لا غروَ بعدك إن عدمت تصبُّرِى ... وتجلُّدِى والعقلَ والمعْقُولَا

بردِّدْ حشاى بنظرةٍ فلعلّها ... تَشفِى لنا بعدَ الفِرَاق غليلَا

صِلْ صاحباً ذهبتْ حشاشةُ قلبِه ... ألّا يكونَ بكفك المقتولَا

يا قاتلى بالصدِّ صبرى نازحٌ ... فأنا القتيل هوًى ولست قتيلاَ

يا عاذلاً كن عاذلى فى لَوْمتى ... فمحمدٌ لا يقبـــل التعذيلاَ

ودعِ الملامةَ إننى لمعذبٌ ... لا أقبل التـكثيرَ والتقليلاَ

لا غروَ إن أصبحتُ صَبًّا هائما بفراقِ مَن ترك الحشا مَهزُولا
بفراقِ مَن لا أرتجى مِن بعده فى الخلق طُرًّا والأنامِ كفيلاَ
ذاكَ الجوادُ المحضُ لا تلقى له فى الناسِ قطعا مشبهًا ومثيلاَ
سِرْ حيثُ شئتَ من البلادِ فلا ترى أبداً لهُ فى العالمين عديلاَ
هو سيدى ومفاصرى وموازرى فى كلِّ أمرٍ لا أراهُ ملولَا
لو بِعتُ نفسى فى لقائك سيدى
وجميعَ ما عنـــدى لكانَ قليلاَ
واحسرتاَ ضاعَ الزمانُ ولم أجد لوصالِ من يهوى الفؤادَ سبيلا
يا نفسُ صبراً فالمقدرُ كائنٌ حتماً وإن كانَ الفراقُ جليلاَ
فِكْرِى تردّد فيك أين مقيلُكم فَالدهرُ ساءَ إقامةً ومقيلاَ
ياليتَ شِعْرى أين أنت فعلَّ قل بى يقبل المشروبَ والمأكولَا
أحزنت بالسفرِ البعيدِ أحبةً وجماعةً وهمومةً وخـؤولَا
لا غروَ بعْدَك هؤلاء إذا غَدَوْا مقتاسمين كآبةً وعـويلاَ
هلْ بعد عبد الله نسلُ مبـارك ألفى صفيًّا فى الزمانِ خليلاَ
ذهبتْ لذاذةُ كلِّ حلو بعده حتى الزمانُ علىَّ صارَ طويلاَ
ولقد مَلِلْتُ من الحيـاة وطيبهـا حتى غدوتُ مملاً ممولَا
يا أيها القَطن المقيمُ على الجفَا سافرتَ عنـا ما تريدُ قفُولَا
علّم محبيك الذين عَهِدتَهم فى قيدِ حبِّك أين شئت نزُولَا
وارعَ الودادَ لهم فإنهمُ رعوا لك ودهم فتجنبْ التبديلاَ

سارعْ إلينا إننا فى حـــيرةٍ لانعرف المـــلومَ والمجهولَا
فإلامَ هذا البعد والعز الذى منحَ الجسومَ حرارةً وذبولَا
وعلامَ هذا الصد والهجرانُ فى الدنيا فلا تكُ فى الوصالِ غَفُولَا
أحْيِ القلوبَ الميتات من الهوى وارحمْ عبيدًا من نواكَ هَزيلاَ
دلتْ عليك طباعُك الغُر التى زانتْ فكانت للفراقِ دَليلاَ
وحَرمْتَنا نظرًا إليك فليتَنا نلقى جمالكَ لا عُدِمْتَ قَبُولَا
وتركتنا صَرْعَى بغير مُدَامَةٍ وحزنتُ شِيباً بالهوَى وكُهُولَا

* * *

القصيدة الثانية والخمسون والمائة

وقال الشاعر فى المدح : [من بحر الخفيف]

وحباك الإلهُ ملكاً وإمضالا ... وعزّاً يُطحْطِحُ الأَجْيالا

يا حليفَ العلى قد اختارَكَ اللهُ ... إماماً أزكى الأنامِ فِعالا

أنتَ أنتَ الفتى أبو العرب الزاكى ... أبُو الخلق كلهم لَنْ تزالا

يا ابنَ سلطان أنت كاسمك ... والوالد يعصى فى ولده العذّالا

أنتَ مولًى لنا ونحنُ عبيدٌ ... لكَ نَرْضى رضاكَ حالاً فحالا

أغرقتْنا كفّاكَ جوداً وأنسا ... نا نداكَ الأعمامَ والأخوالا

أنتَ أدرى بحالِنا إن أردْنا ... حاجةً منك ليس يندى سؤالا

ما لحظناك لحظةً قط إلّا ... ومحيّاكَ نُورُه يتــــلالا

يشرق البشرُ فى سنا وجهك الميمونِ
حُسناً من قبل يُنْدِى المقالا

يا ابن سلطان سوفنا إنْ رأينا ... ك سَلَوْنا وصارَ كلٌّ محالا

فاعلُ قدرًا وأين تَعْلُو وقد خلتُ ... الثريّا لإخْمَصيكَ نِعالا

من نواليك أو يُدانيك يرجُو ... منكَ يُسرًا لا يحتشى إقْلالا

ما تولّى امرؤٌ ثناءك إلّا ... صارَ بالفضلِ أحسنَ الخلقِ حالا

يا ابن مَنْ جُودُ كفِّه السحب ... وفى الحربِ يفضحُ الرئبالا

وَهَبَتْنى القريضَ منك أيادٍ ... فعرضْتُ المديحَ فيكَ ارتجالا

لكَ حِلمٌ تخفُّ منهُ الرواسِي (١) أنت من فاقَ فى الرجالِ الرجالَا
وسَنَا غُرَّةٍ بَدَتْ تطفىء الشمسَ وذكرٌ يشيِّبُ الأطفـالَا
أوْ ندًى لو فرقته بينَ أهلِ الأرض لم تُلْفِ فيهمُ بُخَّالا
ما رأينا ملـكا سواكَ يساوى بنـداه المـلوكَ والأقيالَا
كلُّهم يشكرون فضلَكَ إذْ تُسْدِى عليهم مِن جُودِكَ الأفضالَا
كيفَ لا يشكرُ الخلائقُ سلطاناً عليهم أنعـامُه تتوالَى
فوربّى طرقتُ شرقاً وغرباً وبلوت الأنامَ آلًا فآلَا
لم أجدْ غيرَ مخلصٍ لكَ وُدًّا جَـوهريًّا يسرنى ما قالَا
قد لعمرى أمسَى الكفورُ مقرًّا لكَ بالفضـلِ مادحاً قوّالا
ما اختلفنا فى ذكرِ فضلك لكن ما ألونا فى الدين جهداً جِدَالا
هاكَ من مخلصٍ هديًّا تهادى فى ثناء من الثيابِ اختيالا
بنتُ فكرٍ كأنها بنت عشرٍ تستحق الإحسانَ والإقبالا
كرمَتْ محتدًا وفاقَتْ رُوَاءً وجلَتْ منظراً وتاهَتْ جَمالا
فأصخْ سمعاً إليها إذا ما نطقت بالمديحِ فيكَ امتثالا
أنتَ كُفءٌ لها فاجزلْ لها الإحسـانَ عفواً جاءتك تبغى النوالا
فأبُوها من قبلُ وهو صغيرٌ نالَ منكَ الإعظامَ والإجلالا
وهو لا زالَ فى ذُرَاكَ مقيماً أينما كنتَ لم يزل جوّالا
هـذه غايةُ المديحِ فمن شاء فليقلْ هكذا وإلا فلَا لَا
عِشْ قريرَ العيونِ دَهراً فقدْ أمنتْ يداكَ الأعداءَ والأموالا
وابق ما ناحتْ الحمامُ هديلا وتولى مقـيمٌ أطـلالا

* * *

(١) الرواسى : الجبال .

القصيدة الثالثة والخمسون والمائة

[من الطويل]

إذا ما حباكَ اللهُ يوماً بثروة وعزٍّ وسلطانٍ وجاهٍ فكن عدلا
فإنكَ قد أسدى لك الخيرَ كلَّه فهلا بخلقِ الله مهلا بهم مهلا

* * *

قافيـــــة الميم

القصيدة الرابعة الخمسون والمائة

وقال الشاعر : [من الرمل]

لا تلومونى فمثلى لا يلامْ إن مثلى فى هـــواه لا يلامْ
إن قلبى فى اشتغالٍ واهتمامٍ عفوك اللهم يا رب الأنام
ما اجتوائى وانقلابى عن مقامٍ لى ذنوبٌ كالشماريخِ العظام
واجترامى لا يُضاهَى باجترامٍ عفوك اللهم يا ربَّ الأنام
إن قلبى من ذنوبى فى اضطرام وعيونى من همومى لا تنام
وفؤادى فى اكتئابٍ وهيام واشتغالٍ واهتمامٍ وسقام
عفوك اللهم يا رب الأنامْ

قد جمعنا من حلالٍ وحرام فى اكتسابِ المالِ من كل مَرَام
وانهمكْنا فى خبالٍ واجترامٍ فكأنا مثل أصحاب الغَرام
عفوك اللهم يا رب الأنام

لا يضيقُ المرء من كسب يديهِ لَا ، ولا يغنيه دهرًا ما لديهِ
لو حوَى الدنيا جميعاً فى يديهِ وبكَى إن فاتَه شىء عليهِ
عفوكَ اللهم يا ربَّ الأنام

إن دنيا مالها قط دَوام نهى لا شىء كحلمٍ فى منام
أو كلحظٍ أو كمرّ للجهام من يُعَمَّرْ فيها يَزْدْ منها أُوَام
عفوكَ اللهمَّ يا ربَّ الأنام

فـــدعِ الدنيا وغادر جمعَهَا فهى كالرقشاء فاحذر لَسْعَهَا
ضرُّها فيها تعـــــدى نفعَهَا فاحتفظ إن كنت تَهْوَى رَفْعَهَا

عفوك اللهم يا رب الأنام

وقل اللهم اغفـــــر زلّتى واصفحْ اللهم واسدُدْ خَلَّتِي
واكفنى شرّ اللقيا والّتِي وامحُ عنى الذنب وارحم زَلّتِي

عفوك الله يا رب الأنام

وأجرنى من لظَى نارِ الجحيمْ فشرابُ القومِ فيها من حميمْ
وعذابٌ لهم فيها مُقـــيمْ أنتَ يا رب لمن تابَ رحيمْ

عفوك اللهم يا رب الأنام

واعفُ عن عبـــدِك فى يوم الحسابْ
وقِنا اللهم من ســـوء العَذَابْ
فهو يرجـــوكَ فلقِّنْه المتاب قبل أن يسكن فى دار الخرابْ

عفوك اللهم يا رب الأنام

إن ذنبى مثلُ تعـــدادِ الرمالْ ليس يحصى أو كأمثالِ الجبالْ
ليسَ إلا اللهُ أرجُو ذَا الجلال يغفر الذنب العظيم المُتَوَالْ

عفوك اللهم يا رب الأنام

إن تعذبنى فإنى المجـــــرمُ أو ترى عفوى فأنتَ الأرْحَمُ
يا إلهَ الخلقِ أنت الأكرمُ وأنا العبدُ المقـــرُّ المُسْلِمُ

عفوك اللهم يا رب الأنام

لا تؤاخذنى بذنبى إننى تائبٌ من كل ذنبٍ قد مَنِي
إنّ ذنبى مُوبقٌ أثقلنى إننى أرجوكَ أنْ ترحمنى
عفوك اللهم يا رب الأنام

عبدك المذنب يبكى ذنبَهْ فاكشف اللهم عنه كربَهْ
واهدِه للخيرِ واشرحْ قلبَهْ لم يخب من كانَ يرجو ربَّهْ
عفوك اللهم يا رب الأنام

أنتَ يا مولاى ذُو فضلٍ عظيمْ أنت يا مولى الورى مولًى كريمْ
أنت يا ربى بأسرارى عليمْ أنتَ يا مولاى رحمٰنٌ رحيمْ
عفوك اللهم يا رب الأنام

أنت حسبى يوم يَشْقَى المجرمون يومَ لا ينفع مالٌ وبنونْ
يوم يَبْدُو كل ما تُخْفِي الظنُونْ من صوابٍ ظاهرٍ أو مِنْ مُجُونْ
عفوك اللهم يا رب الأنام

تُبْتُ يا ربّاه من كلٍّ كِذَابْ فاعفُ عنّى وأجرْنى مِنْ عَذَابْ
عندَ قومٍ ماؤُهم صفرٌ مذابْ غلّت الأيدى إلى أعلى الرِّقابْ
عفوك اللهم يا رب الأنام

تبتُ يا رباهُ من كلٍّ مقالِ خالفَ الحقَّ ومن كلِّ نوالِ
ليس يرضَى إن بدا عند السؤالِ من كلام فيه من قيلٍ وقالِ
عفوك اللهم يا رب الأنام

تائبٌ من كل بيع فاسـدِ تائبٌ من كل وزن زائدِ
تائبٌ من كل ذنبٍ عائدِ تائبٌ من كلّ فعلٍ عامِد
عفوك اللهم يا رب الأنام

إن يكنْ ذنبى كأمواجِ البحارِ إن ربى أهلُ عفوٍ واغتفارِ
قادرٌ ينزلنى خـيرَ قرارِ ويقينى مجتوى دارَ البوارِ
عفوك اللهم يا رب الأنام

تبتُ يا ربّاه من كل مديحٍ لم يجزْ فحواهُ فى الشرع الصحيحِ
ومن الذمِّ المعمّى والصريحِ فى جهولٍ أو كريمٍ أو مليح
عفوك اللهم يا رب الأنام

تبتُ من كلّ مقالٍ وعملْ ليسَ يرضَى عنده عز وجلْ
ومن العمدِ اقتصادًا والزللْ واخلطا الجم والقولُ الخطلْ
عفوك اللهم يا رب الأنام

تبتُ يا رباهُ من كل اغتيابِ لأولى الفضل وأصحابِ الصوابِ
ومن القولِ المنافى للكتابِ فاقبل اللهمّ توبى ومتابى
عفوك اللهم يا رب الأنام

كيفَ حالِى واحتيالى واصطبارِى
حين لا ينفعُ عذرى واعتذارِى
بيمينى حينَ أعطى أم يسارِى فأنا فى قيدِ دلٍّ وإسَارِ
عفوك اللهم يا رب الأنام

ما جوابى حينَ أدعى للحسابِ وأحاطتْ بى عظيماتُ اكتسابى
ما يكونُ القولُ فى ردِّ الجوابِ يومَ يشقد بنا سوء العقابِ
عفوك اللهم يا رب الأنام

يوم يدعون فريق فى النعيمْ ليس يفنى وفريقٌ فى الجحيمْ
فأجرنى يا إلهى يا كريمْ من عذاب لهم فيها مُقيمْ
عفوك اللهم يا رب الأنام

يا حبيبَ الله يا من عظَّمهْ ربه واختارَه بل كرَّمَهْ
واصطفاه مرسلا بل كلَّمهْ لم يزل يَقفُو هدى ما علَّمَهْ
عفوك اللهم يا رب الأنام

يا رسول الله ذَا الصيتِ الرفيعِ وعظيم القدر والحرز المنيعِ
وأبَا الإحسانِ والحسنِ البديعِ إننى أرجوكَ يا خيرَ شَفيعِ
عفوك اللهم يا رب الأنام

كن شفيعِى لا شفيعَ سِواكْ إننى مقبعٌ نور هداكْ
فازَ من قد ظَل فى ظِل لِوَاكْ لا أهانَ اللهُ ربّى مَنْ رَجَاكَ
عفوك اللهم يا رب الأنام

ثم صلّ ربنا البارى عليك وَضَجِيعَيْك المقيمين لديْك
وعلى مَنْ واقفٌ بين يديْكَ خادم الوحى الذى يَهْوِى إليك
عفوك اللهم يا رب الأنام

وهو رُوحُ القدسِ جبريلُ الأمينْ صفوةُ الرحمٰن والعقدُ الثمينْ
خيرُ رسلِ اللهِ ربِّ العالمينْ خادمُ المختارِ غوثُ المسلمينْ
عفوك اللهم يا رب الأنام
وعلى أصحابه والتابعينْ وجميعِ الأولياَ والمؤمنينْ
من لدنْ آدمِنا والآخرينْ رضى اللهُ عنهمْ أجمعينْ
عفوك اللهم يا رب الأنامْ

• • •

القصيدة الخامسة والخمسون والمائة

وقال أيضاً : [من الطويل]

كتابكمُ وافَى إلينا فسرّنَا
سروراً عظيما يبرىء القلبَ من سقمِ
ذكرتمْ لنَا أنا تركنا ديارَنا وأصحابَنا أهلَ القرابةِ والرحمِ
فلا تحسِبُوا أنا سلونا ربوعَنا ولا دارَ أهلِ الودّ والخال والعمِّ
ولا حيرةَ بالهوب خُفًّا وِدادهمُ لفرقتنا عنهم زماناً بلا جُرْمِ
خرجْنا من النّهُوبِ التى هى دارُنا طلاباً لرزق الله من غير ما إثْمِ
على أننا الأولادُ والهوب أمّنا ولا يستوى نسلُ الرجالِ بلا أمِّ
ولكن خرجْنا نطلبُ الرزقَ أينما يكونُ ومن برٍّ بسيطٍ ومن يَمِّ(١)
وأنّا بخير فى سرورٍ ونعمةٍ وأنهارنا تجرى وأرزاقُنا تَنْمِى
لأنّا جعلنا الهـــوبَ رأساً لمالِنا
كذلك رأس المـال يَحمى عن الغُرْمِ
سنضرب فى الآفاقِ شرقاً ومغرباً ونقطعُ أجبالا وبيداً بلا رَغْمِ
طلابُ رضى البارى لكسب عيالِنا
ولا بدَّ للإنسانِ من مَطْلبِ القَسْمِ

---

(١) اليم : البحر .

علينا التماسُ الرزقِ من كل وجهةٍ
ونَرْضَى بما يقضِى به اللهُ مِنْ حُكْمِ
ولا تحسبن الرزقَ فاتَك وادعاً بلا حركاتٍ منك بالجد والحزْمِ
نَزَلْنا بكُرشا بلدة العـــزّ والغنى
وأصحابُها أهلُ الشجاعةِ والحزْمِ
أولئك قومٌ قد أطاعوا إمامَهم
وهُمْ سادةٌ حادُوا عن الجوْرِ والغَشْمِ
وهُمْ أهلُ ودٍّ للأئمـــةِ كلهم
وأجدادُهم من قبل فى الحرب والسِّلْمِ
دَرِع الهوب والرستاق والجو والعـــلو سواء بتقديرِ العزيزِ على عِلْمِ
وكلٌّ بحمدِ اللهِ جامعُ شملِهم إمام البرايا سيدُ العرب والعجمِ
هو العدلُ سيف نجلُ سلطان سيفنا فتى مالك نجلُ الجحاجحة الشُّمِّ
عليهِ صـــلاةُ الله ما لاحَ بارقٌ
وحنّتَ رعودٌ فى انهطال من الوسْمِى

* * *

القصيدة السادسة والخمسون والمائة

وقال أيضا : [من الخفيف]

هاكمُ من أخِي ودادٍ سلاماً ما هَمَى وابلٌ وهبت نُعامى
وثنائى كأنه العنبرُ الوردُ أريجاً يُزْرى بنشر الخُزَامى
وتحياتِ مخلصٍ زانها ودْ دٌ قديمٌ ماحنّ صبٌّ وهاما
بمعانٍ كأنها اللؤلؤُ الرَّ رَطب تفوقُ السمطَ الثمينَ نظاما
بسطورٍ كأنهن ثغـــورُ الخرّدِ البيضِ إن بَدَيْنَ ابتساما
ومودات مُشْفق صاغَها قلبٌ شفيق يَهْوَى اللقا ويَهْوَى السَّلاما
قد خصَصْنَا بها الذين جَداهُم(١) زادَ عن ظنّنا وفاقَ الغَماما
هم ملاذ العافِي وكهفُ المصافِي وسمامُ العِدى وغوثُ اليتامَى
والذى هُمْ دونَ الأنامِ يبيتون لذِى العرشِ سجداً وقياما
وإذا خُوطبوا بجهلٍ يصونُوا عنه أعراضَهم وقالوا سلاما
وإذا ما مرُّوا بلغـــوِ لئـامٍ كذَّبوا قولَهم ومرّوا كِراما
وكذاكَ الأجدادُ من قبل كانوا فى علاهم أوفى الأنام ذِماما
طالَ ما قد طلبتموه ببيعٍ أو خيارٍ فقد عقدنا الكَلَاما
ووقفنا عَنْ بيعه كلّنا واليـــوم عُـدْنا لبيعِه يا نَدَامَى

---

(١) الجدا : العطاء .

أن تكونوا فى همةٍ لشراه فهلموا وأظهروا لى المَرَاما
أو تكونَ النفوسُ طيبةً منه علامَ السكونُ هذا علاما ؟
قد لعمرى إنى كتبت لكم هذا بياناً لكم أخافُ المَلاما
وجفاءً منى لبيعى سِواكُم خيفةً أن يثيرَ وردى زُكاما
قيلَ لى بعْ على أناسٍ سواهم قُلْتُ ماذا أقولُ ؟! قالوا تعامَى
قلت كلّا إن التعامى خداعٌ وخداعى لهمْ يصير حراماً
لست أنسى جميلكم لو بعدتمْ عن قرارى مسيرَ ألفينِ عاما
إن مانى من بَعد بُعْدكم صا ر أجاجًا وصار تبرى رَغاما
ها أنا ذَا والمالُ طوعُ يديكم فانظرُوا حالتى كفيتم أناما

* * *

القصيدة السابعة والخمسون والمائة

وقال أيضاً : [من الوافر]

مشايخُنا مصابكمُ عظيمُ وصبركمُ لدى الجلّى جسيمُ
لأنكمُ جبالٌ راسياتٌ إذا خفّتْ لدى الهيجا حُلُومُ
فقالٌ لا تحركم رياحٌ أجلْ أنّى يحركم نسيمُ
لكمْ عزمٌ وأفئدة شدادٌ يزينُها بكُم خُلُقٌ كريمُ
فما قولى لكم صبراً ولكن أقولُ لكم به أجرٌ عظيمُ
وأنتمْ سابقون بكلّ فضل يدلُّ عليكمُ الكرمُ القديمُ
وأنتمْ سادةُ الأملاكِ طرًّا وطفلكمُ كشيخكمُ حليمُ
سلامةُ كلِّ شيء إن سلمتمْ فكلُّ العالمين بكم سليمُ
وأنتم فى ذُرى العليا شموس حياة للورَى عيشوا ودومُوا
وعش يا حميدَ العلياء دهراً فتًى سلطاننا أنتَ الحكيمُ
ففى الأولى لكم شرفٌ وعزّ وفى الأخرى لكم فوزٌ مقيمُ
فلا تأسَوا على ما فاتَ وادعوا إلهًا إنه بكمُ رحيمُ
إذا لم ترجُ للفانى رجوعا ففيمَ الحزنُ فيه والهمومُ
فلا ترجُو من الدنيا دَوَاما فلا شيء على الدنيا يدومُ
عزاؤُك يا ابن سلطان بن سيف بمن أوْدَى وأنْتَ لنا مقيمُ
سيمضى كلُّ من يمشِي عليها ولا خلق بها أبداً مقيمُ

فكلٌّ هالكٌ لا بدّ يوما ويبقى وجهُهُ الربُّ العظيمُ
وكنْ كأخيك سيفِ ذى المعالى هزبرٌ لا تروّعه الكلومُ
ولا السرّاء تبطرُه فيطغَى ولا أى الهموم به تحومُ
وليس يهوله دفنُ الأفاضى ولا الأدنى وإن أودى الحليمُ
هو القَرمُ الشديدُ البطشُ جدًّا إذا تَعْنُو لسطوته القرومُ
فإن العالمينَ لكم عيالٌ فرفقًا بالعيالِ فيستقيموا
وجودُوا للعيالِ بما لديكم فجودُكمُ به تَحيَى الرسومُ
فما الدنيا تعدُّ بدارِ خلدٍ لعمرى إن مربعها وخيمُ
محالٌ أن يطيبَ العيش فيها وعادتُها تنامُ ولا تنيمُ
هى الدنيا فباطنها قبيحٌ وظاهرُها لرائيها وَسِيمُ
هى الملحُ الأجاجُ يصير سمًّا لشاربِ مائِها والناسُ هِيمُ
فإنْ كنتَ العطوفَ فخذ حِذَارًا وخذ منها كما أخذ الفَطِيمُ
عزاءً واحتسابًا واصطباراً فإن الصبر بالحُلَى يَقومُ
وخُصَّ إمامَنا مفا سلامًا إمامَ المسلمينَ هُوَ العَلِيمُ

* * *

القصيدة الثامنة والخمسون والمائة

وقال يرثي قاضي القضاة صالح بن سعيد : [من بحر الطويل]

أيا عينُ جودي بالدموعِ السواجمِ
فإن عليكَ الحـــزنَ ضربةُ لازمِ
وسحّي دماً بعد الدموعِ التي جرَتْ
فحق بأن تقضي حقوقَ اللوازمِ
ويا نفس ذوبي حسرةً وكآبةً على فقدِ معدومِ المماثلِ عالمِ
على فَقْدِ مَن زانتْ بطلعة وجهه وآثاره اليسرى جميعُ المَعالمِ
على فقد معدومِ النظيرِ من الورَى
كريمِ السجايا عادلٍ ذي مكارمِ
على فقد معـــدوم الشمائلِ صالحٍ
سليلِ سعيدِ ابن الكرامِ الأكارمِ
لقد عَمَّ أهلَ الأرضِ علماً وحكمةً
فأصبحَ ذا رأيٍ على كلِّ حاكمِ
ملاذٌ لمغلوبٍ وحتفٌ لغالبٍ وعودٌ لمظلوم وموتٌ لظالمِ
رَووفٌ بأهلِ العلمِ والدينِ والتقى
شديدٌ على أهل الخنا والمظالمِ
تقدم بالشرعِ الشريفِ كرامةً وعزًّا وتشريفاً على كلِّ قادمِ

وأنقذ أهلَ الأرضِ من هوّةِ الردَى
بعـــلمٍ وطرفٍ ساهرٍ غير نائمِ
ودافَع أهلَ البغى والجهل والخنا ولم يستمعْ فى الله لومةَ لائمِ
سأبْـكِى مدَى عُمْرى عليه كآبةً
بدمعٍ غزيرٍ فوقَ خدًّى ساجمِ
فلا غرو أن أصبحت فى الحزنِ واجماً
فمن ذا الذى أمسى به غيرَ واجمِ ؟
وأصبحَ من قد كان يكتمُ سرَّه طرًّا بائحًا غـــير كاتمِ
سقَى اللهُ من قد كانَ للعلمِ كعبةً فأمسَى صريعاً ذكرُهُ فى المآتمِ
لعلَّ بطون الأرض تحسُد ظهرها وأكْرِم به من قائم الليل صائمِ
وأصبحَ وجهُ الدينِ والعلمِ والهدَى
عَبُوسًا قطوبًا باسراً[1] غيرَ باسمِ
فيا نكبةً فى دَهْرِنا ما أجلَّها وأعظمَ منها وهى جُلُّ العَظَائمِ
ولـكن قضاء الله ما عنه مهربٌ إذا ما قضاهُ وهو أحكمُ حاكمِ
سألْتُ إلهى أن يبُوِّئَ رُوحَه جنانًا مع الحور الحسانِ الفواعمِ
ويسكنهُ فى جنةِ الخلدِ خالداً بعيشٍ هنىٍّ طيبِ العُمرِ دائمِ
فصبراً إمامَ المسلمين لرُزْئِه فإنك فى الأرزاء ماضِى العزائمِ

---

(١) باسر : كالح الوجه .

وإنك موغربُ الندى قاصمُ العدا
بعيدُ المدى نسلُ الأسودِ الضراغمِ

هو الملكُ سلطانُ بن سيف بن مالك
إمامُ الهدى الزاكى سليلُ القماقمِ(١)

فتى شغلته المكرمات وكسبُها وبذلُ العطايا عن حسانِ المباسمِ
دعته المعالى للعُلَى فأجابها لما قد دعته وهو أحزمُ حازمِ

• • •

(١) جمع قمقم ، وهو السيد الكريم .

القصيدة التاسعة والخمسون والمائة

وقال يرثى الوالى راشد بن خلف : [من بحر الكامل]

الموتُ أبكى جملةَ الأقوامِ طُرًّا وأحزنَ جملة الحكّامِ
وأقام فى منجٍ نعيمًا دائمًا فى كل منزلة وكلِّ مقامِ
وسقَى جميعَ الخلقِ كأسًا مرةً وأذاقهم شربًا وطعمَ سِمامِ
وأراهمُ بعد النعيمِ ولذةٍ بؤسًا وألبسهم ثيابَ سقامِ
بوفاة ذى الإيمانِ والإحسانِ والإعطاء والآلاء والإنعامِ
والفضلِ والصدرِ الرَّحيبِ وذى التقى
والجـــودِ والإجلالِ والإعْظَامِ
والعزّ والشرف الرفيع وذى الحِجى
والعـــدلِ والمعروف والأحكامِ
ذاكَ الأشدُّ على العدوّ ووجهُه طلق لأهلِ الدينِ والإسلامِ
ذاكَ الوليُّ الزاهدُ الحِبرُ الرضىّ العابدُ البحرُ الخضمُّ الطّامى
العالمُ العـــــلَمُ المعلَّمُ عمَّنَا بعلومِه علمًا عن العـــلّامِ
أعنى بذلك راشداً نسلَ الفتَى خَلَف بن راشدٍ العقيدِ السّامى
ذاكَ الكريمُ المورِدُ العذبُ الذى شهدت له الأعداء بالإكرامِ
ذاكَ الذى قال الأنامُ جميعُهم هذا النزيهُ كريمُ كلِّ كِرَامِ
هَذا هُوَ الشخصُ المقدسُ ابن راشد من كلِّ عيبٍ باطنٍ أوْ ذَامِ

هَذا هُو العدلُ المطهرُ ابنُ راشِدِ ... من جملةِ الأفذارِ والآثامِ
يا محيَ الصيْبِ الكثيرِ بجودِه ... بل يا عميتَ الفقرِ والإعدامِ
يا موئل الصعفاء بل يا ملجأ ... الفقراء بل يا موردَ الأيتامِ
يا سيدَ الأربابِ بل يا صفوةَ ... الأصحابِ بل يا كعبةَ الإسلامِ
يا قدوةَ الأمراء بل يا خيرةَ ... الوزراء بل يا قادة الأعْلامِ
عمّتْ مصيبتُك الورَى حتى لقد ... لبس النهارُ بها ثيابَ ظلامِ
يا عينُ جودى بالدموعِ فإننى ... ألفيتُ جَرْى الدمعِ غيرَ حَرَامِ
وأرَى البكاءَ عليك فرضاً لازما ... وعلىّ حق إقامة الإلزامِ
مِنْ حيث إنّ اللهَ عظّم شأنَه ... واختارَهُ من جملةِ الأقوامِ
مَنْ فى جميع الخلق يشبه خلقه ... فى الخالقين النقضِ والإبرامِ
والعدلِ والآراء والتدبيرِ ... والتقديرِ والتشميرِ والأحكامِ
ماضى العزيمة لا يرد مقالُه ... والرأىُ منه كضربة الصّمْصامِ(١)
أبكيك يا من عدلُه ونوالُه ... قد شاعَ فى الأمْصارِ حتى الشامِ
أبكيك يا كهفَ اليتامى والورَى ... بمدامعٍ تهمى كوبلِ غمامِ
وتحسُّرِى ما دمتُ حيًّا دائمٌ ... يَتْرَى عليك قبل بدء كلامِى
الموتُ أحرقَ مهجتى وحَشاشتى ... حتى أذاب مفاصلِى وعِظامِى
والموتُ أفجعنى وكدّر عيشتى ... بأفولِ بدرِ التّمِّ بعد تمامِ
والموتُ أورثنى البُكا بنزولِه ... بعد الصفاء على الزكى السامِى

---

(١) الصمصام : السيف القاطع

والموتُ أطفأ كلَّ نورٍ ساطعٍ والموتُ أيبسَ كلَّ بحرٍ طامِ
صدقَ الذى قالَ الصوابَ وقولُه ما هذه الدنيا بدارِ دَوَامِ
وجميعُ ما فيها ولذة عيشها إلا كأضغاثٍ من الأحلامِ
يتتابعونَ إلى المغابا بالمنى كتتابعِ الأقدامِ بالأقدامِ
فتفكروا وتدبروا وتذكروا ما دامتِ الأرواحُ فى الأجسامِ
قبلَ انقطاعِ الصوت من أفواهكم ومرارةِ الأوصاب والأسقامِ
وحلولُ عزرائيلَ فى جثمانكم ومذلة الأمراضِ والآلامِ
ما خلتُ أن البدرَ يقبر فى الثرى وأراه طىَّ جفادلٍ ورغامِ
سقيًا لقبرٍ ضمَّ بحراً زاخراً وسقاهُ وَسْمِىَّ السحابِ الهامِى
سقيًا لقبر ضمَّ أفضلَ عادلٍ ومؤازرٍ ومرافق قوّامِ
سقيًا لقبر ضمَّ خيرَ ولاتفا مِنْ فاضلٍ أو عابدٍ صوّامِ
سقيًا لقبر ضمَّ أفضلَ صالحٍ وإمامِ عدلٍ وهْو خيرُ إمامِ

* * *

القصيدة الستون والمائة

وقال فى صديقين بحثا فى إفساد بيع بيت له : [من بحر الطويل]

ألا فاعذرانى إن عقبتُ عليكما ... وإن أنا أهديتُ الملامَ إليكما

لأنكما أنكرتمانى مودةً ... قديما كأنى ما أقت لديكما

وقلتم مقالا يحزن القلبَ بعضُه ... ولو لم تقولاه فماذَا عليكما ؟

أردّدُ فكرى فيكما كل ساعةٍ ... وحاشاكما والحقُّ بين يديكما

* * *

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي
المكتبة ٢٢٩٥
الرقم العام : [illegible]
الرقم الخاص : ٨١١/٩

القصيدة الواحدة والستون والمائة

وقال يعاتب صديقين سعيا فى إفساد بيع بيت له : [من الطويل]

ولما قرعتمْ بابَ عتبى فتحتُه ... وإلا فادخلاه واقبلا ما حميتُما
وأجحتما نارَ الملامةِ فاصبرا ... على حرِّها من حرَّها قد وقيتُما
ظننتكما عونًا على كلِّ حادثٍ ... فأخلفتُماَ ظنى فما ذا خشيتُما ؟
وأصبحتُما عونَ الحوادثِ إن أتتْ
علىَّ أهذا منكُما لا شقيتُما
إذا ما حبانى اللهُ يومًا بنعمةٍ ... وألبسنى من عزِّهِ ما رضيتُما
إذا عَثَرَتْ فلم لشخصىَ لَا لَعًا ... وما زالَ طول الدهر قولى سقيتُما
وإنى مقيمٌ ما حييتُ على الوفا ... وإنكما فى جَفْوتى ما بقيتُما
وحاشَاكُما الإفسادُ فى بيعِ حِصَّتى ... لأنَّكما فى رأب حالى دُعيتُما
قطعتمْ حبالَ الود منى فما الذى ... جَرى من أخيكم فيكما لا مُنيتُما
وإنِّى على العهد القديمِ لحافظٌ ... وست بناسٍ ودَّكم لو نسيتُما
ألا ناصفيا قولا وفعلا وخلقةً ... فأنتمْ إلى سُبُل التقى قد هُديتُما
فإن كنتُما لا تقبلَا النصحَ منْ فتى
ألا فاذهَبا فى القولِ من حيثُ جيتُما
وها أنا ذا والدهرُ والقولُ والملَا ... فقولَا وسيرَا وانملَا كيفَ شئتُما

* * *

القصيدة الثانية والستون والمائة

وقال على لسان أحد العظماء يذكر قاضيا بوعده : [من الوافر]

وعدت فأوفِ يا قاضى الأنامِ ... ويا نورَ الغياهبِ والظلامِ
فقد آنَ الوفاء بما عهدنا ... فعجِّلْ واقضِ يا وافى الذمامِ
وأنت الحاكمُ القاضى بعلمٍ ... وأنت وحيدُ عصركَ فى الأنامِ
وأمرُك نافذٌ فى كلِّ شىءٍ ... وأمضى فى القضاء مِن الحسامِ
فعشْ فى رفعةٍ ونعيمِ عيشٍ ... من الدنيا وفى أعلَى مَقَامِ
جزاكَ اللهُ خيراً بعدَ خيرٍ ... وتُجزى فى غدٍ دارَ السلامِ

* * *

القصيدة الثالثة والستون والمائة

وقال فى العجلة والتوانى فينبغى أن يوضع كل شىء فى موضعه :

[من بحر الطويل]

سقَى قوافِى الشعرِ بعدى وأعظمى
مغيبـــةٌ فى التُّرْبِ وهْى رِمَامُ
ألا ليتَ شعرى بعدُ فى أى حالةٍ إذا آنَ لى يومَ الحسابِ قِيامُ

* * *

القصيدة الرابعة والستون والمائة

وقال أيضا مثله : [من البسيط]

قد قال قومٌ بأن الخيرَ مجتمعٌ عند التأنّى وذو التعجيل مذمومُ
وبعضُهم قالَ فى التعجيلِ محمـــدةٌ
وذُو التوانِى من الإحسانِ محْرُومُ

* * *

القصيدة الخامسة والستون والمائة

وقال أيضا فى التأنى والعجلة : [من البسيط]

لا خيرَ فى عجلةِ الإنسان يا ثقتى ... فى غير موضعها والأمرُ مَحْتُومُ

وهَـكَذا فى الونى فى غيرِ موضعِه ... فى كلِّ حالٍ وهذا القولُ مَفْهُومُ

إن أنتَ لم تنزلِ الأشيا مفازلَهَا ... ظلمتَ والأمرُ جِدٌّ والهوى لُومُ

فالمدحُ فى عجلةِ الإنسانِ مُطَّرِدُ ... عند العَطيةِ والإمهالُ مَنْقُومُ

* * *

القصيدة السادسة والستون والمائة

وقال فى الحكمة والآداب : [من البسيط]

إنْ أبطأ المرء فى وَعْدٍ وفى عدةٍ من غير عُذْرٍ ولا شُغْلٍ له ألَمِ
فإن يكن بطؤُه من علةٍ عرضتْ
من سقمِ ذى مقةٍ أو سقمِ ذى رحمِ
أو اعتراهُ أذًى فى جسمه وضنًى
فالعفوُ مِن ذى الثناء أولى بذى سقَمِ
أما الذى جرَّدَ الإبطاء منحرفاً من غيرِ عذر ولا شغل ولا ألمِ
فذاكَ يُجفى ولم يقبلْ له أبداً عذرٌ من القول دونَ الخلقِ كُلّهم
واللهِ حلفةُ بِرٍّ صادقٍ ورعٍ ما خفت عهدى ولا دلَّسْتُ فى كَلِمى
ولا تلبثتُ فى الإبطاء منحرفاً عنكم وعن شاهديكم منطقى وَفمِى
فإن يكنْ غير هذا أنت عالمه أفديك من عَلَمٍ عالٍ ومِنْ حِكَمِ
أو أضمرنَّ مقالا غير ما نطقت به لسانى ومنكم مُنْهجَتى وَفمِى
هَبْنى زللتُ فمنك الصفحُ يجبرنى والعفوُ يمحُو الذى أجنى مِنَ اللَّمَمِ
قد قيلَ فى سالفِ الأيامِ قولٌ هدًى
لابدَّ من نَبْوةٍ للصارمِ الخذِمِ (١)

---

(١) الصارم : السيف . الخذم ، بكسر الذال : القاطع .

أو الفقيهُ الذى طابتْ خلائقُه مِنْ زلةٍ عرضتْ تُفْضِى إلى النَّدَمِ
عَفْوًا وصَفحًا وغفرانًا لمجترمٍ لولا التجاوزُ لم يُغْفَرْ لمجترمِ
ولو ملأتُ قُرَابَ الأرضِ مِنْ زَلَلٍ أيقنتُ أنّكَ تمحوها بِلَا سَأَمِ
ولا أظنُّ بَنَاتِ الدهر ترشقُنى بأسهمٍ من قِسَىِّ البؤس والنِّقَمِ
وكنتُ أضمرُ أن الفقرَ يصحَبُنِي
إذْ كان لفظك لا يَسْخُو بِلا وَلَمِ
كأنَّ « لا » عندكم حجرٌ محرمةٌ
إذا سُئِلتَ فلم تَعْرِفْ سِوَى « نَعَمِ »
يا منجزَ الوعْد يا محيى السخاء ويا سِرَاجَ مِلّتنا يا سَيِّد الأُمَمِ
يا نجلَ سلطانِ سيفٍ نجلِ مالكه
بلعربِ الفضلِ وافِي العَهْدِ والذِّمَمِ
عَطفًا لمن جاءَ يَرْجُو منك مغفـــرةً
لكلِّ ما اجترحتْ يمناهُ فى النِّدَمِ
لا خابَ راجيكَ فى عفـــو ومغفرةٍ
كمن يرجِّيكَ فى جودٍ وفى كَرَمِ
إنِّى علقتُ بحبلٍ لا انفصامَ لهُ مِنْ حُبِّكم وَوِدادٍ غير مُنْصَرِمِ
فاخلدْ سليماً خـــلوداً لا نفادَ لهُ وانْعَم وجدْ وابتهجْ واحلمْ بنا ودُم

* * *

القصيدة السابعة والستون والمائة

وقال يمدح الإمام سلطان بن سيف : [من الكامل]

يا زَوْرَةً قد أورثتْ بُرْءًا من الداء العُقام
لم أدرِ أن كلامَهـا يشفى القلوبَ من الكِلام(١)
واهاً فيا شـوقاً إلى تلكَ المغـازلِ والخيام
ما كان إلمامي بهم إلا كحـلمٍ فى مَنام
بيضـاءَ يمنعها الحيـا ء بأن تحدَّث بالكلام
ولها رُضـابٌ باردٌ يُزْرِى على صَرْف المُدام
أو طَعْم شَهْـد نثرُه كالمِسك مَفْضُوض الختام
لو ذَاق مَيتٌ طعمه لانسلَّ من تحت الرجام(٢)
وموشحٍ واهٍ ضعيفٌ مِثْلَ جِسْمى فى السَّقام
ردفٌ يثقلهـا فتختـارُ القعـودَ على القيـام
تشكُو الخواصر منه شكـوى عاشِقيها فى الغرام
كَمْ ليلةٍ قد بتُّ أجْـنِي الشهدَ من ذاك اللِّثام
حتى رأتْ شيبى يلو حُ بعارضِى مثلى الثغام
قالتْ فلم أقنـع أزو رك بعدُ فى حُلمِ المَنام

---

(١) جمع كلم ، بسكون اللام ، وهو الجرح .
(٢) الرجام : الصخور .

فكأنّما اتصلَ انسكابُ دموعها بندى الإمامِ
ذِى العـــدلِ سلطانِ الهُمامِ بن الهُمامِ بن الهُمامِ
أهلِ الفواضلِ والفضا ئلِ والعطياتِ العِظَامِ
وأخِى المواثدِ والفـــوا ئِدِ والمروءاتِ الجِسَامِ
أجدادُه الغُرُ الكرامُ همُ الكرامُ بَنُو الكرامِ
تُسدى أكفّهُمُ بجودٍ مثلَ منهـــلّ الغَمَامِ
أطوادُ حِلمٍ فى الوغَى وبحورُ جودٍ فى الطعَامِ
فَضَلُوا الورَى بأبوّةٍ فضلَ النُّضَارِ[1] على الرّغَامِ
عَرَفوا السيادةَ والسيا سةَ والندى قبلَ الفِطامِ
جبلت شمائلُهم على الجدْوى لإصلاحِ الأَنَامِ
يا ابنَ الأولى من يعربٍ وأولى الإمامةِ والذِّمامِ
أنتَ المؤيدُ لم تزل ندعو لِمُلكِكَ بالدوامِ
تاهَ الزمانُ بعـــدلك المشهور فى مصرٍ وشامِ
كلٌّ أقرّ لكمْ تقًى بالفضلِ من سامٍ وحامِ
وانحـــطّ عالى المرتقى لكَ وارعوى صَعْبُ المرامِ
فهزمت جَيشَ الكفر والإشـــراك بالجيش اللُّهـــامِ[2]
عرّفت كلّ مفكّرٍ منهم بِلَا ألفٍ ولامِ

---

(١) النضار : الذهب الخالص . الرغام : التراب .
(٢) اللهام : الكثيف .

وسلخت كيدهمُ كما انسلخَ الضياء من الظلامِ
فانحلَّ عقد نظامهم مِن قبلُ بالموتِ الزؤامِ
راموا قتالك قبل فانـ ـقادوا إليك بِلَا زِمامِ
غرتهمُ منكَ الأنا ةُ فأوقعتهم فى انهزامِ
يا غيثَ أهل الأرض يومَ ندًى وغيثًا فى الزِّحامِ
هُنِّيتَ بالعيد الذى يهوى لقاءك بالسلامِ
وليهن عيدُ الفطر أنّك عيدُه فى كلِّ عامِ

* * *

القصيدة الثامنة والستون والمائة

وقال أيضا يمدحه : [من مجزوء الكامل]

حَيِّ المعالم والرسوما وانزل بها تَنْفِ الهُمُوما
واستقشفِ مِن أنوارها فهواؤها يشفى السقيما
وسلِ المسافرَ عن ربو عٍ قد خَلَتْ وسلِ المقيما
درست زمانا لَنْ ترَى إلا الأثافِيَّ بها جُثُوما
عَهْدى بها حورٌ حِسا نٌ تشبه الزهرَ النجوما
من كل بض الجسم تمنعها الروادفُ أن تقوما
هلْ كان عهدُ الظاعنينَ بذى الغَضَا عهداً قديما
قد غادرُوا قلبَ السليمِ لبيتهم قلبا سليما
رامُوا صدورَهمُ فأضْحَى حبلُ سُلْوَانى رَمِيما
قدموا على هجرِى وما حفظوا حديثهمُ القديما
عظمتْ مودتهم فصا رَ عذابُ فرقتهم عظيما
فكتمتُ سِرَّهمُ وهَلْ تلقى أخا وَجْدٍ كَتُوما
وعدمتُ صبرى بَعْدهم فغَدا الفؤادُ بهم عديما
وسرَى نسيمُهمُ فَعا دَ بقلبىَ المضْنَى سُمُوما
كَلِمٌ لهم قد غادرتْ مِنْ غدرهم قَلْبى كَلِيما
قالوا استقم ديناً وهل تُبقى القطيعةُ مستقيما

لامَ العذولُ ولو دَرَى ما بالكثيبِ فلَن يَلُوما
أنتَ الغريمُ على الغرا مِ وأنتَ قد صرتَ المُليما
دعْ عَنك لومِي واثنِ إنْ كنتَ ذَا عقل حليما
واذكرْ فضائلَ من غدا هتَّانُ نائلِه سُجُوما
أعنى الإمام اليعربيّ الحَوْلَ الملكَ القويما
الشهمَ سلطانَ بن سيف العادلَ الفطنَ الحكيما
عمّت فضائلُه فأجـ لَ للورَى فضلا عميما
رَحِمَ المهيمنُ روحَه من حيثُ صار بنا رحيما
وتمت مواهبُه فصا رَ عليه جدواه نموما
ذاك الذى نعماؤُه صرنا بها نرعَى النعيما
فأعاد من بعد اعوجا جٍ غصنَ ملتفا قويما
واليومَ صيَّرَ ليلنا بهداهُ نوراً مستديما
دامتْ ممالكه فما دعواى إلا أن تدوما
أعدى الورى بندَى فلم تر فى الورى شيئاً عديما
ونكادُ من جدْوى يد يه لانرى شخصاً اثيما
إن حلَّ فى أرض جرَى ربًّا روائحها نسيما
مَدحى لهُ دين ولا أخْشى أصير به أثيما
وإذا مدحت من الأنا مِ سواه صرت فتًى ظلوما
فبمدحه أرجو النجا ةَ ولنْ أكونَ به مَلُوما

قالوا علمت فقلت علّمنى بحكمته العُلوما
وفهمت كل دقيقةٍ منه فصرت بها فهيما
أحكمت شعرى فيه حتى صرتُ منه فتًى حكيما
يا ابن الأولى من يعربٍ سادُوا الورَى دَهرًا قديمًا
فقتَ الأنامَ مواهبًا تَترى وفقتهمُ صميما
وعممتَ أهلَ الأرضِ والبلدان بالجدوى عمومًا
وسَمَتْ فضائلك العلى فالدهرُ صارَ بها وسيما
وحلمت عن أهلِ السفا هِ إذًا وسفهت الحُلُومًا
لك صارمٌ عضبٌ تقدُّ به الجماجمَ والجسوما
فكأنه برقٌ أضاءَ فلا يقَام ولن يُنيما
يا آل يعربَ عِشْتُمُ عيشا بعدلكمُ سَليما
لا عاشَ ضدُّكمُ ولا جلّى له شعرى هُمُومًا
أنَا فى جوارِكمُ فلا عفت لىَ العسرى رُسُومًا
ونوالك المدرارُ يقعُد خلّتى أن لا يَقُومًا
كُفُّوا خطوبَ الدهرِ عنّى أن أصير بها كَظِيما
قد نِلْتُ من وُدِّى لكم وتقربى فوزًا عظيما
فالخلقُ طوعُ يديكمُ والدهرُ صارَ لكم خَديمًا

* * *

القصيدة التاسعة والستون والمائة

وقال الشاعر فى الغزل : [من البسيط]

النونُ حاجبه والعينُ مقلتُه ... والميمُ لاشكَّ إن فكرتَ فيه فَمُ

فالنونُ صورتُه قوسٌ بِلَا وترٍ ... والطرفُ نُشَّابه أو صارمٌ خَذِمُ

سلاحُه طرفُه ما شاءَ صرَّفَه ... يرمى فيُصْمِى ولكن لا يسيل دَمُ

وفوقَ مبسمه سيفاتُه رسمتْ ... ناهيك من أحرفٍ ما خطها قَلَمُ

وتحتها درٌّ قد زانَها شَنَبٌ ... كأنَّها لؤلؤٌ فى السلك منتظمُ

وفوقَ صُدْغيه لامٌ أصلها أَلِفٌ ... بقدرةِ الله عنها الحاسِدُون عَمُوا

* * *

القصيدة السبعون والمائة

وقال فى الغزل والمدح : [من البسيط]

حازَ المحاسنَ من خَلْق ومن خُلُق كأنه من جنان الخُلْدِ مُنْهَزِمُ
قد جاءنا كَىْ يرينا ما أُعدَّ لنَا كمثله بجنَان ما بهـا سَقَمُ
كَىْ يردعَ القومَ من عصيان خالقهم ليعملَ الصالحاتِ العربُ والعجمُ
ليرغبُوا طاعةً فى أمر سيدهم هُو الإمامُ الذى انقادتْ له الأممُ
سيفُ بن سلطان سيف نسل مالكه
ذاكَ الإمامُ الهمامُ السيدُ الحكمُ
أكرمْ بمن حلّ قصرَ الأكرمين ومن
أجـداده اليعربيّون الذين هُمُ
فطاعةُ اللهِ ربِّ العرش طاعتُه ومَنْ عصاهُ فقد زلّت به القَدَمُ
فكن مطيعا له فى كلِّ حادثةٍ مِن الأوامرِ فهو العالِمُ العَلَمُ
فهو المقيمُ بعدلِ الله مُجْتهدًا وهو الرؤوفُ عداه اللومُ والندمُ
مدحى له أرتجى غفران يوم غد ومحو ذنبٍ جرى منى وما يَصِمُ
خُذْها بلا طمعٍ عذراءَ واضحة كالشمسِ مشرقةً لكنها كَلِمُ
إذا قرأتَ معانيها على مَهلٍ تزولُ عنكَ همومُ الدهر والهِممُ
قوافيًا لك أهداها أخُو مقةٍ قديمة أُسُّها المعروف والكرمُ

* * *

القصيدة الواحدة والسبعون والمائة

وقال فى وفاة الزاهد الورع على بن سالم عام ١١١٤ هـ : [من الطويل]

تُوُفِّىَ بحرُ الجودِ والزهدِ والتقى ونورُ دياجيفا علىٌّ بن سالمِ
فتى خَلفِ الندبِ الهمام من الذى وقاهُ إلهُ العرشِ شرَّ المظالمِ
تألم من فقدانه ووَفاتِه جميعُ البرايا مِن جَهُول وعَالمِ
لقد كانَ فيئًا للمُقِلِّين مورداً وإحسانُه قد عمَّ كلَّ المَعَالمِ
ولـكنْ قضاءُ اللهِ ما عنه مهربٌ فمَنْ منهُ مِن أحيائنا غيرُ سَالمِ
وفى شهر شعبان توافتْ وفاتُه بتدبيرِ خلَّاقِ البريةِ حاكمِ
مضتْ أربعٌ والعشرُ معْ مائةٍ خَلَتْ
وألفٌ تولى عدَّه كلُّ ناظِمِ
بعصرِ إمامِ المسلمين وليِّنا هو الشهم مولى عُرْبِها والأعاجِمِ
هُوَ العدلُ سيف نجل سلطان سيفنا
فتى مالك أهلُ الندى والمـكارمِ
وناظمُ هذا المعولىُّ محمـــدٌ سلالةُ عبدِ اللهِ نجل المُسَالمِ
ويومَئذٍ فهُو ابن سبعين حجةً وعشرٌ توافتْ فى المدَى المُتقادِمِ
وصلِّ على خـــيرِ الأنام محمدٍ
نبىِّ الهدَى الزاكِى سليلِ الضراغِمِ

* * *

القصيدة الثانية والسبعون والمائة

وقال فى رجل من العجم حين أتاهم الإمام إلى عمان : [من الكامل]

أمحمـــدُ بن محمدِ بن المرتضى إنا لفى شُغُلٍ وإنك تَعلمُ
لعب الأمَى بقلوبنـا وعُقُولِنـا لما سمعنـــا أنّك للقائمُ
لو تقبل الحمى فدًى أو رشوةً لتكفّ عنك نزولها فَتُسَلِّمُ
لكنها إن سلطتْ يحلُو لها فى أىّ جسمٍ ما يقولُ المُسْلِمُ
لما تألّمْتُمْ شغلنـــا كلُّنا كِدْنا من الأشغالِ لا نتكلمُ
وتحيرتْ أفكارُنا وعقولُنا طوبَى لمن نُودِى ولا يتظلّمُ
لكنْ قضاء الله فينا سابقٌ لا عالم يُجْدى ولا مُتَعلِّمُ
أنت الحكيم ولا نزيدُك حكمةً فوق الذى تجزى وأنتَ مُعَلِّمُ
ثمّ الصـــلاةُ على النبىِّ محمدٍ محيى الهدى صَلُّوا عليهِ وَسَلِّمُوا

* * *

القصيدة الثالثة والسبعون والمائة

وقال فى الغزل : [من الخفيف]

كتب الحسنُ فى محياكَ سطراً وهو نونٌ تبرى وعينٌ وَميمُ
حاجبُ مقـــلة فمٌ لؤلؤى نشرُه المسكُ درُّه منظومُ
قُطرتْ قطرتانِ من قلم الحسـ ـن بخديك وهو سرٌ عظيمُ
قل « نعم » فى لقائنا لاتقل لى «لا» إنَّ « لا » بعدها لَخُلقٌ ذَميمُ
عنون الكون فيه صورة قويس مَنْ مِنَ العالَمينَ مِنهُ سَليمُ
قوسُه حاجباه والأنفُ تشا بتُه تحتهن جَفنٌ سقيمُ
عجباً منه وهو ناء بعيـــدُ حاضرٌ وهو فى الفؤادِ مُقيمُ
رحمَ اللهُ مَن سخَا بجوابٍ وعليه الســـلامُ والتسليمُ

* * *

القصيدة الرابعة والسبعون والمائة

وقال الشاعر بعد وفاة والده : [من الطويل]

خليليَّ إنَّ الهمَّ والحزنَ خيَّما بقلبي على رَغْمي فما الرأي فيهما
يريدانِ ألا يتركا لِيَ سلوة وأن يتركاني ناحلَ الجسمِ مسقما
فإن تسعداني شمِّرا وتقدَّما وإن كُنتُما لاتسعداني فأحْجِما
لقد أجمعا أمريهما وتخالفا وقد جيَّشا جَيْشاً علينا عَرَمْرَما
نلاقيهما بالذُّلِّ والصغرِ عنوةً أم الحرب أحرى خوف أن تَقدَّما
فأمَّارتي بالجُبن قالتْ لِيَ ارْعَوِي
فلسنا بذِي عزٍّ لنرمىَ مَنْ رَمَى
ولسْنا على البأساء أصحابَ قوةٍ ولسنا بأبناء الملوكِ لِفقدما
وقال لي القلبُ استعدَّ فإنني أرانى معدًّا فى أمورك قيِّما
ألم ترنى فى النائباتِ أخا قوًى
حَمُولا وفى البأساء عضْباً مُصمِّما
ولا أتشكى للورَى من رزيَّةٍ رزئْت بها لو أنَّ جِسْمى تحطَّما
ألا قل لأهلِ الدهرِ والدهر إننى نبوتٌ ولو رَضْوَى عَلَيَّ تهدَّما
سواءٌ معى حربُ الزمانِ وسِلْمه إذا كان عندى الصبرُ لم أتألما
ولستُ أبالى إن سقتنى صروفُهُ
كؤوسَ مُدَامٍ أو سقتنىَ عَلْقَما

أنا المـــرء قلبى لا يراعُ بنبأةٍ
ولا صوت ذى ضغن إذا ما تَهَمْهَمَا

ولا يطّبينى[1] حسنُ تغريد معبد ولا صوتُ شادٍ فى الغصونِ تَرَنَّمَا

ولم يشجنى شوقاً فراقُ أحبةٍ إذا لم يذوقوا من فراقى تَغَدُّمَا

وأنفعُ من دهرى بأيسرِ بُلْغة
إذا لم أجدْ يوماً سِوى التمر مَطْعَمَا

سأصرِفُ نفسى عن مطَامعَ جمةٍ
وإن لم أجد لى قطُّ فى الكفِّ درهما

ومهما قضى الرحمنُ لى بقضيةٍ رضيتُ بها طوعاً ولم أتظلما

لِعلمِى بأنى لستُ أملكُ درهماً ولم تنفع الشكوى فأدفعُها بِمَا

سأحنى لها ظَهْرى وأحملُ ثقلها ولو حطمتَ مِنّى قناةً وأعظما

سأصبرُ صبراً يقصرُ الصبرُ دونَه إلى أنْ يصيحَ الصبرُ منى تألُّمَا

وإلا فلستُ الباسلَ البطل الذى تردَّى بأثوابِ الردَى وتعمَّمَا

ولو قَصَّ منى الدهر ريشَ قوادِمى فلا أتشكَّى للعدوِّ فيبسَما

ولا أتشكى للصديقِ مكاشِفاً فيبقى حزيناً لايطيق تكلُّمَا

سأسترُ سرى عن قريبٍ وشاسعٍ ولو أنَّ قلبى بالسمومِ تسمَّما

---

(١) أى لا يشغلنى .

فكلٌّ له عمرٌ وللعمرِ غايةٌ إذا ما انتهتْ لم ينتفعْ بلعلّ ما
تمرستُ بالآفاتِ حتى ألفتها فلما دهتنى لم تزدنى تحلُّما
فها أنا ذا ما شاء ربى فإننى لراضٍ بما أوتيتُ قدّرَ أمْ نما
يقولونَ لا تبكى لموتِ أقاربٍ أعندكَ قد صارَ البكاء محرّما
فقلتُ لهم لا بلْ فإن كان نافعاً بكيت على فقدان أحبابنا دما
أبكى على غيرى وإنى لعالمٌ يقينا بأنى لاحقٌ من تقدّما
فإن كنتُ ذا عقلٍ فأبكى بعَبْرةٍ
على عُمـــر ضيّعته فقصرّما
فإن أبكه فى بعض الأحايين لا غنًى
فكمْ مسلمٍ منا بكى قبلُ مُسْلِما
وإن أبك محبوباً فيعقوبُ قبلنا بكى يوسفاً حتى أضرّ به العما
ولما رأيتُ العقل والقلبَ أجمعا على حرب أضدادٍ ولله سلّما
نبذتُ الونَى والعجز عن فتى وقد جعلتُ جميلَ الصبر والفوز سلّما
عَزَمتُ فجيّشْنا جيوشاً من الأسَى هَزمْنا بها جيش الهموم تَجَشُّما
فمن كانَ عند اللهِ فاللهُ عندَه وفازَ بما يرجُوه فوزاً معظّما
ظفرنا وأبْنا سالمين بعونه بنصرٍ عزيزٍ قد رجوناهُ قبل ما
ومن يتقِ الرحمنَ يجعل له حمًى مفيعاً ويرزقه التقى والتنعُّما
معَ الحورِ والولدان فى روض جنة مقيما بها يُسقَى الرحيق المختما
وإن يَعْصِه عمداً جَهاراً ولم يتب ومات معرّا يَصْلَ نار جهنما

يعذبُ فيها دائماً أبداً ولم ... يجدْ وَزَراً[1] يأوى إليه فَيَسْلَما
فمن آثر العصيانَ هذا جزاؤهُ ... وكلُّ امرىء يجزى بما هو قَدَّمَا
أعوذُ بك اللهمَّ من شرِّ مارِدٍ ... غوىٍّ يرى إن مسَّنا الضر مَغْنَما
ومن شرِّ وسواسٍ ألمَّ بخاطرِى ... ومن همزاتِ للشياطينِ كلَّما
وعفـــوًا لعبدٍ أقرَّ بذَنْبِهِ ... وإنَّك غفارُ الذنوبِ تكرُّمَا
وإنك ذُو عفوٍ وصفحٍ عن الذى ... أقرَّ اعترافاً بعد ما كان أجرما
ودونَكمُ من ذِى ودادٍ بصحبةٍ
حكت فى حواشى الطِّرْسِ درًّا منظما
هىَ الشهدُ بلْ أحلى على كل سامع
وأشهى من المـاء الزلالِ على الظمَا
تسلِّى قلوب الفاقدين أحبَّـة ... وتنسى الوليد الوالد المكرَّمَا
على أنها تطهيرُ كل نجاسةٍ ... وتنفى عن القلب القذَى والتوهُّمَا
وسميتها للقلبِ والعين ســـلوة ... وتقوية عند المصائبِ عندمَا
وما قلت عنها من قوًى وتشجع ... وتزكية للنفسِ إلا تفهُّمَا
وما نيتى إلا رضَى اللهِ وحْدَه ... وســـلوة عبدٍ للغُمومِ تَجشُّمَا
ألا فادرسُوها كلَّ حينٍ فإنهـا ... تصير تعاويذًا وللقلبِ مَرْهَما
تؤرثُ فى قلب الجبانِ تشَجعا ... ويزدادُ قلبُ الشخص منها تَعَلُّمَا

---

(١) الوزر : الملجأ .

فَمَنْ كانَ ذَا عقلٍ وإن كانَ جاهِلًا
يصيرُ إذا استولى عليها مُعَلِّما

لها قصباتُ السبقِ فى كلِّ حلبةٍ إذا حضرتْ فاقت كُميتاً وأدْهَما
إذا خلتها يوماً توهمتَ أنهـا ملاءة نورٍ قد توافت من السَّمَا
أو الحور من جنّاتِ عدنٍ تنزلت جزاؤُكم مِن فعلِ خيرٍ تقدّمَا
وصلِّ إلهَ العرشِ ما هبَّت الصَّبَا على أحمدٍ خيرِ الأنامِ وسلِّما

* * *

القصيدة الخامسة والسبعون والمائة

وقال الشاعر : [من المتقارب]

نصم عن نسيبِ الغوانى ولا ... تخلّط وأعلنْ بمدحِ الإمامْ
بلعـــــوب العادل المرتضى ... سلالةُ سلطانَ نسلَ الكرامْ
أقرّ لهُ بالندى شهـــرةً ... وفضلَ المساعِى جميعُ الأنامْ
ولا عيبَ فيه سوَى أنّهُ ... أخُو شرفٍ بالعطايا الجِسامْ
فتى عنده البخلُ عيبٌ بمن ... يسمى فتى كارتكابِ الحرامْ
هو الندبُ فى الحربِ ليثُ الوغى ... وقد صارَ فى السِّلم غيثَ الطعامْ
وفى البذلِ أكرمُ مِنْ حاتمٍ ... وفى الحربِ ذُو عزةٍ وانتقامْ
وآباؤه الغـــــرُّ هُمْ سادةٌ ... وأهل الندى والجفان الضخامْ
فتى لا يبالِى بأعـــــدائِه ... وإنْ عَظُم الضربُ عندَ الزِّحامْ
يُنسى المحبينَ أحبابَهـــم ... ويتركُ شجعانَهم كالنعـــامْ
كريمٌ بخيـــلٌ بعلياتِه ... تعرّفها قبلَ وقتِ الفِطَامْ
فمنْ أينَ أنسى ثنائى له ... وَجَدْواه تترى علينا دَوَامْ
مليكٌ لقاهُ شفاءُ القـــلوبِ ... ورؤيَا محيّاهُ برءُ السقَامْ
ويمنـاه تغنى الورَى بالندَى ... وفى كفِّه يُسْراه موتُ الزُّؤامْ
شجاعٌ قويٌّ له هيبـــةٌ ... يقومُ مقامَ الخميسِ[1] اللُّهَامْ

---

(١) الخميس : الجيش الكثيف .

وأنصارُ الفـــرِّ منصورةٌ بجنـد المهيمنِ عند اللطامْ[1]
وألويةُ العـــــزِّ منشورةٌ بعدلِ ابن سلطان وافي الذمامْ
وأيدي أعاديه مقهـــورةٌ بزُرْقِ العوالى وحَدّ الحُسامْ[2]
عليه صلاتانِ مِنْ ربه وأطيبُ رَدٍّ وأزكى سَلامْ
ودُونَـكَها مِنْ فتى مالَهُ سِوى مَدْحِكم بالقوافى مَرَامْ

* * *

(١) اللطام : الالتحام .
(٢) العوالى : الرماح . الحسام : السيف .

القصيدة السادسة والسبعون والمائة

وقال رحمه الله تعالى : [من الطويل]

ترفَعْ عن الفعلِ الذى يضعُ الفتى تعشْ سالماً من كل ذامٍ مذمَّمِ
إذا كنتَ من قومٍ كرامٍ أعزةٍ فكنْ مثلهم فى كلِّ فِعْلٍ مكرمِ
أأحمد إنّى ناصحٌ لكَ مُشْفِقٌ ألا فاسمعْ قولَ الشفيقِ المُعَلِّمِ

* * *

القصيدة السابعة والسبعون والمائة

وقال رحمه الله تأريخا لمسجد بالروضة : [من الطويل]

بنينا بجنبِ الروضةِ الآنَ مسجدًا لوجه إلهِ بالفضائل مُنْعِمِ
بنينا به نرجُو مِن الله رحمةً وعفواً لنا والصفحَ عن كل مأثمِ
وتاريخُه فى عام ستٍّ وعشرةٍ كذا مائةٌ من قبلِ ذلك يا ابنَمِ
تعاونَ أهلُ الروضةِ الكلُّ منهم ببنيانه طوبى لهم حُسْنَ مَغْنَمِ
بدولةِ سيفِ نسلِ سلطان سيفنا إمامِ الهدى أهل الندى والتكرُّمِ
وَذِى روضةٍ فاقتْ على كلِّ روضة
بنخلٍ وأشجارٍ وزهـــرٍ مقتمِ
فهـــذا وصلى اللهُ ما لاحَ بارقٌ
على المصطفى الهادِى النبى المكرّمِ

* * *

القصيدة الثامنة والسبعون والمائة

وقال تصدير خط : [من الطويل]

بَنى مصعبٍ أنتمْ أولو العلمِ والهدَى
وأجدادُكم فى السالفينَ كرامُ
وهمْ أهلُ فضلٍ فى الورَى وكرامةٍ
وهم فى الدياجى سجَّدٌ وقيامُ
أولئكَ حزبُ اللهِ حقًّا وهُمْ هُمُ
صلاةٌ وذكرٌ دائمٌ وقيامُ
أقامُوا بدينِ اللهِ واستمسكُوا به
وطوبَى لهمْ دار السلام مقامُ
ومن سارَ منهم سيرةً نبوية
ومن ودهم منا عراهُ ملامُ
وفى وجدِ من يقلاكمُ آلَ جريةٍ
وإن كانَ ذَا قُربى حَصًى ورَغَامُ
فإن مدَّ لى فى العمرِ لابدَّ زورةٌ
وإن كانت الأخرى فليس أُلَامُ
وناظمُ هذا المعولىُّ محمدٌ
إذا ذكرَ الإخوانُ ليسَ يضامُ
لهُ فى حسابِ السن سبعونَ حجةً
وينقصُ عامٌ فى الحسابِ وعامُ
يخصكمُ بالحمدِ والشكر والثناء
ضعافٌ وأشرافٌ لفًا وهمامُ
وندعو لكم بالنصرِ والعدلِ غدوةً
إلى أن يغشيها النعاسَ منامُ
فإنَّ سلاحَ المؤمنينَ دعاؤُهم
إذا جن ليلٌ وادْلهمَّ ظلامُ
ولا زالَ ذكراكمْ يلم بقلبنا
إلى أن يواريفًا ثرَى ورِجَامُ
وفى عامِ سبعٍ بعدها مائةٌ
خَلَتْ وألف نظامى عندهن سلام

* * *

القصيدة التاسعة والسبعون والمائة

وقال الشاعر : [من بحر الطويل]

عسى اللهُ بعدَ البين يجمعُ بيننا وترجعُ أيامٌ بذاك كرامُ
وأيامُ دهرٍ كان للشملِ جامعاً ليقضى لنا بعد الفراقِ ذِمامُ
وعلَّ الليالى المقبلاتِ تردُّ ما مضى من ليالٍ حَدُّهن كَهَامُ
كذَا عادةُ الدنيا اجتماعٌ وفرقةٌ وحُزْنٌ ونقصٌ تارةً وتمامُ
وقالوا بأسبابِ العزاء تمسكوا فكيفَ وأسبابُ العزاء زمامُ
فنضحَى بلا صبرٍ جميلٍ كآبةً عليك ونمسى والدموعُ سِجَامُ
وما ذَا على من لا يرى والداً بأن يظل كئيبا أو عليهِ ملامُ
وماذا عليناَ إن قتلنا نفوسنَا إذا عزَّ من نهوى وعزَّ مَرَامُ

* * *

القصيدة الثمانون والمائة

وقال وقد أعار رجلا شيئا من القصائد فكتب له :

سلامٌ وتسليم وألفُ مَسَرَّةٍ ... أخصّ به الزاكى المسدد سالما
سليلَ خميس بن الصفىّ مباركٍ ... بحيث لنا قد صارَ خِلًّا مسالما
عليك سلامى كلّ حينٍ وساعةٍ ... مُداماً كفى فقد الأليف حمائما
أعرْناك يا ذا الودّ سبعَ قصائدٍ ... وسافرتَ أزماناً وقد جئت سالما
فمن فضلِك الأسنى فجُودوا لنا بها ... سريعاً كما نُسْدِى إليك مكارما
فديتك خلّصها فهذا رسولُنا ... خميسُ المصافى قد أتاكَ مُعالما
فسلّم له عاريّةً مستردةً ... وأنتَ برىء قد كفيتَ اللوائما
وحاشاكَ بل حاشاك يرجع خائبا ... فإنكَ قد صرت الغديمَ المُفادِما
إذا شئتَ منّا حاجةً فهْىَ تقتضى ... بإذنِ إلهٍ صارَ بالأمر قائما
نخصك بالتسليمِ نجلٌ مباركٌ ... سلاماً وتسليما مدًى مُتقاربا
ودونَكها من مُعْولىٍّ هديةً ... تسرُّك بل تُسْدِى إليك مَغانما
تسلى قلوبَ العاشقين كأنها ... حبيب إلى أهليه قد صار قادِما
تُمَهِّد أجفانَ الكرى بفراقِها ... كأنها بالوصلِ تُوقِظُ قائما
قوافٍ لمن اللؤلؤُ الرطبُ خادمٌ
كما صِرْتُ للزاكى ابن سُلطانَ خادما
وصلِّ إلهى كلّ حينٍ وساعةٍ ... على أحمدٍ أزكى الأنامِ مَكارما

* * *

القصيد الواحدة والثمانون والمائة

وقال فى المدح : [من بحر الكامل]

بيضاءُ واضحةُ الترائبِ غادة إن شُبِّهَتْ ظُلِمَتْ بِبَدْرِ تمامِ
سمع الخيالُ بها فخلتُ جبينها شمساً تلألأُ تحتَ جُنحِ ظلامِ
باتتْ تبثُّ لىَ العقابَ مودةً وتديرُ من فيها كؤوسَ مُدَامِ
وتقولُ لى هلّا تريدُ سُلافةً تشفى من البُرحاءِ والآلامِ
فأجبتها ألّا أريدُ مُحرَّماً حاشاَ لِمثلِى لارتكاب حرامِ
لما رأتنى والعفافَ فكفكفتْ عبراتِ عينى عروةَ بْنِ حِزامِ
أُلفى فلست من الذين إذا خلوا بخريدةٍ سَحَبُوا ذيولَ أثامِ
وخرائدٌ(١) قد زرننى فوجدننى متنزهاً فى يَقْظَتِى ومَنَامِى
فكأننى مستعلمٌ من عفةِ الملكِ الأشم السيد القَمْقَامِ
ذِى الفضلِ سلطانِ بن سيفِ الندَى
الزاكِى المكرَّمِ فى مَدَى الأيّامِ
اليعربىِّ الشمرى المرتضَى ذِى الدِّينِ والإيمانِ والإسلامِ
الباسلِ العدلِ السرىِّ الماجدِ اللبقِ الأبىِّ الهزبرىِّ السَّامى
تتقاصرُ الأملاكُ عنه هيبةً وترى بلا هربٍ ولا إقْدَامِ
وتودُّ ترشفُ نعلهُ وبساطهُ فتظلُّ واقفةً على الاقْدَامِ

---

(١) جمع خريدة وهى الفتاة الناعمة البدن .

ملكٌ يجدِّلُ مَنْ يشاء بسيفِه الماضى وينبُو عنه كل حُسَامِ
لو يكتفِى بالذِّهْنِ فى رَهَجِ الوَغَى
لكفاهُ مِنْ قتل عَنِ الصَّمصَامِ (١)
ربُّ السماحةِ والفصاحةِ والحجا والخيرِ والأسنَى أبو الأيتَامِ
لولاهُ ما علم امرؤٌ كيفَ الجدَى
والطعن فى الأحشَا وضرب الهَامِ
إنْ حلَّ حلَّ النهبُ فى أمواله أو سارَ حلَّ القتلُ فى الأجْسَامِ
إن جئتَه تعرُو فلا تظهرْ لهُ يُعْطيك مبتدئًا بغير كلامِ
إنْ قلتَ كالبحرِ المحيطِ ظلمته فى جُودِه، أو قلتَ وَبل غمَامِ
حَاشَا ابن سيفٍ أن يضاهى بالورَى
أو أنْ يشاكلَه كريمُ كرامِ
هو أولٌ هو آخرٌ فى فضله هو سابغ الآلاء والإنعَامِ
هو كعبةُ الأربابِ طرًّا مالهُ مِنْ مُشْبه فى أعصرِ الأعْوَامِ
يا محيىَ الكرم الكثير بمالهِ بَلْ مُهلك الأعداء والإعدامِ
يا من تفرَّد بالشجاعةِ واللُّهى يا مَنْ أمات عبادة الأصنامِ
يا من إذا اشتدَّ الوغَى وطغى الرَّدَى
يلقى الجيوشَ بواضحٍ بسَّامِ
إنِّى دعوتك فاستجبْ لِى دعوتى يا غايةَ الإجْلال والإعْظامِ

---

(١) الصمصام : السيف القاطع .

أمطرْ علىَّ سحائباً مِن فضةٍ من أنمل مثلَ البحارِ هَوَامِي[1]
أقسمت لم تردد فقـــيرا خائبا وترد فى الهيجاء كلَّ لُهَامِ[2]
وغدوتَ تصغى للوفودِ مَسامِعاً وتصمها عن طاعة اللُّـــوَّامِ
من مَعْشَرٍ سادُوا البريَّة كلَّهم أنتَ الهُمَامِ وكَهْفُ كلِّ همامِ
أقصرْ لقدْ جاوزتَ حدَّ المنتهَى فى الجودِ والبأساء والإكرَامِ
إنى نثرتُ عليكَ دُر قلائدٍ تزرى بكلِّ لآلىء ونظامِ
خُذْها مبرأةً من التدليس والألحـــانِ فهْى أنتْ لخير إمامِ
وحكتْ قريضَ البحترى سلاسةً وابن الحسين[3] الفذَّ فى الإحكامِ
كِلا معانيها وجـــودة لفظِها من شِعر ذِى المعنى أبى تمّامِ
فليهْنِ هذا الدهرُ أنك خالدٌ يا كعبةَ الأمراء والحكامِ
نعليكَ طولَ الدهر رحمة ربِّنا وعليكَ ألفُ تحيةٍ وسَلامِ

* * *

(١) همى السحاب : أمطر مطرا متواليا ، فهو هام ، والجمع هوام .
(٢) اللهام : الجيش الكبير .
(٣) ابن الحسين ، هو أبو الطيب المتنبى .

القصيدة الثانية والثمانون والمائة

وقال أيضا : [من الطويل]

عليكم وإن طالَ البعادُ سلامُ وحالت مُهوبٌ بيننا وأكامُ
وألفُ ثناء بعد ألفِ تحيةٍ وطِرسٌ له المسكُ الذكيّ خِتامُ
وحمداً وشكراً لا يزالُ مؤيداً يدومُ ولا يفنى بذاكَ دَوَامُ
وصفوَ ودادٍ من لدنا يَسركم وتذكارَ أفراحٍ حَواهُ فطَامُ
تضمنَ أسطاراً تلوحُ كأنها بدورُ دُجى ليلٍ بهن تمامُ
وطِرسٌ يفوقُ الشمسُ نوراً وبهجةً
تضمنـــه إلٌّ لنـا وذِمامُ(١)
نخص به الزاكينَ أهلَ نفوسةٍ فما شذَّ شيخٌ منهمُ وغلامُ
عليكم جميعاً حَمْدُنا وسلامنا لأنتم لدينا محسنونَ كِرَامُ
وأنتم خُلقتم فى الورَى خير أمةٍ من العُرْبِ لا مصرٌ هناك وشَامُ
سمعنا وجاءتنا الأحاديثُ أنكم نَصَبتم إماماً وهو ذاكَ إمامُ
ألا فانصرُوه واتقوا الله واسمعُوا له وأطيعوا فالنعيمُ إمامُ
وكونُوا جميعاً كلكم لاتفرقوا فتبدُو ملاماتٌ لكم وخِصامُ
فنصرُ إمام المسلمين فريضةٌ وعصيانهُ وهو المطيعُ حَرامُ
ولو أننا بالقرب لم نأل جهدنا ولكن تنائى منزل ومقام

---

(١) الإل : العهد .

ولما سمعنا أنكم قد نصبتمُ إماماً سُرِرْنا والسرور لِزامُ
هنيئاً لكم يا آل جربةَ إنكم لدينِ إله العالمين قِوَامُ
وإن لكم فى الحرب بأساً وقوةً وشدةُ بطشٍ فيكمُ وغرامُ
عنادُكمُ للظالمين ومَنْ به ضَغائنُ حِقْد ذابلٍ وَحُسامُ
وكونوا مِن اللهِ العزيز يكنْ لكمْ
ولا تعدلوا فالسيئاتُ عِظَامُ
بنى مصعب أنتم أولوا العلمِ والهدَى
وأجدادُكم فى السالفين كرامُ
وهزّوا على الأعداء سيفاً وذابلا[1]
ولا يمقطيكم رُذَّلٌ ولئامُ
ولا تجبنوا إن الغنيمَ أمامُكم ولو لم يعشْ شيخٌ لكم وغلامُ
فأنتمْ لمن والى حياةٌ وسلوة وأنتمْ لمن عادى شجاً وحِمَامُ
وأنتمْ على الحق المبين رضدكم على باطلٍ قد قوّمتهُ طغامُ
فإنّ إلهَ العرش عند أولى التقى وعند الذى لا يعتريه سَآمُ
وليس عليكمْ مِن عُمَيْرٍ وعامرٍ إذا ما عدلتم فى البريّةِ نامُوا
وأعطُوا اليتامَى والمساكينَ حقَّهم فإن فقيرَ الله ليس يُضَامُ
ولا تحزنوا يوماً على ما يفُوتكم ولا تفرحوا بالآتِ فهو حُطَامُ

* * *

(١) الذابل : الرمح .

القصيدة الثالثة والثمانون والمائة

وقال الشاعر : [من الوافر]

إذا بَلغَ الفتى سبعينَ عاماً ... فما تَسْجِيهِ زينبٌ أو تُمَامَهْ

ألا فاخلعْ ثيابَ اللهو والبسْ ... ثيابَ الخوفِ من يوم القيامهْ

أتيقُك إن تبلغنى مُرادِى ... فما زالتْ نجومُك فى استقامَهْ

وتفتى فى أمورٍ معضلاتٍ ... ولا تعروهُ فى الشُّورَى سَآمَهْ

حكيمُ الرأيِ ليسَ له نظيرٌ ... ولا أحدٌ ينازعُه مُدامَهْ

وصالُ نزاهةٍ وتقى وبرٍّ ... وصدقٌ ليس تَعْقُبُه نَدَامَهْ

فنى آرائِه كأبى سعيد(١) ... وفى أنسَابِه كأبى دُلَامَهْ

* * *

(١) أبو سعيد : الحسن البصرى . أبو دلامة : شاعر عباسى مشهور .

القصيدة الرابعة والثمانون والمائة

وقال يعزى : [من الخفيف]

إنَّ فَقْدَ الأهلينَ كان عظيما ومصابَ الأحبابِ صارَ جسيما
يرحمُ اللهَ من تعزى وعزَّى مؤمناً كى يزيح عنهُ الهمُوماَ
واتركنَّ الوسواسَ فهو من الشيطان مهماَ عصيتَه ان يدوماَ
زحزح الحزنَ والهمومَ عن القلبِ تعيشُ العيشَ الهنىّ السليما
لاتفكرْ ولا تذكر طباعاً سلفتْ من مصاحبٍ لن يقيما
وتمسكْ بحبلِ ربك واذكرْ يومَ لاينفعُ الحميمُ حميماَ
فعزاء فيما تقضّى وصبْراً تَلْقَ بعد العزاء فوزاً عظيما
أنت أولَى بالحلمِ من أن تعزى بافتقادٍ لأنتَ صرتَ العَليماَ
من يعزى الأنامَ كيف يعزَّى وهْو قد صار فى الأمورِ حَكيماَ
فالقضاَ سابقٌ من الله حَتماً فاشكرِ الله قاعداً ومقيماَ
وعليكَ السلامُ من والد وآ لَكَ لم ينسَ منكَ عهداً قديماَ

* * *

القصيدة الخامسة والثمانون والمائة

وقال فى وفاة الوالى الولى راشد بن خلف : [من الوافر]

توفى راشدُ والِى الإمامِ فتى خلف الفقيد ابن الكرامِ
مضتْ سبعونَ عاماً بعد ألفٍ وحولٌ بعدها يا ابن الهُمَامِ

* * *

قافيـــة النون

القصيدة السادسة والثمانون والمائة

وقال : [من بحر الكامل]

ما حاجتى فى ذمِّ أهل زمانى ... وبهم مصالح ناقتى وأمانى

إن عبتُ منهم واحداً وذممتُه ... لم أخلُ من عيبٍ ولا نقصانِ

وليدخلُن بغيضهم وحبيبهم ... ذمّى ومن أهْوى ومن يَهْوانى

فعلامَ أذكرُ عيبَ غيرى واغلاً ... فى ذكرِه وأنا الخبيرُ بشانى

إنى لذُو عيبٍ ولكُ خالصاً ... أأذمُّ غيرى والقذَى يَغْشانى

لو يفظرُ المزرى[1] مثالبَ نفسِه ... ما عابَ فى دُنياه مِنْ إنسانِ

فإن ادَّعيتَ بأنهم ذكروك أو ... هابوكَ بالسوآى فأنتَ الجانى

إنْ شئتَ تحمدُ فى زمانِك فارتدعْ ... عَنْ كل عيبٍ شانَ فى الإنسانِ

واذكر عيوبَك قبل عيب سواك إمَّا ... إن كنتَ ذَا دِينٍ وذَا إيمانِ

وَكِلِ العبادَ ولا تعبْ أخلاقهم ... وارعَ الذمامَ لهم إلى الرحمٰن

أفأنتَ ناجٍ أن تعيبَ طباعهم ... مما تجرحهم بحدِّ لسانِ

إن عبتَهم كثرتْ عيوبُك بينهم ... ورموك بالبغضاء والشنآنِ

عش سالماً من ذكرهم وعيوبهم ... تَسْلم من التوبيخِ والهجرانِ

واشكرْ لمن أمضَى إليك بجوده ... فالشكرُ مرقاةٌ إلى الإحسانِ

---

(١) المزرى : العائب .

واعلمْ يقيناً أن تركَ الشكر عند أولى النهى يفضى إلى الخُسْرانِ
لا تجحد النعماء مِنْ أهل الندى إن الجحودَ لغايةُ الحرمانِ
واحمد من استرعاكَ حقَّ ودادِه فرضٌ عليك محبةُ الإخوانِ
إن شئتَ ألا يذكرُوك بغيبة فاذكرْ محاسنهم بكلِّ مكانِ
واكفُفْ لسانك لا تعبْ أخلاقهم
فالحرُّ يحفظُ غيبةَ الجيرانِ
خذْ ما بدَا من أهلِ دهرك واقتصرْ
عَنْ باطنِ الاسرارِ بالإعلانِ
إن أنتَ فتشتَ الخلائقَ سرَّهم عيبَ المعيبِ تعِشْ بِلَا خِلَّانِ
فاسلكْ سبيلَ المتقينَ فبالتقى ينجيكَ ربكَ من هوًى وهَوَانِ
إنى لأستحيي من الرحمنِ أنْ أبْدى المثالبَ والعيوبُ ترانى
وإذا هممتُ بذمِّ أهلِ زمانى فكرتُ فى عيبى وفى نقصانِ
فإذا ذممتهمُ غدوتُ شريكَهم حقًّا لأنا كلنا سيّانِ
الناسُ كلُّهمُ فكيفَ أذمُّهم يحنُو علىّ وكلّهم إخوانُ
خرست لسانى إن نطقتُ بذمِّهم
وبلعربُ فيهم فتى سلطانِ
جادَ الزمانُ به عليها فاغتدت تَنهلُّ فى الجدْوى له كَفّانِ
هُو نَسْلُ سلطان الإمامِ المرتضى ربُّ البراعةِ طاهرُ الأذْهانِ

---

(١) الجدوى . السخاء .

يُعطى بلا منٍّ ولا مَطْلٍ ولا ... كمَدَرِ بوجه واضح حسَّانِ

يا منْ تَسُلُّ مواهباً كَفّاه فى ... هذا الورَى جوداً بكلِّ أوان

وأحلّنا فى دار عــزٍّ دائمٍ ... وانتاشنا[1] مِنْ نازلِ الحدثان

وأقامنا فى عــزةٍ ومسرةٍ ... وأجارنا من شدةِ الأزمانِ

لا جاره معه يضامُ ولا يرَى ... يوماً بذى كمدٍ ولا أحزَانِ

إن الثناء عن المودة مخبرٌ ... مثل الطروس تبينُ بالعُنْوَانِ

لا طامعٌ وإن طمعت فإنما ... طَمَعِى يؤولُ إلى جَدَى هتَّانِ

وإلى خضمٍّ زاخرٍ متلاطم ... يغنى العباد بخالص العِقْيَانِ[2]

يا من أبوه موهن الأعداء فى ... الغاراتِ وهو مُوهِّن الأقرانِ

يا من أبوهُ مذلّل الشجعان فى ... الوقعات وهو مفرِّق الفُرْسانِ

يا من أبوه مكرّم ومجلّلٌ ... فى القَدْرِ وهو معظمٌ فى الشانِ

يا من غَدا ريبُ الزمانِ وصرفه ... لم يقض شيئاً كالأسير العانى

أصبحتُ فى نعماكَ أرفلُ ساحباً ... ذيلَ المسرةِ فى غنًى وأمانِ

وحفظتنى من كلِّ خطبٍ بادحٍ ... تفضى إلىّ بطرفك اليقظانِ

وخصصتنى بمــودةٍ وكرامةٍ ... حتى سلوتُ بها عن الأوْطَانِ

حمداً وشكراً يا سليلَ إمامنا ... من جودِ كفّك أو قت أغْصانى

* * *

(١) انتاشه من مصيبة : انتشله منها وأنقذه .

(٢) العقيان : الذهب الخالص .

القصيدة السابعة والثمانون والمائة

وقال الشاعر : [من بحر البسيط]

دَمْعى جرى يومَ بان الحىُّ من إضمِ يا سيدى، قل لهم إنى أخو حَزَنِ
يا حرقتى ، تعبتْ نفسى بحسْرتها سرّى بدا ، لا أرى لى لذة الوسَنِ
بعد السُّرى ، قد قرعت السنّ من ندمِ
من منجدى ، إن سرّ الوجد فى علنِ ؟
واحسرتى ، إذْ رنت ليلى بنظرتها
قلبى غَدا ، لم أزل يا صاح فى محَنِ
داء سرَى، فعضضتُ الكفّ من ندمِ
مَنْ مرشدى، ضلّ عقلى فى ذرى الدِّمَنِ ؟
وَاحسرتى حرمتنى طيبَ زورتها
طولَ المدى ، ما مُقامى بعدُ فى وَطَنِ
عزّ الكرى ، حبلُ وجدى غيرُ منصرمِ
من مسعدى غاضَ صبرى وانزوى غُصنِي
ما سلوتى ، كبدى ذابت بهجرتها
زادَ الصدى ، كفّ عنى اللوم فى زمنِي
دونَ الورى ، أبداً أمسى أخَا ألمِ
يا مُهتدى ، إننّى فى الضعفِ والوهن

* * *

القصيدة الثامنة والثمانون والمائة

وقال فى الحكمة اللقمانية : [من الطويل]

ثلاثٌ إذا ما المرءُ فى الدهر حازها
يعشْ فى ذرَى العلياء والعزّ والأمنِ
عفافٌ وتقوى اللهِ فى كلِّ حالةٍ وبذلُ جزيل لا يكدَّر بالمنِّ

• • •

القصيدة التاسعة والتسعون والمائة

وقال يرثي محمد بن عبد الله بن عمران : [من السكامل]

بحرُ الفصاحةِ غاضَ يا إخوانى وأخو الإبانة لفَّ فى الأكفانِ
جبلٌ من الأجبال أضْحَى ساقطاً متهـــدمَ الأرجاء والأركانِ
كلا هو البحرُ الغزيرُ عَفَت له فصحاء هذا الدهرِ بالإذْعَانِ
لا زالَ مفتاحاً لـكلِّ غريبة تُتْلى من الآثارِ والقرآن
ولقد شغلتَ عيونَنا وقلوبنا مُذْ هِمتَ بالهَمَلانِ والخفقَانِ
وعمرتَ أفئـــدةَ الرجال وأهلها بالهم والأوصاب والأحزانِ
ولقد نزلتَ بمنزلٍ فرداً به مع جيرة متقاربى الأوطان
لو يعلمون بأن شخصك عندهم فرحوا بما تحويه من تِبْيانِ
عجباً لقبر يحتويك بلحدِه وبضيقهِ وبصدرِكَ البحرانِ
أبكى فراقُك كلَّ حبرِ عالمٍ من جملةِ الزهّادِ والرُّهْبانِ
من حيثُ إنَّك للفصاحةِ مَعْدِنٌ وملخِّص لغرائبِ الفـــرقان
وغدَا محيّا العلمِ أعمى بعد ما قد كانَ تحت جبينه عينانِ
وصميمُ علمِ النحو أصبحَ ذاوياً بعد اخضرارِ العودِ والأغْصانِ
يا نازلاً بعد التنعمِ والغنى فى برزَخٍ ما عنده من ثانِ
من قبل كنت منعماً بلذاذةٍ مع رتبة الأصحابِ والخلانِ
هل بعدك الدنيا تطيب لهمْ وهم كالرأسِ أحياء بغيرِ لسانِ

لو يقبلُ الموت الفداء فدوْك بالأموالِ والأولادِ والولْدَانِ
يا غائبَ الجثمانِ ذكرك حاضرٌ من سابقٍ فى أعصرِ الأزْمانِ
هلْ من فصيح فى الورى كمحمدٍ نسلِ الصفىّ ابن الفتى عمرانِ
هجمت عليه الحادثات بكلكل فطواه صرفُ حوادثِ الملوانِ
إنّ المنيَّةَ لا تردّ إذا أتتْ مأمورةً مِنْ ربنا المنّانِ
إخواننا لا تحزنوا واستمسكوا وتوثّقُوا بعُرى عظيمِ الشانِ
صبراً فإن اللهَ جلّ جلالهُ قد قالَ : أجمعُ من عليها فانِ
حقًّا ويبقَى وجه ربك ذُو العلى والطولِ والآلاء والإحسانِ
إنا خلقنا للتصـــبرِ والأسَى والنوحُ والأحزانُ للنِّسْوَانِ
أعداءنا لا تشمتوا بمصابنـا فالموت مورد جملةِ القُطّانِ
إنا لغلهــو والمنايا شُرّعٌ لابدّ تأتينا على الغَفَلَانِ
إن كنتَ ذا عقلٍ فلا تنسَ المُنَى واذكرْ فراقَ الأهلِ والسكّانِ
واتركْ هواكَ فإن عمركَ منقضٍ وترقبنّ لحادثِ الحـدَثانِ
من قبلِ أن يُلقوكَ فى بيتِ البلى فى برزخِ الأهوالِ والديدانِ
ماذا تقولُ إذا حللتَ بِبَلْقَعٍ فرداً به إما أتى المَلَكانِ
وهما النكيرُ ومنكرٌ حتى إذا ما أقعـداك وأقبلا يَسْلَانِ
إن كنتَ من أهل السعادة بُشْرَا

ك برحمـــةٍ وبسرةٍ وجنـانِ
وبراحةٍ ولذاذةٍ وحـلاوةٍ وبرأفة من ربنـا وأمانِ

أو كنتَ من أهلِ الشقاوة بشراك بغصـــة ومذلةٍ وهَوانِ
وبِكُرْبةٍ وبحسرةٍ وندامةٍ وإقامةٍ فى جَاحِمِ النِّيرانِ
ثم الصلاةُ على النبىِّ محمـــدٍ خيرِ الورَى المبعوثِ مِنْ عَدْنَانِ
صلّى عليه ما وسقَ الدُّجَى أو لاحَ فى خضرائها القَمَرَانِ

* * *

القصيدة التسعون والمائة

وقال يذكر فقد إخوانه : [من البسيط]

لِمَ التصبرُ لا خِلٌّ ولا شجن ولا صديقٌ ولا أهلٌ ولا وَطَنُ
ولا خليلٌ ولا خدنٌ ولا سكنٌ ولا أمينٌ على الحاجاتِ مؤتمَنُ
فى هذه الدار إلا الكرب والحزن
لمَ الحيـــاةُ ومنها حل بى مللُ
واستوحشت دارنا والسهلُ والجبَلُ
حتى خشيتُ يضيع القولُ والعملُ فما مُقامِى بدارٍ أهلها رَحَلُوا
وحلّ فى ذراها الضعف والوهنُ
هلْ من سرورٍ ومن راحٍ ومن فرحٍ
للقلب غيرِ الأسى والحزنِ والترح
والسرُّ من قبلهم حقًّا فلم يبحِ
مُذْ بانَ أهلُ التقى والفضل من مفحِ
لم يحلُو لى بعدهم عيش ولا سكنُ
فضائلٌ منهم لم أحصِها عددَا لو عدّ إحصاؤها بالرمْل ما نفدَا
لم ألق مثلَهم فى دهرنا أحداً مُذْ ودعوا قالَ قلبى لمْ أقم أبداً
فى جنةٍ حلها الأحـــزانُ والمحنُ
مِن النوى أذنى قد صَمّ مسمعُهَا وحرقة لم أُطِقْ بالله أدفعُهَا

كُربةٌ ما قدرت اليوم أدفعُها ومقلةٌ أقسمتُ لم يرقَ مَدْمَعُها
مِن الشُّؤونِ إلى أنْ ترْجِعَ السفنُ

ساروا وخلّوا أصيحاباً وما عطفُوا على الذى شفه اللأواء والأسَفُ
طوبَى لهم وعدوا حقًّا لما عرفوا يا أيها الظاعنونَ الراحلون قِفُوا
لمغـــرم بعدكم قد غاله الزمنُ

فالدمعُ من كل عينٍ للفراقِ همَى ينهل خلف المطايا يشبه الدِّيَما
كأنما الخدُّ أرضٌ والعيونُ سَمَا لو لم يكونوا شِفاءً للقلوب لَمَا
قد حلّها بعدهم داءٌ ولا دَخَنُ

بانَ العزا والأسى والصبرُ مُذْ عَزَمُوا
على الرحيلِ وبانَ الأمْنُ والكَرَمُ
وبانَ عنّي لذيذُ العيش والنعمُ لولا فراقهمُ ما حلّ بى سقمُ
ولا شَجَتْ مُهْجَتِي الأطلالُ والدمنُ

مَنْ فى الورى مثلُ عبد الله سيدنا سلالةُ الطاهر الزاكى محمدِنا
قد طابَ من طيبِ هذا أصلُ محتِدِنا
فهو الولى المفدَّى نُور مَسجدِنا
وهو الرضى الزكى العالِم الفطنُ

يسخُو بما عندهُ بل لا يضنُّ بهِ لم تلقه فى المزايا غير منقبهِ
سادَ الورَى بالحجى طفلا بمكتبهِ وكلُّ أمرٍ يراهُ غيرَ مُشْقبهِ
وليسَ يجرى على ألفاظهِ اللحنُ

ثمَّ الصلاةُ على المختارِ من مُضرِ شفيعِنا يومَ لا يَنجُو إلى وَزَرِ
محمدِ المصطفى قد جاء فى الخبرِ خيرِ البريةِ مولى البَدْوِ والحضَرِ
نبينـا لم تُكَدِّرْ فضلَه المننُ

* * *

القصيدة الواحدة والتسعون والمائة

وقال الشاعر يمدح الإمام بلعرب بن سلطان : [من الكامل]

أأخافُ من ريبِ الزمان وصرفهِ ومُناصرى سيفٌ فتى سلطانِ
ملكٌ تخرُّ له الجحافلُ سُجَّدا وملوكُ أهل الأرض للأذقانِ
قد عمَّ آفاقَ البلادِ بعدلهِ شرقاً وغرباً ماله مِنْ ثانى
أيصيبُنِى ظَمأٌ وسيبُ نوالهِ متتابعٌ كالوابلِ الهتّانِ
لو كانَ فى شِدْقِ الأسودِ طلابُهُ ظفرت يداه به بغيرِ تَوانِ
حاشاهُ أن يدعَ الزمان يمسُّنى بأمَّى ويسلمُنى إلى الحِدْثانِ
وهو الخضم الزاخرُ الفطن الفتى الجبل الأشم الأبعدُ المقدانى
الواهبُ البطلُ الشجاع الماجد العَلَمُ الرضى كَهْفُ الأسيرِ العانى
لم أنسَ فضلَ أبيه مُذْ أنا يافعٌ يُسْدى علىَّ مواهب الإحْسانِ

* * *

القصيدة الثانية والتسعون والمائة

وقال يمدح الإمام أبا العرب بن سلطان : [من البسيط]

إنّى بفضلِ من اللهِ ذو دعةٍ وذو يسارينْ لا الإقتارُ يعرُونى
يأبى الإمامُ ابنُ سلطانَ الإمامُ بأنْ
تفضى إلىّ خُطوبِ الدهر بالهُونِ
فإننى واثقٌ باللهِ ثمّ بهِ إذا تمرّض خالِى فهُو يشْفينى
وكيف يمرضُ خالى وهو لى وَزَرٌ متى أزُرْهُ فلم يبخلْ بمكنونِ
وحائرٌ خلتهُ فى العىّ منهمكاً يعومُ فى بحرِ تيهٍ غيرِ مأمونِ
يكادُ يغرقُ لكن شامَ نارَ هدًى
فقامَ علّ بها قوماً ليهْدُونى
لما أتاها رآنى قاعداً فدنا منّى قريباً وألقَى رَحْلَهُ دُونى
فقال ما ذا ترى فى أمر ذى وَلَهٍ أقْوَى وأقفرَ مِن مال ومأعُونِ
لما تبيّنتُ شكواهُ فقلتُ لهُ
أما ترى الخلق ينحُو أرضَ يَبْرِينِ
لا تقعدن امرأً مِن كل ناحيةٍ بها من الشامِ أوْ مصرٍ أو الصينِ
يَمّمْ ذُراها تر البحر الخضمّ بها
فاغْرف بكفكَ واشربْ غيرَ مَسْنُونِ

وبُثَّ شكواكَ مَعْ من لا شبيهَ له مترجمَنَّ بأجرٍ غير ممنونِ
ما أمَّ ساحتَه مُقوٍ ألمَّ به إلّا وفاءَ برزقٍ منه مضمونِ
ولو تجمَّع حزنُ الخلقِ فى خَلَدِى فإن مرأى فتى سلطان يُسَلِّينِي
هَيْهاتَ أن تحفظَ الأيامُ من قدرى وناصرى يعربىٌّ مَدْحُه دِينِي
ما اعتلَّ لى خاطرٌ إلا وقابلنى بطائرٍ مِن نَدى كفيه مَيْمُونِ
لايطمعنَّ زمانٌ أن يضعضعَ لى
رُكْنا ولا بسهامِ البؤسِ يَرْمِينِي
فإنْ قويتُ فبالإحسان يغرقُنى وإن بعدتُ فمعرفٌ منه يأتينِي
لا زلتُ أكسوهُ مِن مدحى بُرودَ ثَنًا
ولم يزلْ ببرودِ العُرْفِ يَكْسُونِي
لايدخلُ الفقرُ لى بيتاً فيخرجُنى إلى سواه فجودٌ منه يغنينِي
وكيفَ أطمعُ فى جدوى سِواه وقد
أنالنى فوقَ ما أرجُو ويَكْفِينِي
يغارُ من أن يمس الفقرُ شاعرَه
أو أن يناديَه شخصٌ باسم مِسْكِين
لا يعترى البؤسُ والإقلالُ شاعرَه
غــدا غياثَ الموالِى والسلاطينِ
عَفَتْ إليه ملوكُ الأرضِ قاطبةً طوعاً له كلُّها تدعو بآمينِ
فهكذَا مَنْ أطاعَ اللهَ خالقَه أطاعَه كلُّ ذى روحٍ بتكوينِ

ذو العدل فى الخلقِ لا تعدل به أحداً تراه يصلح الدنيا والدّينِ
لا ينبغى أن يسمّى باسمِه أحدٌ لأنه ذهبٌ والناسُ مِنْ طِينِ
يا من تسمّى بأسماء الملوكِ فكن كمثلِهم هذه سُوحُ الميادينِ
هيِّئ حروفَ اسمِك اللائى دُعِيتَ بها
وائت السباق وإلّا فِرّ مِنْ دُونى
هذا أبو العربِ المشهورُ مَنْصِبُهُ كمثل ما اشتهرتْ آياتُ (ياسين)
فى البر والبحر هَلْ تلقى له مثلا فى عَدْله من ملوكٍ أو سلاطينِ
لا عيبَ فيه سوى أنّى بصرتُ به إذا تجلّى رُجُوماً للشياطينِ
عِشْ يا ابنَ سلطان سيف نجل مالكه
ما عَمّر الدهرُ فى عزٍّ وتمكينِ

* * *

القصيدة الثالثة والتسعون والمائة

وقال يمدح الإمام أبا العرب بن سلطان : [من الكامل]

أنتَ الحبيبُ المرتضى ولكَ الهنا ... وأنا المحبُّ المبتلى ولى العنا

أنتَ الغنيُّ ولَنْ ترَى مُتواضِعاً ... وأنا الفقيرُ وليسَ لِى عنكم غِنَى

لك دونَ خلقِ اللهِ حظٌّ وافرٌ ... منى ولى منك الكآبةُ والضَّنَا

يا ساكنى وادِى الأَرَاكِ أراكمُ ... لا ترقُبون عقوبةً من ربِّنَا

غادرتُمُ مضنَى الفؤادِ متيَّماً ... بتهامةٍ وسكنتمُ وادى مِنَى

لما التقينا بعد حولٍ كاملٍ ... لم تسمحنَّ بكيفَ حالُك بَعدنَا

ما ذا جَنَيْتُ لأستحق جَفاءكُمْ ... مَنْ دا من الواشين غيَّرَ عهدَنَا

إن كان قارفَ عبدُكم من زلةٍ ... هو تائبٌ إن كان ذنباً قد جَنَى

رِقُّوا لمن أضحى وأمْسَى حالُه ... مِنْ حبكم بعدَ النَّوى مُتَلَوِّنَا

إن كنتمُ لا تسمحونَ حقيقةً ... بزيارةٍ قُولُوا عسَى ولَعلَّنَا

فعساهُ يحيا منكمُ بتعـــلةٍ ... ويكونُ ما قاسيتُ منكم هيِّنَا

لولا خيالُكمُ وذكرُ ملاعبٍ ... بالمُنْحَنَى والرقمتين لما اهْتَنَى

إن الهوَى حُلْوُ المذاقةِ أولا ... فإذا تحكم خِلْتَه مُرَّ الجَنَى

كادَت عقولٌ تضْمَحِلُّ وأنفسٌ ... لولا رياحُ ربوعكم مرَّت بنا

ها فانظرُوا يوماً علقت بحبكم ... حالى من الأشواق كيف تكونَا

مرَّ الغرامُ على الخلائق كلِّهم ... فعداهمُ لما رآنى أمْعَنَا

فأقامَ واتخذَ الضمائر مَسْكَنَا ما حُجتى لما ادّعاهَا مَسْكَنَا
إن رمت أجحدُ ما ادّعاه مخالفًا شهدتْ عدولُ الدمع سرك عندنا
سببُ العلاقةِ نظرةٌ بجمالهم فتمكنتْ لما أدرْت الأعينَا
كيفَ السبيلُ إلى الخلاصِ فإننى
عرضتُ نفسى للهـــوانِ تيقنَا
فغدوتُ ذا وَلَهٍ بذاكَ وحيرةٍ وأنا الذى قد كنتُ قبل أنَا أنَا
فإلى متى أفنى زمانى بالمُنَى وأقيمُ ما بين الورَى مُتَمَسْكِنَا
لِمَ كفَّ عنى كلُّ خطبِ حادثٍ
وأذلَّ ضـــدى بالقواضبِ والقَنَا
وأضافنى عنه وسدَّ خصاصتى وأحلنى دارَ الكرامة والسَّنَا
لا أشرئبُّ إلى وسائلِ غيره إذ كنتُ معه فى السعادةِ والغِنَى
ذاك الجوادَ المرتضى الملك الذى مَا زُرْته إلا أجَاد وأحسنَا
نزّهت شِعرى عن مدائح غيره ما أمَّ يوماً خالداً أو مُحْسِنَا
أنَا مُذْ نشأت بربعهِ وجوارِه أجنى من اللذاتِ نعم المُجْتَنَى
هو ذَابلى[1] ومهنّدى يومَ الوغى وذخيرتى فى الدهر إن أمرٌ عَنَا
وبنفسِىَ السمح الذى إحسانُه يعتادُ ربعى إن نأى أوْ إن دَنَا
الواسعُ الصدرِ الرحيب الواهب
الفطنُ الكمىُّ أخُو العُلَى رحبُ الفِنَا

---

(١) الذابل : الرمح . المهند : السيف . الوغى : الحرب .

جمُّ المواهبِ عمَّ سيبُ نواله
كلَّ الورى من مسرع أو مَنْ وَنَى

يا خيرَ ماشٍ فى التراب وراكبٍ
صهوات كل مطهَّمٍ عالى البِنَا

يا ماجداً ما شادَ مجداً مِثْلُه
من سيّد أو ماجدٍ فى ذَا الدُّنَى

أمسى الذى كفَرَ النبىَّ محمداً
بنوالِ سيبِ يديك عبداً مؤمنَا

فالفضلُ يشهد لى بأنك واحدٌ
فيما وأنك أنت نعمَ المقتنَى

كلَّت قريحتىَ التى كالبحرِ أنْ
تحصى ثناءك لو أقتُ الأَزْمَنَا

يا واحداً فى جودِه أنا واحدٌ
فى شعرِه سامحْ وخذ ما أمكنَا

جاءتك من ربِّ الفصاحةِ مدحةٌ
تُزْرِى على غُرَرِ المدائحِ والثنَا

كالجوهرِ الشفاف تنثر لؤلؤًا
فالقطْهُ ممن سرَّهُ ما أعْلنَا

هى متعة للناظرين وبهجةٌ
لكنها فيها المنيـــة والمُنَى

فهى المُنى لمن ارتدى بردائكم
وهى المنيةُ للعِدى أهلِ الخنَا

خُذْها فإنك كُفْؤُها من شاعرٍ
أضحتْ قريحتُه بمدحِك مَعْدِنَا

لو أن أحمد[1] خالَها لأضافَها
فى شعره وَصَفَى لها واستَحْسَنَا

أوْ أنْشِدَتْ معه لفَضَّلها على
«المُتنبِّى» ما منع الكلام الألْسُنَا

* * *

(١) أحمد : المتنبى ، شاعر العربية الأكبر .

القصيدة الرابعة والتسعون والمائة

وقال الشاعر : [من الكامل]

لا تبخلن وأعطِ كلًّا حقَّه ... وتواضعنْ وجالسِ المُسْكِينَا

إياكَ والسرَّ الذى أوزعتَه ... لوْ ناقشوك بدونه مَذْمُونَا

فإذا أردتَ دوامَ شىء هكذا ... وإذا أردتم ضدّه فاعصُونَا

لا يستوى حلٌّ وعقدٌ بينكم ... هذا يحلُّ وذاك يعقدُ حينَا

إن الخلاف مشتتٌ ومفرقٌ ... ما بين آباء لهم وبنينَا

طوبى لهم خلصوا وداداً بينهم ... وجلبنَ رحمةَ ربهم يَرْجُونَا

وأولئك القومُ الذينَ جزاؤهم ... جناتُ عدن خالدين يقينَا

إنا لنرجو فَوْزَنا بدعائهم ... فالله يرحمُنا بِهم ويقينَا

* * *

القصيدة الخامسة والتسعون والمائة

وقال رحمه الله فى الغزل : [من الكامل]

مَرّت كخوطِ الخيزرانةِ غادةٌ تَسْبى العقولَ وتخطف الأذْهانَا
لو تطلبُ المالَ النفيس تواصلًا مِنْ عند كلِّ العالمين لهَانَا
شمسيةٌ قمريةٌ رشئيةٌ تذكارُها عن دينِنَا أنْهَانَا
لما رأتنى واقفا بطريقها فتنفرتْ بَلْ أنكرتْ ما كانَا
يا هذه ما أطيبَ الدنيا لو أنّ هواكَ فى كلِّ الأمور هوانَا
أوليتَ أفئدة الرجالِ بُعَيْدَ ما فارقْتِ جيرتهم هَوًى وهَوانَا

* * *

القصيدة السادسة والتسعون والمائة

وقال أيضاً جوابا على قافية النون : [من الكامل]

وردَ الكتابُ وسرنى إتيانُه فشفيت لما لاحَ لى عُنوانُه
أيقنتُ أنّك ساعدِى ومساعدى يا ابنَ الذى قد عمّنى إحسانُه
أعنى به الوالِى المجد أحمدَ العاتى علَى من دِينُه عصيانُه
نفسى الفداء لمن نأى عنّى ومن بعد البُعَاد يسرنى لقيانُه
ومن ارتضاهُ إمامُنا بولايةٍ أبداً فلا يشقى به إخوانُه
لا جارُهُ يلقى المهانةَ دهرَه أكرم بمن فى عزّةٍ جيرانُه
لا عيبَ فيه تُلفِى إلا أنّه مثلُ السحائبِ فى السخاء بَنَانُه
خُلُقٌ له كالشهد بلْ أحلى من الماء النميرِ وسرُّه إعلانُه
فحضورُه كمغيبه لأولى التقَى وفؤادُه يُنبيك عنه لسانُه
عدلٌ أبىٌّ لا يميلُ إلى الرّشَا أبصرْ بمن أفعالُه عنوانُه
يا منْ له ذكرٌ جميلٌ فى الورى شرفاً وعُظّمَ فى الخلائق شانُه

* * *

القصيدة السابعة والتسعون والمائة

وقال الشاعر : [من الطويل]

يقولونَ لى ما بالُ لونِك شاحباً ... فقلتُ لهم إن الحبيبَ سَلانى

تسليتُ عن حىٍّ بدا لى بعادهم ... وفارقتُهم بالكُره مُنذ زَمانِ

ولكنّه لما أتانى كتابُهم ... وجدّد لى تذكارَهم فَشَجَانى

وذكّرنى عهداً مضَى بوصالهم ... فصــيرَ قلبى دائم الخفقَانِ

عليك سلامى ماهمَى واكفُ الحيا ... وما دارتِ الأفلاكُ بالملَوَانِ

* * *

قافيـــة الهاء

القصيدة الثامنة والتسعون والمائة

قال الشاعر : [من بحر البسيط]

قد جاء ذلك فى القرآن معناهُ هذا فخذ ما بدا فى القول فحواهُ
وهكذا قد أتى معنى كذلك فى الآيات فافهمه حقا لاح مرآه
وهؤلاء غدا معنى أولئك فى القرآن قد عُدَّ معناه وفحواه

* * *

القصيدة التاسعة والتسعون والمائة

وقال أيضا : [من الطويل]

هو الحقُّ ما قالَ الحكيمُ فإنها لغـــدَّارة مكّارةٌ بَبَغِيها
فكمْ غادرتْ بالرَّمْسِ قوماً بغدرها
وكمْ ضَرَّسَت منها نواجذَ فيها
وما أرتَضِيها مدةَ العمرِ خلّةً ولا أصطفيها لو أخلَّد فيها
فلا تغترزْ يوماً بإبْرَاق عُودِها وكُنْ فى فعالِ الصالحاتِ نَدِيها
فأينَ الملوكُ الأوّلونَ مضوا وَما قضوا وطراً منها وأين بَنِيها
لقد غيَّبُوا واللهِ فى حُفَرِ البِلَى فلم يدْرِ مَثْوى شيخِها وَصَبِيها

* * *

القصيده المائتان

وقال أيضا : [من الطويل]

ألَا إنما دنياكمْ مثلُ حيّة ألا فاحذرْ أن تضرَّس فيها
وكنْ عالمًا فيها ولا تكُ جاهلًا بأحوالها من أن تمرَّسَ فيها
فما يستوى مِثْلانِ : مَنْ هُوَ جاهلٌ
بأحوالها أو مَن تفـــرَّسَ فيها
وما أهلُها إلا كمِثْلِ مُسافر إلى داره الأخرى وعَرَّسَ فيها
أما أسوةٌ فيما مضى لك فاعتبرْ ولا تمشِ فى أرض البسيطةِ تيهَا
إذا ما أطعتَ اللهَ سرًّا وجهرةً ولم تعصِهِ فاجررْ ذُيُولك فيها

* * *

القصيدة الواحدة والمائتان

وقال أيضاً : [من الخفيف]

فاحذرنّ الدنيا كما تحذر الحيّةَ فالسم ناقعٌ وَسْطَ فيها
فاجتنبْها واخلعْ عِذَارَكَ مِنها فهي غدّارةٌ لِمَنْ يَصْطَفِيهَا
لا تقترْ على عِيالِك إن كفت غنيًّا واجعل البَسْطَ فيها

* * *

القصيده الثانية والمائتان

وقال أيضاً : [من الخفيف]

بُوركت غرفةٌ وبورِكَ مَنْ قَا مَ بها فى البِنَا وَمَنْ قد بناهَا
غُرفةٌ لا ترى مثالا لها فى الأرض قطعاً سبحانَ مَنْ سوّاهَا
فهى تجرى الأنهارُ من تحتها والمسك والندُّ فاحَ مِنْ أعلاهَا
فكأنَّ البانينَ قدْ نقلوهَا مِنْ جنانِ الفردوسِ أو من سمّاها
إنْ عرَتْنى الأحزان أو ضقتُ ذرعًا
من أمـــورٍ تزولُ حينَ أراها
فتناهتْ حُسنًا وفاقتْ وراقَت واستنارتْ كالشمسِ عند ضُحَاها
فكأن الوالى على بنُ مسعودٍ بِحسنى أخْـلاقهِ أعْـدَاهَا
وبناها محمـدٌ ، وعـلىٌّ وبشيرٌ تشَارَكُوا فى بِنَاهَا
عام سبعٍ والألفُ معْ مائةٍ تمتْ حسابًا والخير فى عُقْبَاهَا
فى زمانِ الإمام سيف بن سلطا ن سيف مُعْطِى القلوب مُنَاهَا
يعـربىٌّ فَطن أبىٌّ وفىٌّ فهُو شمسُ الدنيا ونورُ سَنَاهَا

* * *

القصيدة الثالثة والمائتان

وقال أيضا : [من الخفيف]

بوركتْ بنيةً وقد بارَكَ الله لنا فى عُمْرِ الذى قد بناها
بنيةٌ أُسِّسَتْ على مطلعِ الما ءِ تجلت وعــزَّ مَنْ سوّاها
يا لها بنيةً عَلى شاطِىءِ الوا دِى عامَ السُّرُورِ فى رُؤياها
هى روضٌ من الرياحين فاحَ المسكُ منها كما يفوحُ شذَاها
قُدِّسَتْ من كلِّ القَذى فتعالتْ رفعةً أن نرَى لها أشْباها
روضةٌ من سُفْليها جفناتٌ من نخيلٍ أفكارُنا ترْعاها
وبها التينُ والفواكهُ والأشجارُ أثمارُهن دانٍ جَناها
وهى تجرى مِنْ تحتها أنهارٌ من نميرٍ سبحان من أجْرَاها
قطعةٌ من رياض جفات عدنٍ نزلتْ من سمائِهِ فطحَاها
إنْ عرتْني شدائدٌ وهمومٌ واكتئابٌ تزولُ حينَ أراها
وإذا ما بَدَتْ تُقبِّلُ أرْضا فكأنها تقبــلُ الأهْواها
مَن رآها تنسيه كلّ حبيب قدْ قضى اللهُ ما قضَى فقضاها
لو رأتها حورُ الجنانِ لقالتْ فوّضــونا فلا نريد سِوَاها
يعجزُ الواصفونَ أن يصفُوها بصفــاتٍ لم يبلغُوا مُنْتهاها
تتلألا كأنها درّةٌ بيضــاء أو كالبــدورِ فى مرآها
عظمت دقةً وفاقتْ وراقتْ واستقامتْ بنيا وتمّ علاها

فهيَ فى فكرتى وإن غبتُ عنها وهى دون الأشياء لا أنساها
فهنيئًا لمن بناها وأعـــلَا ها وطوبَى لمن له سُكناها
ولو آنى خيرتُ أستغفر الرحمن بين الجنات أو مَثـواها
قد لعمرى لاخترت هذا نصيبى من خلودٍ لو لم أخفْ عُقباها
كلُّ من رآها بعينٍ عيانًا قال واللهِ ما نرى شَرْواها
ما رآها امرؤٌ من الخلقِ إلا قال حقًّا سبحان من أنشاها
كيفَ نلقى لها شبيهًا ونورُ اللهِ مِن تحتِ عرشه يَغْشَاها
إن يكنْ فى العُيونِ شىء من الدا ء فإن الدواء منهـا تَراها
وإذا ما القلوبُ تصدأ حزنًا فهى تجلُو عن القلوبِ صداها
إن أردتمْ ترونَ كلَّ عجيبٍ فانظرُوا أيهـا الورَى فى ذُرَاها
نهى بالوشى زينت وتجلّت وتجلت كالشمسِ عِنْدَ ضُحَاها
أحمرٌ قانٍ وأسودُ غربيب ونورٌ يلـوحُ فى أعْـلاها
واخضرارٌ وزرقةٌ وابيضاض واصفـرارٌ فلا يُقَذَّى سَناها
قد تناهتْ فى الحُسْن والوصف
والأوصافِ ، قُلْ لى بأى شىء تباهى
فكأن الذى بناها وأعْلَاها بنـاء بخلقـــهِ أعْدَاها
هو رَبُّ العلى أبو العرب الزا كى لقدْ جلَّ قدرُه أن يُضَاهى
فإذا اشتدَ كلُّ همٍّ وكربٍ بالبرايا يعطى النفوسَ مُنَاها
غيره وهو ذُو فعال جميـــلٍ وإذا الأرضُ أجْدَبتْ أحياها

وإذا ساء منزلٌ أو نبا بى وعرتنى همـــومُه حـــلّاها
فهو شمسُ الدنيا ونورُ هداها وضيـــاءُ العليا وبدرُ دُجاها
عِش قريرَ العيونِ ما غرّدت وَرْقاء ليلا وغردتْ فى بُكاها
كان تاريخُهـا بغُرّةِ شوا لٍ رعاها ربُّ العلى وسَقاها
وثمانٍ مضتْ وسبعونَ عاماً بعد ألف حسابها قد تناهى

* * *

القصيده الخامسة والمائتان

وقال الشاعر يمدح والى الإمام عامر بن محمد : [من بحر الخفيف]

قد قضَى لى بالصدّ والهجرِ والبلوى
فأصبحتُ راضيا بقضـــائِهْ
لا بمستنكرٍ إذا متُّ شوقاً كم محبٍّ من قبلُ ماتَ بدائِهْ
فمماتى فى صـــدِّه ونواهُ وحياتى فى وَصْـــلِهِ ولقائِهْ
حسّن اللهُ خَلْقه فسبَى عقلَ البرايَا بِحُسْنـــه ورُوَائِه
يا غزالا رَدَّ الغزالةَ والبدرَ جميعاً بنُورِه وضِيـــائِه
وتبدَّى ليلا بوجهٍ فعادَ الليلُ صبحاً بضوئه وبَهَائِهْ
وقضيباً[1] إن قام ماسَ دَلالا أو مشَى ماجَ رِدْفه من ورائِهْ
يشتكى خَصرُه إلى الردْف إن شاء
قيـاما ينقـدُّ[2] من إعيائه
لم يزل يقتلُ العبادَ بطرفٍ بقيتْ حـرةُ الدّما بإزائه
تلكمُ جمـرةٌ على وجْنتيه مِن دَمِ العاشقينَ لا مِنْ دمائِه
لا تلمنى فالصبُّ يستعذبُ التعذيبَ
فى دَهْـــرِه وطولِ عنائِه

---

(١) القضيب : الغصن المستوى .
(٢) أى ينشق .

عجبًا منه قد تسلّى وقلبى ما رأى قطُّ سَلْوَةً بِسِوائِه
قُلْ له يقضى ما يشاء فإنى أنا مولاهُ فى ملاكِ ولائِه
كلّما زدتُ ذلّةً وخضوعًا رادَ تيهًا علىّ فى خُيلائِه
لا يريبنى الرضَى وكانَ مرادى لستُ أدرى ما حيلتى فى رِضائِه
يا مريضَ الجفونِ أمرضتَ قلبى فأعنّى على عـــلاج شِفائِه
قد كفانى ذل الهوى لا تزدنى وأرحْنى من الهوَى وشَقائِه
لستُ أقوى على البلاء فقلبى ذهب الحزنُ والجوَى بعزائِه
خلَّ ذكر الذى قلاك وأضنا ك بهجرانِه وطول ثَنـائِه
وارْو عن عامرٍ وأخلاقِه الحسنى وحدّثْ عن جُودِه وسَخائِه
ذلك المرتضى الجوادُ فطوبَى لامرىء ظلّ تحت لوائِه
أىُّ شخص لم يمس فى أسْرِ جدواه فكلٌّ ترَاه من أُمَرائِه
يضعُ الشىء فى مواضعِه وهو ولى الله من خُلَصَـــائِه
أسعدَ اللهُ جدَّه حيث ما كان من الأرضِ فهو من سُعدائِه
لا بِفَظّ ولا غليظٍ على الأبعد كلا ولا على أقربائِه
يا جواداً عمَّ البريةَ جوداً فاستعزُّوا مِن برِّه وعَطائِه
يا أميراً قد خصَّه اللهُ بالفضل فأمسى بالعـدلِ من أُمَرائِه
يا تقيًّا لباسُه خشيةُ اللهِ ونورُ الإيمانِ ملء رِدَائِه
وسحاباً يُروِى العبادَ لُجَيْنًا[1] خالصاً إن ضنَّ السحابُ بمائِه

---

(١) اللجين : الفضة . ضن : شح .

وكريمًا يفوهُ كلُّ لسان في البرايا بمدحِه وثنائه
أنا أصبحتُ في البرية من قتلاهُ في جـــوده بسيفِ جَدائه[1]
هو والٍ عدلٌ يجورُ على المـا ل كأنَّ الأموال من أعْدَائه
لا تَسَلْهُ يعطي بغـــير سؤالٍ فكأنَّ السؤالَ من خُصمائه
إنْ أتاهُ فقيرُ قومٍ يريد الفضلَ منه يُجِبْـــهُ قبل دُعائه[2]
عُمَرِيٌّ في عدْله وقضـــائهْ أحمديٌّ في صِدْقه ووَفائهْ
هيِّنٌ ليِّنٌ الطبيعةِ سهلٌ ذُو خشوعٍ لله في سُجَرائِه[3]
هو بحرُ المعروفِ والجودِ والفضل فطوبَى لمن يُرَى بفِنائهْ
يا حليفَ التقى قد اختارَكَ الله أمينَ الورَى على أمنائهْ
وارتضاكَ الإمامُ سلطانُ سيفٌ والِيًا في (نَزْوَى)[4] على أوليائه
يوسفيٌّ في الحسن بل عُمَرِيٌّ في تُقـــاه وبأسِه ومَضَائِه
لا نظيرٌ له ولا من شبيهٍ في عُـــلاه وخُلْقه وسَنَائِه[5]
نوَّرَ اللهُ وجهَه بجمـالٍ فتعالَى على شموسِ سمائه
ذلكَ الدهرُ ليسَ يقضي بشيء فكأنَّ الخطوبَ من أصدقائِه

---

(١) أي عطائه .

(٢) الدعاء هنا بمعنى الطلب .

(٣) السجراء : النفس .

(٤) نزوى العاصمة الدينية في عمان .

(٥) السناء : الشرف .

أنت أوفَى الأنام إلّا[1] وعهداً ... أنت يحيى فى نُسُكه وصفائه

أو كموسى فى لُطفه أو كعيسى ... فى هُداهُ وزهده وتُقَائه[2]

جعلَ اللهُ حسنَ سعيكَ فينا ... كى يدُلَّ الورَى على أنبيائه

أنتَ فينا غريبُ خَلْقٍ وخُلْقٍ ... فى زمانٍ ولستَ من أبنائه

زانَ شعرى وتاهَ فيك كما تا ... هَ أخو الكبرياء فى كبريائه

علمتْنى حسنَ القريضِ طباعٌ ... منك غرٌّ نصرتَ مِنْ حُكَمائه

أنَا لا أبتغى لمدحى جزاء ... فوصولى إليكَ خيرُ جَزائه

يا عديمَ النظيرِ دامَ لك الدهرُ ... فـزِّقْ عنّا ثيابَ دَهائه

* * *

(١) الإل : العهد والميثاق .

(٢) أى تقواه .

القصيدة السابعة والمائتان

وقال أيضًا فى الحكمة والتأنى والعجلة : [من مجزوء الرمل]

عجـــلةُ الإنسان لومٌ عند أصحابَ المـــزيَّهْ
ذمَّهـا كلُّ الـــبرايا فى دواوين القَضيَّـــهْ

معنى آخر :

عجلةُ الإنسان خـــيرٌ من توانٍ فى العطيَّه
وكذا الإمْهالُ شينٌ عند أصحابِ السَّجيَّه

وقال فى ذم العجلة :

ليسَ فى العجلةِ خيرٌ يرتجى عنـــد البريَّه
إنمـا الحاذقُ لا يعجلُ فى أمر الرَّعيَّـــهْ

وقال فى مدح الإمهال :

إنمـا الإمْهـال زينٌ فى العقـــولِ الألْمَعيَّهْ
وكـذا العجلةُ عيبٌ فى سَجيَّـــات البريَّهْ

وقال معنى آخر :

إنما الإفراطُ فى العجلة إلّا فى العطيَّـــــه
والونَى خيرٌ لأصحابِ القضايَا فى القضيَّـــه

معنى آخر :

ليس فى الإمهالِ خيرٌ فى سجيـــاتِ البريَّه

إنما الخير تراهُ عند تعجيلِ القضيَّه
ليس فى العجلةِ خيرٌ لأولى النفسِ الأبيَّه
إنما الإفراطُ فيها وهى أسبابُ المَنيَّه

معنى آخر :

إنما العجلةُ فى بعضِ القضيّاتِ رَضِيَّه
وأرَى الإمْهالَ فيها من رَدَاءاتِ السَّجيَّه

معنى آخر :

إنما خيرُ السجيّه عجلةٌ عند العَطيَّه
كلُّ مَنْ يبغى سِواها ناقصٌ عِند البريَّهْ

معنى آخر :

يمدحُ العجلةَ يا ذَا وهى أسبابُ المَنيَّه
فامدحْ الإمهالَ مدحاً فهو من خيرِ السجيَّهْ

معنى آخر :

لا تعبْ تعجيلَ قومٍ عند أصحابِ المزيَّه
لَا ولَا الإمهال لومٌ فى سجيّاتِ البَريَّه

معنى آخر :

نضعِ العجلةَ فى مَوْ ضِعها فى الجليَّه
وضعِ الإمهالَ فى مَو ضِعه يا ذَا المزيَّه

* * *

القصيدة السابعة والمائتان

وقال لصديق له وهو الشيخ خلف بن سنان : [من السريع]

إن كنتَ قد عدتَ إلى العافيهْ فإننا فى عيشةٍ راضيَهْ
إنْ بتَّ فى صحةٍ ناعماً فإننا فى لذةٍ صافيَهْ
اللهُ يكفيكَ الأذَى والقذَى وتصبحنْ فى فرحةٍ كافيَه
أجارَكَ الرحمٰنُ مِن كل ما تخافُه من علةٍ خافيَهْ
أعيذُك مِن شرّ البلايا ومِن شر الوَسَاوِسِ بالكافيَهْ
وابقَ بقاء الدهرِ فى بلدةٍ المعمورِ ما عمرتَ فى عافيَهْ
يا ابنَ سنانٍ أنتَ فى راحةٍ تَتْرَى وفى عيشةٍ صَافيَهْ
ما دُمتَ حيًّا نحن فى سلوةٍ قلوبُنا من أجلِكم سَالِيَهْ
سَقْياً لدهرٍ قد خلَا مدةً خلَا وأيامٌ به خالِيَهْ
إذْ نحن فى عنفوانِ الصِّبى وهِمَّتُنَا فى العُلا عَالِيَهْ
ونَجْمنا يَسْطَعُ بين السُّعودِ وحضْرتُنَا فى الورَى عَالِيَهْ
والحمدُ لله الذى خَصَّنَا بالعزِّ والنعمَى وبالعافيَهْ

* * *

قافيـــة الياء

القصيدة الثامنة والمائتان

وقال يرثى قاضى المسلمين الشيخ ابن زامل رحمه الله تعالى عام ١٠٧٣ هـ :

[من الوافر]

بموتِ المرتضى الزاكى الرضى تألّم كل مسقورٍ ولِىّ
وأصبحَ كلُّ ذى دين وعقلٍ من الثقلين فى عيشٍ وبِىّ(١)
وأكمد كل ذى علمٍ وحلمٍ وكدّر كل محبوب شهىّ
وأظلمت المدائنُ والنواحى بموتِ العالمِ البرِّ الوفِىّ
وكادتْ من أماكنها الرّواسى تخرّ على الدّكادِك والفُلىّ(٢)
وكادتْ ترجفُ الأرضون طرًّا بمن فيها ويصعق كلُّ حىّ
وكادَ البدرُ يخسف والدرارى تناثرُ قبلَ خسرانِ الشقىّ
بموتِ السيد السامى المسمّى بصالح السعيد الزاملىّ
بموتِ العالمِ المفدّى الأبىِّ العالم العلم الولىِّ
أخِى العلياء والسيد والمعالى حليفِ الجود ذِى الرأى الجلِىّ
بيومِ السبت صبحاً من ربيعٍ توفِّى طاهرُ الجيبِ التقىّ
وألف مع ثلاث قد تقضتْ مع السبعين عُدّت فى المضِىّ
فلا عجبٌ إذا فاضتْ جُفونى دماً من بعد فقدانِ التقِىِّ
ولا عارٌ إذا ما مُت همًّا وأحزانا على الصّافِى الصفِىّ

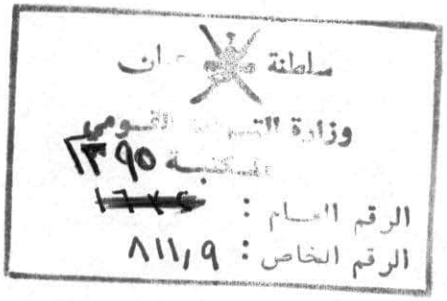
---

(١) وبى : أى وبىء ، موبوء لا يؤكل .
(٢) جمع فلاة ، وهى المفازة .

فيا لَك من عزيزٍ فى البرايا ... بعيشٍ طيبٍ رغد هنيّ
وكنت مكرّماً يا ذا السجايا ... مع الأقوامِ بالعلم السنيّ
وكنت مشرّفاً يا ذَا المزَايا ... مع الأقوامِ بالنور البهيّ
فأمسى شخصُك الزاكى دفيناً ... بقفـــرٍ طامسٍ خالٍ خفيّ
توارى شَخصك المانوسُ عنا ... ولم يُرَ غير ذكرك فى النَّدِيّ
أيا بحراً ثوَى فى بطنِ قفرٍ ... عليك صلاة ربك مِنْ تقيّ
لقد عمت مصيبتُك البرايا ... جميعاً مِن شريفٍ أو دنيّ
وأيتمت الأدانى والأقاصِى ... جميعاً من وضيعٍ أو عَلِيّ
وأحزنتَ الأنامَ من الرعايا ... بموتك من كبيرٍ أو صَبِيّ
وأورثت الخلائقَ كلَّ حزن ... بموتك من فقـــيرٍ أو غنيّ
وأسقيت الورَى كاساتِ حُزنٍ ... بموتك من فصيحٍ أو عَيِيّ
حويت تكرمًا وحويتَ علمًا ... وطلتَ العالمين بحسنِ زِيّ
وحزت العلم مَع فهم وحلم ... وعقلٍ راجحٍ صافٍ جـــلِيّ
وعلّمتَ الشرائعَ كلَّ لَسن ... وأنقذتَ الورَى من كلِّ غىّ
فأىُّ الناس من قاصٍ ودانٍ ... بموتك غير محـــزونٍ شَجِيّ
ومن لم يُمسِ فى همٍّ وغمٍّ ... بموتك غير منبوذٍ غَوِيّ
فعلَّ ثراك يا قبراً بِنَزْوَى ... غَوادٍ بالغـــداةِ وبالعشِيّ
فيا لك نلةً ما سُدَّ بابٌ ... لها لولا ابن سيف اليَعْرُبِيّ
هُو السلطانُ سلطانُ بن سيفٍ ... سلالةُ مالكِ الفطن الكَمِيّ

إمامٌ عادلٌ بَرٌّ حَـــــفيّ فأحسنْ بالوفا البرّ الحَفِيّ
لقد منّ الإلٰه به علينـا وصفوته أبى العربِ الأبيّ
لقدْ عمّ الأنامَ جدًى وجوداً وأستاهُم حيا مِنْ بعد رِيّ
وأنقذهم من البَلْوَى جميعاً وطهّر عِرْضَهُم من كلّ غَيّ
وصلّى اللهُ ربى كلّ حينٍ على خـــيرِ البرية من قُصَيّ
على خـــير البرية من نزار شفيع الخلق أحمـــدِ النبيّ

* * *





ذيل للديوان

رسالة للشاعر

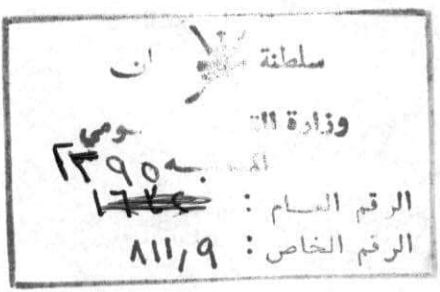
يا من يعدُّ نفسَه من أهل البلاغةِ والبراعةِ ، ليغرَّ الجماعة ، ويجـدد قلمَه ويراعَه ، وهو من أهلِ الخلاعةِ والضراعةِ ، ويمد باعَه ، ليقوى ذراعَه ، ويعزز خداعَه ، ليكونَ من أهل الشفاعة ، ويظنُّ أنه من أصحابِ الوجاهة ، وهو من أهل السفاهةِ ، ويزعم أنه من أولى الفصاحةِ واللباهةِ ، وهو من أهل الخُمولِ والفَهاهَة ، ويقول إنى آمنت بيومِ المعاد وهو شرُّ العباد ، ويظن أنه ظَفِر بالإسْعاد وهو أشقى من ثمودٍ وعاد ، ويدَّعى الهدايةَ والرشاد ، وهو من أهل الفساد ، يقولُ للناس هلمُّوا إلىّ واجتمعوا لدىّ ، فإن عندى مفاتيحَ كلِّ شىء ، وادعُوا لِى ولا تدعوا علىّ ، وهو ملآنُ من الغِىّ ، والغَى ، وأولى بكلمة الجدْع والكَى ، ويا لَـكاعِ ، ياخبيثَ الطباعِ ، سماعِ سماعِ ، قد أتقنَ القوافِى بالنظمِ والنثرِ كرقشِ الأفاعِى ، فلن أزالَ أحرقُ عليكَ الأُرَم ، كما حرقَ الوزير على أعداء حُرم . تضربُ قرينَك وتقظم ، وتجرحُ غيرَك وتتألّم ، وتزعُم أنك تفعلم ، وبالحق تتـكلم ، وترغُب عن سُنة نبينا محمدٍ ﷺ ، نسبت أهلَ العقلِ والحلم ، وأُولِى العدلِ والعِلم ، بالجورِ والظلم ، كأنَّ عندك كل العلم وأنتَ عينُ الجاهل ، وأعيَى من قِل ، وأجهلُ ناقل . فإن كان عندك شىء هات ، يا أخا التُّرّهات ، ياردىَّ العِلّات عظمَ زلّات ، حليفَ السيئات أليفَ الشُّبهات ، أسيرَ الشهوات ، خَسِئْت يا لُـكَع ، يا مُديمَ الشِّبَع قد طافَ بك الفَرَقُ والخوف ، يا أنتَن من جوفٍ ، إن لم تـكفِ مِن غربك ، وتستوقف فى سِربك ، وتنقِه عن قربك ، مفعيتك

بهجائى عن أكلك وسربك ، ولغادرتك كالعبدِ الآبق ، وأطلقت عليك القوافى كالخيول السوابق ، تارةً نثرًا وتارةً نظما ، ترميكَ بشُهب كالشِّعرَى ، فكيف بك إذا حملَك الوادى ، وحشدت عليكَ النادِى ، ما تصنعُ بيدك ، وأنت عبيدُ وحدك ، فما لَك من هادِى ، لتفقادَ للمنادِى ، وهجرك الحاضرُ والنادى وحدَا بك الحادى ، إلى شفيرِ الوادِى ، وفارقك المُصافِى والمُعادى فتغطمطتْ بك أمواجُه ، وتغلغل بك أمواجُه ، فأين المهربُ والمنجا ، وقد أحاطَ بك الهجا ، أبجيشك تستوقفه ، أم بعرضك تَلقفه ، أم بشعرِك الركيك تصرفه ، أمْ بحبالِ غدرك تنسفُه ، فها هو واقعٌ بك . فإن كفتَ تفكرُه فلسوفَ تعرفه ، متى تربح يا مغبونُ ، ومتى تعقل مأفونُ ، ومتى تصحو يا سكرانُ ، ومتى ترتدع يا حيرانُ ، ومتى تنتبه يا نومان ، ومتى تهتدِى يا هامَان ، عرفتَ وأغرقْتَ ، وأحْرَقت وأحْرِقت وفسقْتَ ومرقْتَ ، وشربت وشرقت ، مهلًا بنفسك مهلًا ، لقد ركبتَ فسادًا وجهلًا ، وسلبتَ فطانةً وعقلا ، وغلطت شفاها ونقلا ، وحملت على ظهرِك إصرًا وثقلا ، ما هذا التلبيسُ والدسّ ، والتعبس واللّس والتشمسُ والبسّ ، ما هذا العدولُ والنفارُ ، عن القادةِ الأخيارِ وما هذا الانكسار ، لتحسبَ من الأبرارِ ، وأنتَ من الأشرار ، تحملُ الأوزار ، وألفةَ الإصرارِ وشدةَ الإضرار وإيذاء الصاحب والجار ، وتعنيفَ الإمامِ المختار ، العامل بما جاءَ فى الآثارِ ، والباسط العدلِ فى جميعِ الأمصارِ الذى سارَ سيرَةَ المهاجرين والأنصار ، قاصمِ الجبابرةِ الفجارِ ، أنى يليقُ به ما قلت من مقالتكَ ، ونقلته عن أمك وخالتك بجهالتها وجهالتك ، وضلالتها وضلالتك ، والله لقد رقيتَ مُرتقى لا يَرتقى ،

وعرضتَ نفسَك للهلاكِ والشقا ، فأنّى لك البقا يا لقى ، هَبَلت ، ألهذا جُبِلْت ، كرْبَعْت وتقبعتَ ، وتشجّعت وترقّعت وأنتَ كالجُعَل تكمنُ تحتَ العورات، ويحملُ بفمه القاذورات ، تُنْكِس رأسك كأنّك زاهد، إذْ كأنّك القانتُ العابد وأنتَ فى غيِّكَ وغدْرِك وخديعتِك ومكرِك، أما تكفُّ من سيرِك، أما تُفكر فى عاقبةِ أمرك ، إلى أن تحط فى قبرِك، قد واللهِ تماديتَ فى تابيك ، ولم تشكرْ لمن يواليك ويزنيك ، سوفَ تقعُ فى مصرع جدك وأبيك ، تعصى إلهك بذمِّ مولاك وهو يراك ، تبًّا لك تهجُو من لطفَ بك وصافاك ، ولو شاءَ لرضّ فاك يا أفّاك ، ومن بلادِه نفاك ، يا سفّاك ، ولو أرادَ لا أشقاك ، وما أبقاك ، ويحك تبارزُ إمامَك بالمخالفةِ والعصيان، يا أخسَ الفتيانِ أما أسبغَ عليكَ نعمَه بالإحسان لتكافيه بالكُفران ، ولو شاءَ لطردَك من الأوطان ، وقطعَك عن الأعطانِ والقطان ، يا حليفَ الشيطان إن لم تسلمْ الأمرَ إليه ، وترتدعْ عما أنتَ عليه ألقيتُ عليك أمراسى ووطأتك سنابك أفراسى ، وسلطتَ عليك شِعْرى الذى يزلزلُ الجبالَ الرواسى ، فيتركك مَدى عُمرك تقاسى ، وأسقيك مرارةَ كاسى فتصير عبرةً للذاكِر والناسِى ، تقولُ كيتَ وكيتَ ، وأنتَ من العىّ كالميت تظنُّ أنّك تَهْذِى ، وأنتَ تَهْـــذِى ، وتزعم أنك تَحْلى ، وأنت تَقْذى فيا سبحانَ الله ما هذه الظنون ، فى قلب هذا المفتُون ، ما هذا إلا جنون من هذا المأفون ، ما تصدرُ هذه التلافيقُ إلا من سكران غير مفيق ، وقد حُرم التوفيق ، وفارقَ الوالدَ الشفيق ، والمولَى الرفيق وَوَقعَ فى الضيق ، وفى المكان المضيق ، وحمل نفسه ما لا تطيق ، كذلك سوّلت له نفسه الخسيسة ، وزينَ له الشيطان

تلبيسَه ، فعصى رئيسَه ، وأطاعَ إبليسَه ، وأخطَا مقيسه ، وآذى قرينَه وجليسَه فاجلوَّذ ومرق ، وفجرَ وفسق ، وأظلمَ قلبه وغَسق ، وطالَ أملُه وبَسق وخبثَ عملُه ونطَق ، وتخازَر بالحدق ، ونَكَّس رأسه وأطرَق . وأرْعد وأبرق ، وتحفَّق وفهق ، ونضنضَ لسانَه بالكذبِ وتشدق ، ورنا بطرْفِه وحَمْلق ، وأدامَ النظَر وحدَّق ، وحدَّثَه خاطرُه بالأباطيل ، فصدق فشتتَ الجماعة وفرّق ، وارتطم بنار جهله فغرَق ، وغرَّبَ بافترائه وشرَّق ، وأغوَى ناساً وصفَّق ، وترحمَ هذيانَه وغق ، وأوغلَ فيما لا يَعْنيه وتعمّق ، فوقَع به الطيشُ والبَرق ، والخوف والفرَق ، فتهوَّك فى مجاهلِ الجهل وهَمْلج ، وتأوَّب فى مَهامِهِ الذحْل ودَلَج ، وسبَح فى بُحبُوحَة المهالك ولجَج ، فمتى يفيقُ ويسمعُ الحُجَج ، وهو يَحْسُو بَراحَ المخالفَة أكثر من عشْر حِجَج ، كلا لئن لم ينتهِ هذا الخسيس عن طاعة إبليس ، ويكفَّ من قوله ، والشعر الذى هو أنتنُ من رَوْثِه وبولِه ، لأملأنّ القراطيسَ هجاءً موجعاً فى ذمِّه ، وأمزقُ عِرضَ أبيه وأمه ، حتى يصيرَ خبراً مِن الأخبارِ ، ومُثْلة فى الأمصار ، وعبرةً لأولى الأبصار طاعةً لله الواحدِ القهار ، فان أزالَ أهجُوه حتى يقالَ ما هذا ومن ذا ، فيقالُ هذا جزاء من خالف أهلَ العدلِ وهذَى ، فلتقيه فتلقيه القوافى قطعاً وجذاذاً ، ويصيرُ دمعُه وابلا ورذاذاً ، ويصيح بالويل والثُّبُور ، ويقول يا ليتنى كنتُ من أهل القبور ، ومن العجائبِ من لم يزَلْ عاكفاً على مَيّه ، كأنه بَلْعـــامٌ فى غيِّه ، أو قوم لوط فى نشرِه وطيّه أو فرعونُ فى زَيّه ، أو مسيلمةُ فى افترائه ، أو الوليدُ بن يزيد فى اجترائه يرسُب فى بحرِ الجهالةِ ويطفُو ، ويصعدُ ويهفُو ، ويلمحُ ويخفُو ، ويشفعُ ولا

يَرفُو ، ولا يعلم ولا يَقفو ، يتلوَّن ألواناً كالطاووس يطلعُ تارة ويغـــربُ في الناووس، يُغْوِى بقوله الجهلة ، فيتبعهُ البطلةُ ، إذا قام يقولُ يا ستَّار ، وهو الختَّار ، كم غرَّ قوماً بسعيه وأغوى آخرين بِبَغْيه ، أحاطَتْ به نقمهُ ، فكثُرَ ندمُه ، وزلَّتْ به قدمُه فاشتد سدمُه ، ضلَّ في جدده ، حيث فقأ عينَه بيدِه ، خسر في يومِه وَغَدِه ، حيثُ كفَرَ نعمةَ مولاه وسيده ، قلَّ مددُه ، وفارقَه عددُه ، وضاق عليه بلدُه ، وتكاثَف عليه كَمده ، حين عظمَ نكدُه ، وفارقَه ولده ، حينَ مَرِض جسده ، وطالَ عليه أمدُه ، حين اشتدَّ صفدُه ، وتفرقت لُبده لما كسرتْ عمده ، يا ويحَه قد وقع في القفاص ، ولاتَ حينَ مناص ، إلى يوم القصاص، وأنى له الخلاص ، وقد ذابت كبدُه كما يذوب الرصاص، وكيف يفجو منا وقد أعرضَ عنا ، وساء بنا ظنا ، ومانَ في قوله وما مُنَّا ، وكان ما كان منه وما كُنَّا ، وبانَ عن سيرتنا وما بِنَّا ، وما كانَ ينبغي لنا ولكنَّا ، فهذا ما عِنْدنا ، فإن عُدتم عُدنا ، وإن زِدتم زِدْنا . والسلام .


سلطنة عمان
وزارة التراث القومي
الرقم العام : ١٣٩٥
الرقم الخاص : ٨١١/٩

فهرست الديوان

الموضوع	الصفحة
قافية الهمزة	٣
» الباء	٢٩
» التاء	٦٣
» الثاء	٧٩
» الجيم	٨٣
» الحاء	٨٧
» الخاء	٩٥
» الدال	٩٩
» الذال	١٤٥
» الراء	١٤٩
» الزاى	٢٠٧
» السين	٢١١
» الشين	٢١٥
قافية الضاد	٢١٩
» الطاء	٢٢٥
» الظاء	٢٢٩
» العين	٢٣٣
» الفاء	٢٥٥
» القاف	٢٦٩
» الكاف	٢٧٩
» اللام	٢٨٣
» الميم	٣٤٣
» النون	٤٠٣
» الهاء	٤٢٧
» الياء	٤٤٥

رقم الإيداع بدار الكتب ٥٥٢١ / ١٩٨٤
٩ - ٠١٤ - ٣١٦ - ٩٧٧